

موسوعة أشرطة الساعة

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الخامس

المسيح الدجال

بين الجبّ والطاغوت

تأليف / الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقي

الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية



**القيامه الصغرى على الأبواب
الجزء الخامس**

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٠ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع : ٣٥٣٩ / ٩٩

الترقيم الدولي I.S.B.N

7 - 8175 - 19 - 977

تحذير

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف
وكل من يحاول الإقتباس أو النقل من الكتاب بأي شكل من الأشكال
سوف يعرض نفسه للمساءلة القانونية

عبد الرحمن فاروق دسوقي

موسوعة أشراف الساعات

٦

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الخامس

المسيح الدجال بين الجبت والطاغوت

الأستاذ الدكتور

فادوق أحمد الدسوقي

حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina





مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وعلى أصحابه وعلى
الذين إتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثمّ أما بعد ،

فقد أُعِيَتْ شخصية المسيح الدجال - بما ورد عنها من أخبار في نصوص
الروحى - الباحثين والمؤلفين ، وكما حَيَّرَتْ طلاسمة العلماء والمفكرين ، وأقلقت
فتنته النساك والواعظين من كل ملةٍ ودين .

من هو المسيح الدجال ؟

ومن أبوه ومن أمه ؟

بل ما هو المسيح الدجال ؟

آدمى هو أم جننى ؟

وانسان هو أم شيطان ؟

وممتى بدأ وجوده ؟

وآين بدأت حياته ، أفي الأرض أم في السماء ؟!

وما سر حياته الممتدة الطويلة ؟

وما هو مُبْتَغَاهُ أو غَايَتُهُ النّهائية الأخيرة ؟

وما هي حقيقة خوارقه الغريبة العديدة ، مع أنه مصدر الشر والإفساد ، ورأس الكفر والإضلال ؟

صحيح أنه لن يكون أول من ادعى الألوهية ، لكنه سيكون أول من يدعيها على مستوى سائر البشرية .

أهو إذاً ، إبليس رأس الشياطين ؟

أم هو الجبّت رئيس الملائكة ؟

أم هو الطاغوت معبود غير الموحدين الوثنيين منهم والملاحدين ؟

وإذا لم يكن المسيح الدجال واحداً من رؤوس هذا المثلث النجس : إبليس الجبّت الطاغوت ، أفلا يكون للدجال صلة بهذا الثلاث ؟ اليسوا جميعاً - أى الدجال وهؤلاء الثلاثة - رؤوساً لمملكة الشر وقادة لحزب الشيطان ؟! لقد أنكر بعض المنتسبين إلى العلم المسيح الدجال وأدى بهم إنكارهم هذا إلى إنكار المهدي عليه السلام ، ثم إنكار نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، وحجتهم على هذا الإنكار أنهم لم يرد في القرآن الكريم ذكر صريح للمسيح الدجال بهذا الاسم الذي جاءت تحته الأخبار عنه في السنة الشريفة .

ولقد أخطأ هؤلاء المنكرون الذين لم يصدر إنكارهم إلا عن جهلهم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ أو عن جهل بهما مع زيغ في القلوب .

ولهؤلاء ولسائر المنكرين أقول : إن أخبار الدجال موجودة في القرآن الكريم مع كل فصل من فصول قصة الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان ، ابتداء من

المشهد الأول للفصل الأول في هذا الصراع الذى بدأ فى السماء ، ولا زال مستمراً
وسيستمر حتى المشهد الأخير من الفصل الأخير ، الذى ينتهى بمقتل الدجال
واسلام البشرية قاطبة لله رب العالمين على يد مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهما
السلام قائداً لجند الله المسلمين أتباع النبی المصطفى الخاتم سيد ولد آدم الماحى
الذى سيمحى به الله تعالى الكفر من على وجه الأرض وبالمجاهدين من أمته ﷺ
تحت قيادة المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام لتكون خاتمة الصراع الطويل
كما أخبرنا الله تعالى فى كتابه بقوله ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى
عزيز ﴾ المجادلة / ٢١ ، وكما قال تعالى أيضاً ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من
عباده ، والعاقبة للمتقين ﴾ الأعراف / ١٢٨

لقد أمرنا الله تعالى أن نتدبر القرآن بقوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ النساء / ٨٢ ، ويُن لنا رسول الله
ﷺ كيف يكون تدبر القرآن بقوله ﷺ ﴿ أحرثوا القرآن ﴾ (١) .

فتمالوا معى إخوانى القراء نتدبر القرآن فنحرثه سوراً وآياتٍ وكلماتٍ وحروفاً
وسطوراً وما بين السطور لنستخرج منه حقائق عن مملكة الشر أو قيادة حزب
الشیطان وجنوده من الشياطين والأبالسة والطواغيت ، لكى نصل إلى إجابة على ما
طرحناه من أسئلة عن المسيح الدجال ، لعلنا نتوصل - بعون الله وتوفيقه - إلى
إستخراج حقيقته من بين أسرار الجبت وطلسمات الطاغوت .

(١) ذكره القرطبي فى تفسيره فى معرض قوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ .. إلى قوله تعالى
﴿ والأنعام والحرث ﴾

أسأل الله العليم الحكيم أن يرزقني الحكمة وفصل الخطاب وأن يجعل عملي
كله خالصاً لوجهه ، وهو سبحانه وحده من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل
وصلّى اللهم على عبدك ونيك وحبّيك المصطفى الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم .

د . فاروق الدسوقي

الإسكندرية في ١٦ ربيع أول ١٤٢٠

٣٠ يونيو ١٩٩٩

الفصل الأول

من ذا الذي يتطاول من العبيد
ويزعم أنه إله مع رب العالمين . ١٩

سبحان الخالق العظيم وتعالى عما يشركون :

كان الله ولا شيء قبله سبحانه ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ﴾ الحديد / ٤ ، من دعاء رسول الله ﷺ .. أنت الأول الذى ليس قبلك شيء وأنت الآخر الذى ليس بعدك شيء وأنت الظاهر الذى ليس فوقك شيء وأنت الباطن الذى ليس دونك شيء اقضى عنا الدين واغننا من الفقر ^(١)

سبحانك خلقت كل شيء فصار المخلوق موجوداً بعد أن لم يكن شيئاً ، سبحانك يا أول كنت وحدك ولم يكن شيء قبلك ، سبحانك يا أول كنت وحدك ولم يكن شيء قبلك ، سبحانك لا إله غيرك ولا رب للعالمين سواك .

روى البخارى بسنده (عن عمران بن حصين أن ناساً من أهل اليمن قالوا : يا رسول الله جئنا للتفقه فى الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ، ما كان ؟

قال : كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض وكتب فى الذكر كل شيء .

وروى الترمذى بسنده (عن أبى رزين العقيلي ، قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء) والمعنى أنه لم يكن شيء قبل خلق الله للسماوات والأرض ، حتى ولا المكان ولا الزمان لأنهما مخلوقان مع خلق السماوات والأرض بل إن وجودهما هو وجود السماوات والأرض .

ولما كان سؤال أبى رزين عن المكان لقوله (أين كان ربنا ؟) عبر رسول الله ﷺ عن حقيقة نفى المكان والزمان عنه سبحانه بقوله (كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء) أى لم يكن فى مكان ولم يكن معه شيء ولا يحيط به فراغ وهو سبحانه لا يزال فوق المكان وخارج الزمان لأنهما من خلقه .

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

وكذلك الإنسان لم يكن قبل خلقه شيئاً مذكوراً ﴿ هل أتى على الإنسان حين من
الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً
بصيراً ﴾ الإنسان / ١ - ٢ ، فهو سبحانه الذى بدأ الخلق وحده ، وهو سبحانه الذى
سبعيده وحده قال تعالى ﴿ يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول
خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ الأنبياء / ١٠٤ ، والمعنى أن العزيز الجبار
جل وعلا سيطوى السماء يمينه كما تطوى صفحات الكتاب فى السجل أى بين
جلدتيه ، روى البخارى بسنده عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : إن الله يقبض يوم
القيامة الأرضين وتكون السماوات يمينه .

كما أورد ابن كثير فى تفسيره بسنده إلى ابن عباس قال : يطوى الله السماوات
السبع بما فيها من الخليفة ، والأرضين السبع بما فيها من الخليقة يطوى ذلك كله
يمينه يكون ذلك فى يده بمنزلة خردلة (أى فى يد أحدكم ، سبحانه الله العظيم
﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات
يمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ الزمر / ٦٧ ،

فمن كانت هذه قوته ، ومن كانت هذه عظمته ، ومن كان هذا جبروته ، هل يجزئ
أحد من خلقه - وكلهم عبيده - ويزعم أنه إله من ذا الذى يدعى أنه ند له سبحانه ؟
من ذا الذى يتناول ليعدل نفسه به عز وجل ؟

من ذا الذى يستكبر من خلقه - مهما عظم حجمه - ويعلن للخلق أنه رب العالمين
، منازعاً الخالق عز وجل ملكه وربوبيته ؟

- إن كان أحد من خلقه فاعلاً ذلك فلن يكون إلا من الثقلين : الإنس والجن
المخلوقين المبتليين المُخَيَّرِينَ ، ومن ثم فلن يفعل هذا إلا مخلوق صغير الحجم فلا
السماوات ولا الأرض ولا النجوم ولا الشمس ولا القمر ولا الجبال تجرؤ أن تفعل هذا ،
بالرغم من أن السماوات فى كف الخالق عز وجل بمنزلة حبة خردل فى كف الإنسان

، والإنسان وما على الأرض فى السماوات مجرد هباءة ﴿خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ « غافر / ٥٧ » ومع هذا فقد وردت الأخبار فى السنة عن إنسان سيزعم أنه رب العالمين ، يخرج فى آخر الزمان يدعى أنه رب الناس وملك الناس وإله الناس .

– من ذا الذى سيفعل ذلك ؟!

– إنه المسيح الدجال ، الذى بَوَّبَ له أصحاب الصحاح والسنن والمصنفات الحديثية أبواباً عن صفاته وأعماله وضلالاته وأفساده وخروجه الذى سيعلمن خلاله أنه رب العالمين ويجد من الاتباع الذين يستقبلونه فى كل عواصم الدنيا ، فلا يدع عاصمة إلا ويدخلها ما عدا مكة المكرمة والمدينة المنورة ، لقد وردت فى الدجال عشرات الأحاديث بل ربما تتعدى المائة بكثير ولا زال المسلمون يختمون دعاء التشهد بالإستعاذة بالله من فتنة الحيا والممات وفتنة المسيح الدجال .

– لكن البعض ممن ينتسبون إلى العلم يرفضون التصديق بالدجال ، وحجتهم فى هذا أنه لم يرد عنه ذكر فى كتاب الله عز وجل ، ومن ثم يضعفون أخباره فى السنة ، قائلين :

إن شخصية الدجال كما جاءت فى السنة تعتبر أخطر الشخصيات البشرية فى تاريخ الدنيا كلها ، ولو كانت أخباره صحيحة لو وردت فى القرآن الكريم .

– هذا حق ، فليس من المقبول لا عقلاً ولا نفلاً أن لا يرد عنه ذكر فى الكتاب الحكيم وقد قال الله تعالى ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شيء ﴾ وهذا ما يلزمنا بالرجوع للكتاب الحكيم باحثين مدققين بمنهج إحصائى إستقصائى شامل ، موقنين أنه لا بد أن يتضمن القرآن الكريم أخبار المسيح الدجال ولكن ليس بالضرورة تحت اسم المسيح الدجال ، يؤكد هذا أن أخبار شخصيات كثيرة فى مملكة الشر ومخططات الإفساد مذكورة فى القرآن الكريم ، وهى أقل شراً وخطراً وإفساداً مما أخبرت عنه الأحاديث

المتضمنة لفتنة الدجال .

ألم يرد فى الأحاديث أن فتنته أعظم الفتن قاطبة منذ آدم إلى نهاية الدنيا ؟ بلى . فكيف إذن يرد فى القرآن الكريم ذكر لأخبار من هم دونه من أصحاب الفتن الصغيرة الجزئية ، ولم يرد ذكر له ؟ لعله يكون هو إبليس الذى رفض السجود لآدم وتوعد نبيه بالإضلال .

- لا ، ليس هو إبليس الجنى ، لأن المسيح الدجال آدمى من البشر .
- إذا فهو الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم باسم الطاغوت .
- ليس صحيحاً لأنه لو كان أحداً أولى بهذا الاسم باعتباره نبع الشر الأول لكان الشيطان أو إبليس الجنى ، كما أن تفسير المفسرين للطاغوت لا يصدق على كل ما جاء عن الدجال فى السنة وإن تطابق مع البعض .
- فهل هو الجبت إذا ؟
- تفسير المفسرين للجبت لا يصدق أيضاً على كل ما جاء عنه فى السنة وإن صدق على البعض .
- لكن إذا سلمنا أن فى الوجود الابتلاي من سيتناول ويتطلع للتأله سواء أكان إبليساً جنياً أم أنسياً ، طاغوتاً أم دجالاً أم جبتياً ، فهل سيجد من الناس من يؤمن به ؟
- هل سيجد من الناس من يصدق خرافة نذيته لرب العالمين ؟
- بل قل هل سينجو من فتنه أحد ؟
- كيف وقد أخذ الله الميثاق على بنى آدم إذ أخذهم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم أأست بربكم ؟ . فقلنا : بلى شهدنا .
- ومع هذا فسيؤمن به أكثر الناس .

- كم النسبة ؟
- ٩٩٩ من كل ألف ، فلا ينجو من الألف إلا واحد فقط .
- هذه النسبة على مستوى الجيل الذى سيخرج فيه المسيح الدجال ؟
- لا ، بل هذه النسبة على مستوى البشرية منذ عهد آدم إلى قيام الساعة ٩٩٩ فى النار وواحد فى الجنة .
- كيف يضلون بفتنته حتى قبل أن يخرج ويدعى أنه رب العالمين ؟
- لأنه موجود قبل أن يخرج وهو أحد أضلاع مثلث الشر : إبليس الجبت الطاغوت .
- إذا فمن يكون هذا آدمى الشقى المذكور فى السنة باسم المسيح الدجال ؟
- هذا ما سنحاول معرفته فى الكتاب والسنة بعون الله وتسديده وهديه .
- ليس قبل الإجابة على سؤال هام وملح .
- ما هو ؟
- ما الحكمة التى من أجلها أذن الله تعالى لبعض خلقه أن يتناولوا فيعدلون أنفسهم به عز وجل ويزعمون أنهم أنداد وشركاء له أو أرباب من دونه ؟
- الإجابة فى الفصل التالى بإذن الله تعالى .

الفصل الثاني

الحكمة من خلق الإنسان في الحياة الدنيا

الحكمة الإلهية من خلق السماوات والأرض والإنسان في الحياة الدنيا :

الحكمة صفة ذاتية لله عز وجل ، كالعلم والقدرة والحياة ، ومن أسمائه الحسنی سبحانه الخالق والحكيم والعليم والقدير والمُحيي .

قال تعالى ﴿ إِنْ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (الانسان / ٣٠) وقال سبحانه ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ (الزمر / ١) ، ومع أنها جميعاً صفات ذاتية لله عز وجل إلا أن لكل صفة من صفاته علاقة بالخلق .

أما تعلق خلقه سبحانه بالخلق فمن حيث إيجاداه بعد عدم . وأما تعلق علمه سبحانه بالخلق فمن حيث كون هذا المخلوق معلوماً لله عز وجل ، وأما تعلق قدرته سبحانه بالخلق فمن حيث كونه مقدوراً له عز وجل قبل وبعد خلقه ، وتعلق إرادته سبحانه بالخلق فمن حيث كونه مراداً له بالكيفية أو بالماهية التي عليها المخلوق وعلى النحو الذي هو به كائن . أما تعلق الحكمة الإلهية بالخلق فمن حيث حدوث المخلوق بماهية وكيفية وحقيقة وفطرة وطبيعة معينة محددة أى بخلق محقق للأمر الذي خلقه الله تعالى من أجله ، لأن خلق الله عز وجل للمخلوق ، وكذلك فعله سبحانه في غيره من خلقه ، لا يكونان عبثاً ولا لهواً ولا لعباً ، لتزهره سبحانه عن هذا كله ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (طه / ٥٠) أى هداه لتحقيق الهدف من وجوده ويسره لما خلق له .

وكما أنه سبحانه لا يخلق ولا يفعل عبثاً ولا لهواً ولا لعباً ، فإنه لا يخلق ولا يفعل لغاية أو لهدف يريد هما لنفسه سبحانه ، لأنه الغنى عن غيره المنزه عن النقص والمنعوت بالكمالات المطلقة ، ومن ثم فهو لا يخلق مخلوقاً أو يفعل فعلاً لفائدة يريد لها لنفسه سبحانه ، فإذا لم يكن قد خلقه أو فعله لهدف أو لغاية أو لفائدة ، ولم يكن فعله أو خلقه كذلك عبثاً أو لهواً أو لعباً ، فلماذا يخلق الله تعالى ، ولماذا يفعل سبحانه ؟! الإجابة هي أن الله تعالى يخلق ويفعل لحكمة لأنه حكيم ، لأن العبث واللهو واللعب أحوال نافية للحكمة ، كما أن الحكمة نافية لها جميعاً ، فاتصافه سبحانه بالحكمة

يعنى تنزهه سبحانه عن هذه الثلاثة أو ما يماثلها وتنزهه سبحانه عن هذه الثلاثة إثبات
لصفة الحكمة له عز وجل .

وتعلق الحكمة الالهية بالخلق يكون من حيث كون هذا المخلوق مخلوقاً لأمر جد ،
وليس لأمر هزل أو للعبث أو للهو ، لذلك كان النبي ﷺ يناجى ربه فى افتتاح الصلاة
بقوله (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدُّك ولا إله غيرك) ومعنى
قوله ﷻ (تعالى جدُّك) أى علا خطر أمرك وتناهت عظمة حكمتك وتنزه أمر الخلق
من الهزل والعبث واللهو : فأمر الله عز وجل جد وليس أعلى من هذا الجد فى
الوجود .

ومن أجل هذا الأمر الجد خلق الله تعالى الانسان الذى هو أكرم الخلق وله حكمة
عظيمة جليلة باعتبار أن الانسان هو أهم مخلوقات الله عز وجل وأعلاها وأجلها وأكرمها
عنده .

وترتبط الحكمة من خلق المخلوق بوجوده إرتباطاً وثيقاً ولا تفارقه فى مرحلة من
مراحل وجوده ، وذلك لأنها ترتبط بالغاية من وجوده والهدف من حياته ومع أن الله عز
وجل منزّه عن أن يكون له غاية أو هدف من الخلق ، فإن هذا لا ينفى ان يكون
للمخلوق غاية أو هدف سواء جلب نفع أو دفع ضرر أو أذى ، لأن حقيقة المخلوقية تكمن
فى الفقر والضعف والتداعى للفناء ، ومن ثم تكون غاية المخلوق مرتبطة بوجوده من
ناحية ، كما أن أهداف المخلوقات مرتبطة ومنبثقة من طبيعتها المؤدية إلى استمرار وجودها
والإنسان خليفة الله تعالى فى الأرض سخر الله تعالى له ما فى الأرض جميعاً ، فهو
أكرمها وأفضلها ، خلقه الله تعالى لحكمة وخلق السماوات والأرض لنفس حكمة خلق
الانسان ، ومن ثم فالسماوات والأرض والكائنات الأخرى مخلوقة لتحقيق الحكمة من
الوجود الانسانى ، وهذا يدل على أن السماوات والأرض وكل ما فى الأرض مخلوق
للإنسان وليس العكس ، قال تعالى ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم
استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شى عليم ﴾ « ٢٩ / البقرة »

فما هي الحكمة من خلق الانسان التي هي أيضاً الحكمة من خلق
السموات والأرض ؟

الحكمة العليا من الخلق هي ابتلاء الانسان قال تعالى ﴿ وهو الذى خلق السموات
والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾
« هود / ٧ » فخلق السموات والأرض وكل ما فيها ، وطبائع جميع المخلوقات السماوية
والأرضية أبدعها الله تعالى لتكون صالحة جميعاً لابتلاء الإنسان ويقول أدق لابتلاء
الانس والجان باعتبار أن الخطاب القرآنى موجه للإنس والجن ومعاً ، ومن حيث أن
رسول الله ﷺ النبى الخاتم والمنزلة عليه الرسالة الخاتمة مبعوث للإنس والجن جميعاً .

الاضداد والنقائض في الحياة الدنيا مختلطة لتحقيق الابتلاء :

فجعل الله تعالى الموت والحياة والظلمات والنور والفجور والتقوى وكوارث الأرض
وزينتها وشفاء الحياة الدنيا ومتاعها والذكر والأنثى والفقر والغنى والمرض والصحة
والحرب والسلام والشر والخير والألم واللذة ، وسائر المتناقضات والاضداد فى هذه الحياة
الدنيا لتحقيق الابتلاء باعتبار أن الابتلاء هو الحكمة الإلهية من خلق الانسان فى هذه
الحياة الدنيا بسمائها وأرضها ، ومن ثم خلق الله تعالى هذه الحياة الدنيا مملوءة بالنقائض
والأضداد ، فليس فيها شئ إلا ويوجد نقيضه ، لأن الابتلاء الذى هو الامتحان يتحقق
فى الوجود الإنسانى الدنيوى من خلال صراع المتناقضين ، ولو خلت الحياة الدنيا من
المتناقضات لما صلحت للإبتلاء ، وتبين لنا هذه الحقيقة واضحة جليلة إذا إستعرضنا
أحوال الحياة الآخرة كما وردت فى الكتاب والسنة بعامة عن أحوال الجنة والنار حيث
قد ورد عنه قوله ﷺ : (ما فى الآخرة من دار إلا الجنة أو النار) والجنة دار للنعيم بل
هى أفضل دار للنعيم المقيم كما أن النار دار للعذاب والشقاء ، بل هى أبدع دار للعذاب
الأبدى الدائم ، ومن ثم فليس فى الجنة موت أو شقاء أو ألم أو مرض أو حزن أو حرب
أو حتى أدنى منغص أو مسبب لأقل ضيق أو حتى أصغر قلق أو نصب فالحياة الآخروية
فى الجنة متاع خالص دائم ، ومن ثم ليس فى الجنة من الأضداد شئ لأن كل ما فيها

خير محض وسلام دائم ونعيم خالص وحياة طيبة نقية من الخبث والشر والألم ، حتى أنه لا لغو فيها ولا تأثيم ، واللغو هو الخطأ اللفظي ومن ثم فإنعدامه من الجنة يفيد انعدام الخطأ السلوكي ، ولا يصيب أهلها أدنى نصب أو تعب ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ « ٣٤ - ٣٥ / فاطر » واللغوب أهون التعب أما نقائص كل ما في الجنة وأضداده فيفصله الله عز وجل ويركمه على بعضه في دار العذاب ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ « ٣٦ - ٣٧ / فاطر » فليس في جهنم ، والعياذ بالله منها ، إلا العذاب الأليم ، والألم العظيم والشر المحض الخالي من أقل الخير وأدنى المتاع ، ليس فيها شيء واحد طيب وإن صغر ، ذلك أن الله عز وجل جمع فيها كل ما هو شرير خبيث ليعذبهم فيها بهذا العذاب الأليم ، وهذا هو اللازم الحتمي للابتلاء في الدنيا قال تعالى : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ « ٣٧ / الانفال » أي أن الحكمة من خلق السماوات والأرض في الحياة الدنيا ابتلاء الانس والجن ، والحكمة من الابتلاء هي فصل الخبيث عن الطيب وجعل كل ما هو طيب في الجنة : الطيبون لهم الحياة الطيبة فيها ابداً ، وجعل كل ما هو خبيث في النار : الخبيثون لهم الحياة الخبيثة الأليمة فيها ، ومن ثم يمكن القول أن النقائص والمتضادات مختلطة ممتزجة متفاعلة ، ومن ثم فهي متصارعة في الحياة الدنيا لتحقيق الابتلاء من خلال التفاعل والتصارع بين كل شيء وضده ، وكل حال ونقيضه ، وكل فريق وعدوه ، فيتولد من هذا كله الابتلاء الذي هو الحكمة من الحياة الدنيا ، فإذا ما انتهت الحياة الدنيا وصار الناس في الحياة الآخرة التي هي دار لجزاء الخير بالخير والشر بالشر فإن الله عز وجل يفصل ويفرق بين النقيضين من كل

شئ وبين الضدين من كل حال ، فيجعل عالماً للخير والنعيم لا يسكنه الا الطيبون ،
والآخر للشر والعذاب لا يسكنه إلا الخبيثون ، فيصير الطيبون الذين ثبت صلاحهم بعد
الابتلاء والتمحيص الى دار السلام والسعادة الابدية ، ويصير الخبيثون الذين اثبت
الابتلاء والامتحان فسادهم إلى دار العذاب والشقاء الأبدى ، فالحكمة من الحياة الآخرة
هى الجزاء ، والآخرة افضل دار ممكنة للجزاء للمحسنين الحسنى وزيادة ، وللمسيئين
شقاء وخسراناً دائماً أبداً .

فالابتلاء بمعنى الإختبار والامتحان والتمحيص يستتبع ويستلزم بالضرورة أن تكون
الحياة الدنيا الابتلائية محدودة الأجل إذ يعقبها الجزاء بالضرورة ، بعكس الحياة الآخرة
الجزائية التى يمكن أن تكون أبدية دائمة بمشيئة الله تعالى ، أى لا يلزم من كونها
جزائية أن تكون محدودة الأجل مثل لزوم المحدودية للحياة الابتلائية ، وكل هذا مقدر لله
تعالى قبل خلق السماوات والأرض .

- الإختيار البشري الصحيح أهم مقومات الإبتلاء :

ولتحقيق الابتلاء فى الحياة الدنيا خلق الله تعالى الانسان مختاراً بين الشر والخير
﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ﴾ ومن ثم زوده بالارادة المختارة التى تميل
بالذات الانسانية نحو الفجور أو نحو التقوى إذ ليس من مرجح لميل الانسان للتقوى أو
إقدامه على أفعال الفجور إلا إرادته المختارة التى بدونها لا يتحقق الإبتلاء قال تعالى :
﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها
مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم
مشكوراً ، كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ «
١٨ - ٢٠ / الاسراء » وقال تعالى ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ « ١٣٤ / النساء » وقال تعالى : ﴿ من كان يريد
حرث الآخرة نؤد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى
الآخرة من نصيب ﴾ « ٢٠ / الشورى » وقال تعالى ﴿ بل يريد الانسان ليفجّر أممه ﴾

« ٥ / القيامة » وكل هذه الآيات تثبت أن للإنسان إرادة يختار بها بين الدنيا والآخرة وبين الفجور والتقوى ، وقد سَوَّى الله عز وجل النفس الانسانية بحيث يتساوى فيها الفجور مع التقوى « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » « ٧ - ٨ / الشمس » أى أن نوازع الشر والهوى ودوافع الشهوات من ناحية متوازنة تماماً مع نوازع الخير وقوى الفطرة الضابطة للشهوات والقامعة للهوى من ناحية أخرى ، وفى كل موقف إبتلائى يجد الإنسان نفسه بين فعلين أو سلوكين أحدهما طاعة والآخر معصية ، والطاعة هى ما كان من العمل والفعل موافقاً للشرع الذى يكلف الله به الإنسان ، والمعصية هى ما كان من الأعمال والأفعال إستجابة للهوى والفجور وإشباعاً للشهوات بالسبل التى نهى عنها الله عز وجل .

أما الأفعال التى أمر الله تعالى بها والملبية لنوازع التقوى فتُكوّن سبيلاً واحداً فى الحياة أى نجداً واحداً هو نجد الخير ، ويكوّن مجموع الأفعال التى نهى عنها الشرع المنزل من عند الله نجد الشر ، وقد بيّن الله عز وجل للإنسان النجدين ، يثبت هذا قوله تعالى « وهديناهم النجدين » « ١٠ / البلد » فبسطهما أمام الإنسان ، إذ لا يصح الإختيار إلا إذا كان كل نجد منهما معلوماً وواضحاً وميسراً أمامه .

وهما أيضاً بالنسبة لطبيعته الإبتلائية متساويان فلا يحب الإنسان أحدهما أكثر من الآخر قال رسول الله ﷺ وسلم فى تفسير هذه الآية (يا أيها الناس إنهما النجدان : نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير)^(١)

وأيضاً جعل الله عز وجل الشيطان داعياً للشر وموسوساً ومزيناً للمعصية لحظة إختيار الإنسان بين الشر والخير ، وجعل له أيضاً داعياً ومزيناً للطاعة وحاضماً على الخير من الملائكة بنفس قوة تأثير الشيطان داعى الشر ، وهذا واضح من قوله ﷺ (لمة من الملك ولة من الشيطان فأما لمة الملك فإيعاز بالخير وتصديق بالحق وأما لمة الشيطان فإيعاز بالشر)

(١) رواه ابن جرير عن الحسن مرسلاً .

تمكين الله عز وجل العبد المبتلى من الفعل الذي يختاره وتيسيره له تحقيقاً للابتلاء :

بهذه المقومات التي وهبها الله للانسان يقوم الاختيار صحيحاً حقيقياً إذ تكون الارادة الانسانية محايدة تماماً لحظة الاختيار لكونها بين قوتين دافعتين نفسيّتين متوازنتين ومتساويتين تماماً أى أنهما متعادلان فى الفجور والتقوى وأمامها موضوعين للاختيار واضحين متوازيين أيضاً هما نَجْد الشر ونَجْد الخير ، كما أن لمة الملك متساوية ومتعادلة مع لمة الشيطان أيضاً ، بالتالى لا يكون ثمّ مرجح لحظة الاختيار لميل النفس واختيارها هذا النجد أو ذاك إلا الإرادة المحايدة والتي هى خاصية ذاتية للكائن المبتلى ، وعلى هذا فالميل إلى أحد النجدين هو ميل الذات الانسانية إليه بالاختيار الحر .

فإذا ما ظهر عزم وتصميم إرادة الانسان على فعل الطاعة يسره الله تعالى له ﴿ فإما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ ٧٠٥ / الليل ،

وإذا عزم الكائن المبتلى على فعل المعصية وأصر عليه يسره الله تعالى له ﴿ وأما من بغل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ ٨ - ١٠ / الليل ، أى أن الله عز وجل يسر للعبد المبتلى الفعل الذى يختاره بإرادته وتميل إليه نفسه إن طاعة وإن معصية ، وسواء أكان خيراً أم شراً وهذا يؤكد صحة الاختيار اللازم لتحقيق الابتلاء .

الإختلاف والتفرق أثران لازمان حتميَّان لصحة الاختيار المحقق للابتلاء :

إذا اكتملت مقومات الاختيار وقام صحيحاً على مقوماته كاملة وتحقق الابتلاء ، فإن النتيجة الحتمية اللازمة لذلك هى إلّزام البعض بنَجْد الخير وإختلاف البعض معهم وسلوكهم بنَجْد الشر ، ومن ثمَّ يَسْتَتَبِع هذا الإختلاف بين أفراد الكائن المبتلى المختار التفرق إلى فرق وأحزاب ، ولما كان الابتلاء هو الحكمة الإلهية من خلق الانسان والجان فى الحياة الدنيا ، لزم من هذا أن يظل الانس والجن أحزاباً وفرقاً مختلفين طيلة هذه الحياة الدنيا قال تعالى ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت

من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ﴿ ١٩ / يونس ﴾ أى أن الناس قبل إبتلائهم كانوا أمة واحدة على الفطرة التى يولدون بها ، فإذا بلغوا سن التكليف وعبروا إلى عالم الابتلاء وصح منهم الاختيار ، اختلفوا بالضرورة بين مطيع وعاص أو بين مؤمن وكافر ، وكذلك كان الناس أمة واحدة فى البدء بعد نزول آدم وزوجه وبعد إنجابهما حتى كبرت الذرية وابتلاهم الله فكفر قابيل لما قتل أخاه هابيل وعاش مع أخته المحرمة عليه زانيان وأنجبا وأصبحا قبيلاً شيطانياً وفريقاً كافراً مطيعاً لإبليس وعدوا لآدم وابنائهم الطيبين ، وافترقت البشرية يومئذ إلى حزبين : حزب الله عز وجل وحزب الشيطان .

أما الدليل على أن الناس سيظلون مختلفين ما دامت الحياة الدنيا فهو قوله تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ (١١٨ - ١١٩ / هود)

فانظر إلى قوله تعالى ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾ أى لو شاء لجعلهم غير مختلفين ، اذن فماذا شاء الله عز وجل ؟ لا نقول أنه شاء أن يختلفوا ، وإن كان الاختلاف واقع وكائن بينهم بمشيئته ، ولكن نقول لقد شاء الله عز وجل أن يخلقهم للإبتلاء ، ومن ثم زودهم بمقومات الاختيار الحر حتى يصح الابتلاء ، ومن شأن هذا الكائن المختار أن يختلف بالضرورة ، لانه لا يكون على مسلك واحد إلا الكائن المصير ، أما المخير فلا بد أن يختلف وبارادته الحرة ، وحيث أن الحياة الدنيا كلها ابتلاء للانس والجن ، فمن اللازم الضرورى الحتمى عن هذه الحقيقة ان يختلفوا ويظلوا مختلفين الى نهاية الحياة الدنيا أو الى نهاية الابتلاء ، ومن ثم قال ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ أى سيظل إلى نهاية الحياة فى الانس والجن الذين يختلفون عن الصراط المستقيم ويفترقون عن الملتزمين للهدى والصراط المستقيم ، وهؤلاء الذين رحمهم الله تعالى فلم يخرجوا ولم ينحرفوا عنه ثم قال تعالى ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ أى خلقهم للابتلاء الذى من نتيجته

الحتمية الرئيسية الاختلاف الذى من أجله خلق الله الإنسان والجن ، إذ بهذا الاختلاف يميز الله الخبيث من الطيب ، فيأخذ الخبيث فيجعله فى جهنم ، وتتم مشيئة الله تعالى بأن يملأ جهنم بالخبيثين من الجنة والناس أجمعين قال تعالى ﴿ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ ١٠٠ / المائدة ، ومن ثم لابد من أن يميز الله تعالى بينهما قال تعالى ﴿ ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ ١٧٩ / آل عمران ، وذلك بالابتلاء الممحص لما فى القلوب فيظهر الخبيث الذى يبطنه المنافقون الذين يعيشون بين المؤمنين . وبعد فصل الخبيث عن الطيب بالابتلاء طيلة الحياة الدنيا يركم الله الخبيثين بعضهم على بعض فى جهنم يوم الدين قال تعالى ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعلهم فى جهنم أولسئك هم الخاسرون ﴾ ٣٧ / الانفال ، الخاسرون لأنفسهم فى الإبتلاء أى الامتحان ومن ثم فإن اختلاف الانس والجن وإفتراقهم فريقين : طيب وخبيث نتيجة للابتلاء ليس فى الدنيا فقط ، بل إفتراق أبدى يبدأ هنا فى الدنيا ، وتظل الفرقة والتباعد بينهما مستمرة فى الآخرة فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

النتيجة الحتمية للاختلاف والافتراق هي الصراع بين الطيب والخبيث : -

معنى الاختلاف فى الآيات السابقة الوارد فيها الاختلاف هو الاختلاف عن الصراط السوى المستقيم ، لأن الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهى الحنيفية الرافضة لأديان الشرك والكفر والإلحاد هى معيار الحقيقة الصحيح الدقيق ، لأن الذين يرفضون الإحتكام إلى طبيعتهم الأولى التى ولدوا بها والتى انحرفوا عنها هم المخالفون ، وهم المفارقون لحقيقة الانسانية ، أى المفارقون لحقيقتهم المنخلعون عن آدميتهم ، ومن ثم قال تعالى : ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ﴾ أى أن المختلفين هم مختلفون ومفارقون للصراط المستقيم الذى معياره فطرتهم التى ولدوا بها أى طبيعتهم الأولى ، فالذين

حالفوها وخرَّجُوا عليها هم المفارقون لآدميتهم وإنسانيَّتهم فهم الضالون والذين حافظوا على فطرتهم الموحدة هم أهل الحق الموحدون ، ومن ثم فهؤلاء حزب الله عز وجل المؤمنون ومن خالفهم هم أهل الباطل المشركون الكافرون ، وأولئك هم حزب الشيطان باعتبار إبليس هو أول المخالفين للصراط وللتوحيد من الجنَّة والناس ، ثم تبعه قابيل الذي صار خليفة إبليس في الانس وصوته الناطق بالشر والكفر والضلال ويده المنفذة للإفساد في عالم الانس فالتجربة الابتلائية الأولى في الحياة الدنيا كانت لإبليس إذ أمره الله تعالى وأمر الملائكة بالسجود لآدم مكرماً له عليه وعلى الملائكة فحقد وأبى أن يسجد مع الساجدين ، ثم كانت التجربة الابتلائية الثانية لآدم ، إذ حرم الله عليه الأكل من شجرة واحدة من أشجار الجنة وأباح له الأكل رغداً من سائر الأشجار فإذا به يعصى ربه عز وجل هو وزوجه ، ولكن سرعان ما تاب آدم وزوجه ونَدِمَا وغفر الله تعالى لهما .

وهكذا يكون شأن كل البشر في الابتلاء ما من أحد إلا ويخطئ ويعصى ربه عز وجل ، كما أخبر رسول الله ﷺ بهذا فقال (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) وإنما يتفاضل المؤمنون يوم القيامة بقلة المعاصي وسرعة الرجوع والتوبة إلى الله عز وجل ، فالخطأ والمعصية نتيجة لازمة عن الابتلاء وصحة الاختيار ، والله عز وجل برحمته وكرمه يغفر للناس كل ما هو دون الشرك من الذنوب والمعاصي ولا يغفر الشرك للمشرك ، لأن الشرك هو الذي يخرج المشرك بالكلية عن الصراط المستقيم فينتقل من كونه عبداً لله وحده بمقتضى الفطرة والجبلة ليصبح عبداً للطاغوت ، أى للشيطان ، جنأ كان أم إنساً . أى أنه ينتقل إلى حزب الشيطان ويقف معه في خندق واحد في مواجهة المؤمنين عدواً لله عز وجل وعدواً لأنبيائه وحزبه الموحدين .

فالخروج عن التوحيد والصراط المستقيم تحوُّلٌ من خندق إلى الخندق المقابل في الصراع .

وذلك لأن الله تعالى قدَّر بأن يتصارع الفريقان والحزبان باعتبار هذا الصراع نتيجة حتمية للاختلاف الجذري الأصولي بين الفريقين وقد شاء الله تعالى هذا الصراع

تحقيقاً للإبتلاء ﴿ ... ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض
والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ (محمد / ٤)

إن الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان قد بدأ منذ معصية إبليس الأولى وهو
يستمر إلى يوم القيامة وعلى وجه التحديد إلى جيل الاشرار الذى تقوم عليه الساعة .

وهذا الصراع يبدأ بالكلمة لبيان الحق والتوحيد من الباطل والشرك ، يأخذ مراحل
متعددة ليصل إلى النزال الدموى المسلح الذى تكون نتيجته سفك الدماء ، وقد يصل إلى
الحد الذى يتناول فيه أهل الباطل حزب الشيطان ، بعد أن يحققوا انتصارات على
المؤمنين ، إلى التفكير والتخطيط لاستئصال الموحدين أى حزب الله تعالى من الأرض
لتخلو لهم ولفسادهم ولتحقق حلم الطاغوت الأبليسى الدجالى القديم (نسبة إلى
المسيح الدجال) باعلان ألوهيته وربوبيته على البشر .

هذا هو الحال الذى صار اليوم فيه المؤمنون قلة مستضعفة حتى أغرى ضعفهم
وقلتهم حزب الشيطان بالتفكير والتخطيط لاستئصالهم والقضاء عليهم لينفرد حزب
الشيطان بالأرض قد حدث من قبل فى حضارات ومجتمعات تاريخية سابقة ، وهو
حادث الآن فى الأرض كما سنرى ولله فى مثل هذا الحال التاريخى من أحوال الصراع
سنة لمعاملة المتصارعين سيأتى بيانها بعد بإذن الله تعالى .

وإذا كان حزب الله يخسر بعض الجولات فى الصراع فهل يجوز عليه الهزيمة
النهائية الكاملة الماحقة ؟!

الفصل الثالث

الصراع بين الخير والشر
هو المحور الذي يدور حوله
التاريخ البشري

الصراع بين حزب الله عز وجل أهل الخير وحزب الشيطان أهل الشر هو المحرك الرئيسي لأحداث التاريخ البشري :

قال تعالى ﴿ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ « الأنبياء / ٣٥ »
فالصراع بين أهل الشر وأهل الخير هو المحور الذى تدور حوله أحداث التاريخ وهو المحرك لهذه الأحداث أيضاً .

فليس المحرك الرئيسى هو المال ووسائل الانتاج وأدواته كما قال ماركس واليهود وأشياعهم وليس هو القومية ولا الاختلاف الثقافى هما المحرك الرئيسى . كما قال آخرون ، وليست العوامل السياسية الداخلية للمجتمع أو الخارجية أيضاً هى المنشئ الرئيسى للحدث التاريخى وليست العصبية العرقية أو القبلية هى العامل الرئيسى لقيام الدول وسقوطها وسيطرة الحضارات وضعفها كما زعم ابن خلدون ، وليست الشخصيات القيادية أى الزعماء أو من أطلق عليهم جوستاف لوبون « الأبطال » هم المحرك الرئيسى لأحداث التاريخ ، مثل قيام الدول وسقوطها ونشوء الحضارات وضمودها إلا أن يكون هؤلاء الاشخاص هم الرسل والأنبياء ، ومن ثم لا يكون المحرك الرئيسى للتاريخ شيئاً سوى الدين ، وهو ما ذكرناه فى هذا العنوان الذى قصدنا منه أن الصراع التاريخى الانسانى صراع دينى فى المقام الأول ، لأنه صراع بين حزب الله وبين حزب الشيطان أى أنه صراع بين أهل الايمان والخير والحق الطيبين وبين أهل الكفر والشر والباطل الخبيثين ، أى بين الموحدين والمشركين .

فالعقيدة هى محور الصراع وذلك منذ أن أشرك المشركون وخرجوا عن الصراط المستقيم ، وخالفوا فطرتهم التى فطرهم الله تعالى عليها وصاروا فى صفوف حزب الشيطان ، ومن ثم وقفوا فى خندق العداء لله عز وجل معه وتحت لوائه فى مواجهة المؤمنين حزب الله . أما العوامل الأخرى المحركة لأحداث التاريخ فهى عوامل ثانوية أولية وإضافية وليست رئيسية ، ومساعدة وليست محركة من الأصل شأنها شأن هبوب الريح على النار المشتعلة فتزيدها اشتعالاً ، ولكن إذا هبت الريح على مكان غير مشتعل أصلاً

فلن يشتعل مهما كانت قوتها ، وتعليل هذا أن الذين يخرجون عن الصراط المستقيم ويخالفون فطرتهم بالكفر والشرك وإتباع حزب الشيطان يصبحوا من أهل الدنيا والمتاع إذ يسلكوا سبلاً متعددة على جانبي الصراط وهو شأن المختلفين الذين تولوا عن دين الله تعالى المنزل من عنده وقد حذرنا الله تعالى من الخروج على الصراط وسلوك السبل فقال تعالى ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (١٥٣ / الانعام)

وقد بين رسول الله ﷺ تفسير هذه الآية فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ خطباً بيده ، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » وخط عن يمينه وشماله ثم قال « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾^(١)

فالسبل المخالفة للهدى الإلهي خارجة عن يمين الصراط المستقيم وعن شماله ، وعلى كل منها شيطان يدعو الناس أن يخرجوا عن الصراط المستقيم ، ليدخل في سبيله المنحرف وعلى هذا فأصحاب الصراط السوي المهتدون حزب واحد هو حزب الله وأمة واحدة يجمعهم مقصد واحد وطريق واحد ويخالفهم الذين يستجيبون للشياطين الداعية للانحراف إلى السبل المتعددة وهؤلاء المخالفون يجمعهم جميعاً الضلال ، ومن ثم فهم جميعاً حزب واحد ، هو حزب الشيطان : إبليس وجنوده وهم الشياطين الصغيرة الذين يقفون على رأس السبل المنحرفة وأتباعهم من الإنس والجن هم الحزب المعادي لحزب الله أصحاب الصراط السوي المهتدين ، لكن أصحاب حزب الشيطان المتحدين في مواجهة حزب الله يسلكون ، مع إتحادهم هذا سبلاً متعددة مختلفة ، ولأنهم جميعاً ، لمّا استجابوا للشياطين ، صاروا مثلهم مؤثرين للحياة الدنيا على الآخرة ، فإن هذه السبل التي سلكوها تجعل منهم فرقاً متناحرة فيما بينهم متعادية أيضاً لتنافسهم على الدنيا ،

(١) رواه الحاكم وقال صحيح ولم يخرجاه . عن تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٩٠

ومن ثم يقوم بينهم صراع على الدنيا وأعراضها المتمثلة فى الجوانب الاقتصادية والسياسية والعصبيات القومية والقبلية وغيرها .

وعلى هذا فالمحرك الاساسى الأول للصراع البشرى المولد للأحداث التاريخية هو إختلاف العقائد والأديان أى أن الصراع الرئيسى الحقيقى هو بين المؤمنين الموحدين وبين الكفار المشركين ، وهذا الحزب الأخير ، وإن كانت فرقه تختلف فيما بينها إلى حد الصراع والحروب الدموية على المصالح الدنيوية ، إلا أنه يتحد عندما تكون المواجهة ضد المسلمين أى حزب الله عز وجل .

لذلك نقول أن العوامل الاقتصادية والسياسية والقومية والثقافية والتاريخية وغيرها كلها عوامل ثانوية فى الصراع والعامل الرئيسى هو الدين ومن ثم فحركة التاريخ صراع بين أهل الحق الذين هم أمة واحدة هى أمة الإسلام وأهل الباطل متعددى الفرق والأمم ومعنى هذا أن التاريخ البشرى هو تاريخ الانبياء والرسالات السماوية .

السنن الإلهية الحاكمة للصراع بين حزب الله تعالى وحزب الشيطان التي يسير بحسبها التاريخ البشرى :

وليس موضوع هذا البحث إحصاء هذه السنن لأن هذا يستغرق موسوعة ذات مجلدات عديدة ، ولأن هذا الكتاب كله استعراض لبعضها بصفة عامة ، مع تطبيق على الصراع الاسلامى اليهودى بصفة خاصة ، وإنما نود هنا أن نقرر أن التاريخ البشرى يسير حسب قوانين وسنن ونواميس مرادة لله عز وجل ومقدرة له سلفاً قبل خلق السماوات والأرض ، فقيام الدول والحضارات وإنهارها يتم بسنن إلهية .

وسنة التاريخ العامة أن الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان يتم بحسب قانون العلية أو السببية ، بمعنى أن الذى يأخذ أسباب النصر من الفريقين أكثر من الآخر ينتصر وأن الذى يهمل فيها يهزم أمام الفريق الآخر ، لأن الله تعالى شاء أن يكون الصراع بين الحزبين إبتداء بالكلمة وإنتهاء بالسيف ، تحقيقاً للابتلاء ، ومن ثم حضّ الشرع

المؤمنين على قتال الكافرين ، فيقتلون منهم ويقتلون ليصيروا شهداء ، ومعنى هذا أن الله عز وجل لا يتدخل بقدرته للقضاء على الكافرين بخوارق السنن والعادات وبما يخالف قانون السببية ، وهو سبحانه قادر على هذا ، وإذا شاء فعل ، ولكنه أخبر أنه سبحانه لا يفعل هذا تحقيقاً للحكمة من خلق الإنسان في الحياة الدنيا وهي الإبتلاء فقال ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعدُ وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ ٤ / محمد ، أى أنه شاء أن يكون إنتصار المؤمنين على الكافرين بجهاد المؤمنين وبأخذهم بأسباب النصر المادية من عدة وعتاد وتدريب وتخطيط وغير ذلك من فنون الحرب ما دام هذا ميسوراً لهم ، فإن قصروا فقد تصيبهم الهزيمة مثل ما حدث فى أحد ، وكاد أن يحدث فى حنين ، وحدث مع المسلمين بعد ذلك فى الحروب الصليبية وأقربها هزيمة ١٩٤٨ . ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ أمام اليهود ، وقد شاء الله تعالى هذه السنة العامة فى النصر والهزيمة لحزبه تحقيقاً للإبتلاء ﴿ ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ أى أنه عز وجل يتلى الحزبين بعضهم ببعض من خلال الصراع بأشكاله المختلفة وعلى رأسها الصراع الحربى المسلح .

تلك هى سنة النصر والهزيمة العامة ، أى فى الأحوال المعتادة ، فما دامت الحرب سجال فالسنة العامة هى الحاكمة .

ولكن تحدث أحوال يتدخل الله عز وجل فيها بقدرته لنصر حزبه على حزب الشيطان بخلاف هذه السنة العامة أى بخوارق لقانون السببية ، ولكى نعرف هذه الأحوال أو أهم هذه الأحوال ، نذكر بأن الله عز وجل لا يسمح ولا يأذن بأن تتوقف حقيقة الإبتلاء باعتبارها الحكمة التى من أجلها خلق الله الانسان وكل شئ فى الارض ، أى أنه عز وجل شاء من سنن التاريخ ما يضمن استمرار صلاحية الارض وصلاحية الحياة للإبتلاء ، ومن ثم يضبط الله تعالى بهذه السنن سير التاريخ ، ويدفع الناس بعضهم ببعض كلما

بدا تداعى الحياة الانسانية نحو الفساد المانع عن تحقيق الابتلاء وأخطر مانع إنما يكون بالقضاء على مقومات الاختيار الصحيح .

وحيث قد علمنا أن أهم عامل لتحقيق الابتلاء ، هو صيانة الاختيار البشرى وبقاء مقوماته الأربعة ، تلك المقومات التى يتحقق بها للإرادة الاستواء اللازم لصحة الاختيار والتعادلية الضرورية لتحقيق الاختيار الصحيح .. فإن ضياع هذه التعادلية وانعدام حالة الاستواء يعنى فقد الاختيار الصحيح وبطلان الابتلاء ، فإذا بدأت أحوال الأرض تفسد بحيث توشك أن تنعدم حالة الاستواء ، وتنهك التعادلية اللازمة للاختيار والإبتلاء ، فإن الله عز وجل يتدخل بقدرته سبحانه لاعادة الاحوال والظروف المواتية والمناسبة لقيام حالة الاستواء وتحقق التعادلية فيتم ذلك ويحققه سبحانه سواء بامور موافقة لقانون السببية أو مخالفة لها .

فما معنى إنعدام الاستواء اللازم لصحة الاختيار وسقوط ميزان التعادلية الضرورى لصحة الابتلاء ؟

إذا تذكرنا أنه لا يصح الإبتلاء إلا بوجود النفس الانسانية أو بتعبير أدق الارادة الإنسانية بين قوتين متعادلتين للفجور والتقوى ، ونجدين متساوين للشر والخير وهاتفين متكافئين للكفر والايمان أو المعصية والطاعة ، فإذا صارت نتيجة الصراع مؤذنة بضعف حزب الله واستئصال عناصره وهدم مساجده وإخفاء عقيدة الحق ونور الهدى الربانى من الأرض ، فإن الرشد لن يتبين للناس بعد ذلك من الغى ، وستخرج أجيال من الناس لا يصح لها إختيار ولا يتحقق الابتلاء الصحيح لها ، حينئذ يوقف الله عز وجل عدوان حزب الشيطان على المؤمنين ويبطل مخططهم الاستئصالي للمسلمين وهدم مساجدهم وطمس الهدى الربانى المنزل عليهم ، إذ من المعلوم بشواهد التاريخ الكثيرة المتكررة: أنه لو استطاع الطاغوت وأعداء الله أن يزيلوا من الأرض كل ما يعبد فيه الله عز وجل حتى ولو كانت عبادة على سبيل الشرك مثل المعابد والصوامع والبيع والكنائس لتصبح البشرية ملحدة منكرة بالكلية للألوهية لفعل ، أى أنه لو استطاع أن يزيل من الأرض ذكر اسم

الله عز وجل لفعل ، وهذا هو مقصد الطاغوت ومبتغاه وغايته العليا في إدارة حزب الشيطان خلال أحداث الصراع ، بيد أن الله عز وجل لكى يبقى على الأرض صالحة للابتلاء وعلى الحياة صالحة للاختيار ، فإنه سبحانه ، بحكمته وقدرته وعلمه ومشيته ، يمنع حدوث هذا حفاظاً على استمرار الاختيار والابتلاء لكى تستمر الحياة وأحد نماذج تطبيق هذه السنة في القرآن الكريم إنتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة وهو أمر خارق لقانون السببية أو مخالف له ، ذلك أن الفئة القليلة ، إذا كانت هي الفئة الوحيدة الموحدة المؤمنة المجاهدة فى سبيل الله عز وجل ، فإن هزيمتها قد تؤدي إلى إستئصال الكافرين لهذه الفئة القليلة ، ومن ثم تفسد الأرض فلا تعدّ صالحة للاختيار إذا إنعدمت هذه الفئة إذ يختفى نجدُ الخير ، ويسقط ميزان التعادلة اللازم للابتلاء ، وهو ما لا يأذن الله به ولا يسمح بسقوطه ما دام للبشرية أجل .

ومن ثم ينصر الله عز وجل هذه القلة المؤمنة قليلة العدد والسلاح ، ومثل تطبيق هذه السنة فى القرآن طالوت وجنوده ومنهم داود عليه السلام قال تعالى : ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ، ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ ٢٤٩ / البقرة

وفضل الله على العالمين فى هذه الآية أنه يحمى الأرض من الفساد المانع من صحة الاختيار ، وهذا لا يكون إلا إذا أطبق الكفر والشرك على البشر جميعاً حتى يختفى نجدُ الخير تماماً . ومن ثم ينصر بإذنه الفئة المؤمنة القليلة التى إذا انهزمت استأصلها الكافرون

وعم الظلام كل البشر ، وذلك بسنة الدفع منعاً لفساد الأرض . وذلك لأن بنى إسرائيل يومئذ كانوا أهل التوحيد دون غيرهم من الشعوب التى حولهم ، وهزيمتهم من هذه الشعوب الوثنية سيؤدى حينئذ إلى القضاء عليهم ، أما إنتصارهم فقد أدى إلى دخول الأرض المقدسة ، ومن ثم قيام الخلافة الإسلامية ، بقيادة داود ثم سليمان ونشرت مملكة داود وسليمان عليهما السلام الاسلام فى كل الأرض حولها ونشرت التوحيد فى جميع الشعوب حولهم حتى فى شعب اليمن .

ومجمل هذه السنة أن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا إذا كانوا قلة مستضعفة مستهدفة للاستئصال من حزب الشيطان قال تعالى ﴿ إِنْ اللَّهُ يُدَافِعْ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ، أَدْنَى لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْنِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنْ اللَّهُ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغِيرَ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ، وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرَ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَنِيَّ مَعْطِلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (٣٨ - ٤٨ / الحج)

هذه الآيات الكريمة تتضمن عدة سنن تاريخية تحكم الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان ، ذلك أن المؤمنين الأوائل اسابقين بسبب قلتهم وضعفهم يواجهون من التعذيب والتنكيل والقتل ما يهدد وجودهم وإستمرارهم ويوقف تزايدهم ومن ثم ولأن

فناءهم قد يؤدي إلى توقف الابتلاء وسقوط ميزان الاستواء والتعاضلية اللازم للاختيار فإن الله عز وجل يدافع عنهم ، حتى يشتد عدوهم ويصبحوا متكافئين مع عدوهم وعدو الله عز وجل عدداً وعتاداً . ومعنى أن الله يدافع عن الذين آمنوا أى أنه يتولى حمايتهم من الهزيمة الماحقة المستأصلة سواء حسب قانون السببية أو بخوارق العادات إذا إنعدمت الأسباب ، وبخاصة إذا كان عدوهم الكافر غادراً خائناً لا يرقى العهد ولا يحترم العقود .

وتطبيق هذه السنة فى موقعة طالوت المذكور فى قوله تعالى ﴿ فهزموهم بإذن الله ﴾ إذ أن كل ما يقع فى الكون يقع بإذن الله تعالى وقدره ومشيئته ، ومن ثم فتقرير وقوع هزيمة المشركين بإذن الله يفيد أنه إذن بمخالفة سنة السببية العامة وبحسب سنة الله تعالى فى دفاعه عن الذين آمنوا وحمايتهم من الإبادة ولو اجتمع عليهم ، وهم قليل ، كل أهل الأرض ، ومن ثم أذن لهم بالدفاع عن أنفسهم بالقتال بعد أن ظلمهم أعداء الله عز وجل لا لشيء إلا لأنهم موحدون فأخرجوهم من ديارهم واعتقلوهم وسجنوهم وعذبوا أجسادهم من غير ذنب إلا قولهم ربنا الله ، والله عز وجل يحميهم ويدافع عنهم بسنة الدفع التى لولاها ﴿ لَهْذِمْتَ صَوَامِعَ وَبِيعَ وَصَلَوَاتِ وَمَسَاجِدَ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا .. ﴾ قال ابن كثير « أى لولا أنه يدفع بقوم عن قوم ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفستت الأرض ولأهلك القوى الضعيف ﴾ لَهْذِمْتَ صَوَامِعَ ﴾ وهى المعابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم . وقال قتادة هى معابد للصائين وفى رواية عنه صوامع المجوس ، وقال مقاتل بن حبان هى البيوت التى على الطرق . ﴿ وَبِيعَ ﴾ وهى أوسع منها وأكثر عابدين فيها ، وهى عند مجاهد وغيره كنائس اليهود ، وحكى السدى عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا كَنَائِسُ الْيَهُودِ وَمَجَاهِدٌ قَالَ هِيَ الْكَنَائِسُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وقوله : ﴿ وَصَلَوَاتِ ﴾ قال العوفى عن ابن عباس الصلوات الكنائس ، وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة أنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات ، وحكى السدى عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا

كنائس النصارى . وقال أبو العالية وغيره : الصلوات معابد الصابئين . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : الصلوات مساجد لأهل الكتاب ، ولأهل الاسلام بالطرق ، وأما المساجد فهي للمسلمين وقوله ﴿ يَذْكُرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ فقد قيل الضمير فى قوله ﴿ يَذْكُرُ فِيهَا ﴾ عائد إلى المساجد لأنها أقرب المذكورات وقال الضحاك : الجميع يذكر فيها اسم الله كثيراً وقال بعض العلماء هذا ترقى من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهى أكثر عماراً وأكثر عباداً وهم ذور القصد الصحيح^(١)

وهذا هو الذى أرجحه بدليل قوله ﴿ يَذْكُرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ ﴾ واسم الله يذكر فى هذه الأماكن المخصصة للعبادة عند كل الامم أما مساجد المسلمين فيذكر فيها الله كثيراً ويذكر فيها أيضاً اسم الله أكثر ، فما من أمة مهما كانت عقيدتها شركية ضالة ، إلا وهى تقر بخالق الكون ولله فى لغتها اسم بل وأسماء ، فالخلاف بينهم ليس فى وجود الخالق سبحانه بل فى صفاته وأسمائه ، والشاهد الذى هو مطلبنا فى هذا النص هو أن الله عز وجل يحمى ويدافع عن كل بيوت العبادة فى الأرض ، سواء بالنسبة للموحدين أو للمشركين بل وللضالين ضلالاً بعيداً ، وهم المجوس وغيرهم .

وحمايته لهذه الدور معناه مشيئته سبحانه فى إبقائه سبحانه على كل ما يختاره الناس من عقائد تعادى عقيدة التوحيد بطبيعة الحال ، ومن ثم يظل الاختيار صحيحاً .

أما حزب الشيطان ، فإن غاية خططه القضاء على كل دور العبادة عند كل الأمم حتى لا يذكر اسم الله تعالى فى الأرض ، وحتى لا يقال فى الأرض الله أملاً فى أن تعبده البشرية صراحة من دون الله . وقد تعددت محاولات الطاغوت خلال التاريخ البشرى منذ عهد نوح عليه الصلاة والسلام إلى اليوم ، لكى يقضى على دور العبادة عند كل الشعوب ، وحيث أن نجاح الطاغوت ، لا قدر الله تعالى ، فى تحقيق هذه الغاية الاستراتيجية العليا بالنسبة له تعنى قرب فناء البشرية وقيام الساعة ، كما سنرى ،

(١) تفسير ابن كثير / ج ٣ ص ٢٢٦

فإن الله عز وجل يمنع وصولهم إلى هذه الغاية ، وهذا من فضله على العالمين ، بل كلما تقدموا من هذه الغاية خطوة أبعدهم عنها بسنة دفع الناس بعضهم بعض خطوات وتاريخ البشرية الحديث يتضمن نجاح الطاغوت جزئياً في جزء كبير من الأرض ، ومن ثم إقترابه من هذه الغاية ، وذلك لما نادى ماركس بالمادية الجدلية الالحادية المنكرة تماماً للخالق ، ورغم تهافت مذهبه وسفاهته الفكرية إلا أن المال الصهيوني والدعاية والاعلام الصهيوني والسلطان الماسوني السياسي رسخ هذه التفاهات الفكرية ونشرها ، ثم بتدبير الصهاينة بقيادة الدجال حسب بروتوكولات خبثاء صهيون الذين قضوا بهذا الفكر اللعين على النظام القيصري النصراني الارثوذكسي الروسي بخدعة الاشتراكية العلمية والتقدمية وحاولوا القضاء على كل دور العبادة ، بل تم إغلاقها جميعاً وشنقوا آخر قسيس بامعاء آخر رأسمالي أرستقراطي أو بامعاء آخر أمير قيصري كما أعلنوا هم ذلك .

فما حدث في بلدان روسيا أولاً ثم في بلاد الاتحاد السوفيتي السابق : النصرانية منها والاسلامية تلك التي اجتاحتها الروس الشيوعيون في عهد ستالين إذ تم القضاء على دور العبادة وتحولت مناهج التعليم في المدارس إلى المادية البحتة التي تسخر ممن يؤمنون بالخالق عز وجل وتربى الأجيال بغاية تربوية إستراتيجية عليا وهي انكار الألوهية حتى لا يقال في الارض الله . ولكن بسنة الدفع أبطل الله عز وجل هذا المكر وعادت روسيا نصرانية وعادت الشعوب الاسلامية إلى إسلامها علناً بعد إن احتفظت به سرّاً تحت نير الإستعمار الروسي الشيوعي الرهيب قرابة سبعين سنة .

وسنعلم بعد أن الساعة ستقوم وسينتهى أجل البشرية بان يوقف الله تعالى سنة الدفع ويترك جيل الاشرار ينتصر ويقضى على كل دور العبادة في الأرض ويظهر الالحاد حتى ينسى اسم الله في الأرض فلا يقال في الأرض : الله ، وذلك بعد أن يعلم من هذه الأجيال إصرارها على الالحاد والبهيمية الجنسية فلا يبالى بهم ، ومن ثم تقوم عليهم وعلى أبنائهم أو على أحفادهم أو من بعدهم الساعة ، أما قبل هذا فما دامت البشرية تنطوي على الخير والفطر السوية وأصحاب الصراط المستقيم ، وإن قلوا ، فإن الله تعالى

يبقى سنة الدفع لمنع هدم دور العبادة التي يذكر فيها اسم الخالق جل وعلا ، وإن كانت كلها عدا مساجد المسلمين عبادات شركية .

ولئن كان التطبيق الأول لسنة الدفع في القرآن الكريم على انتصار المسلمين من بنى إسرائيل بقيادة طالوت على المشركين ، فإن التطبيق الثاني لهذه السنة هو الذي أدى إلى قيام الخلافة الإسلامية القوية في أكثر أرجاء الأرض في عهد الصحابة والتابعين والدولة الأموية ثم العباسية ثم العثمانية ، قال ابن كثير في تفسير آيات الدفع في سورة الحج « ... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم ، أنا لله وإنا إليه راجعون لِيَهْلِكُنْ قال ابن عباس فانزل الله عز وجل ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ وقوله ﴿ وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ أى هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال إذا هم قد تعرضوا من قبل أعداء الله عز وجل للإبادة بيد أنه سبحانه يأذن لهم بالقتال ، ويحضرهم عليه ، إذا كان ثم مجال للانتصار بالجهاد كما قال ابن كثير « ولكن هو يريد من عباده ان يبذلوا جهدهم فى طاعته » تحقيقاً للابتلاء بدليل قوله فى سورة محمد « ... ولكن ليلو بعضكم بعض » .

فماذا يكون الحكم إذا صار المؤمنون غرباء قلة مستضعفة يغرى ضعفهم أعداء الله عز وجل بهم فيدبروا ويخططوا لآبادتهم وإخلاء الأرض منهم . ؟

تلك هى خطة التجفيف من المنابع التى إتفقوا عليها الآن وذلك هو البروتوكول الصهيونى الدجالى الصليبي الخبيث للقضاء على الإيمان فى الأرض واستئصال نَجْدِ الخير وأهله وهذا هو ما جاء فى القرآن الكريم بالاستفتاح بقوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتية الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل

الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد يشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرُونَ مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ، ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴿ ١٣ - ٢٠ / إبراهيم ﴾ هذه سنة الاستئصال ذلك الذى يقع حتماً للكافرين إذا هم قد هموا باستئصال الفئة القليلة المستضعفة المؤمنة . وهذا واضح من قوله تعالى بصيغة الجمع ﴿ وقال الذين كفروا لرسلكم ﴾ أى أن فى تاريخ كل الرسل بدءاً من نوح إلى خاتم الرسل والأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يصل عناد ومحاربة الكفار للرسل الى المرحلة التى يهددونهم فيها باخراجهم من الأرض أو قتلهم مع القلة المؤمنة ، إن لم يعودوا إلى ملتهم ، ومن ثم يوحى الله عز وجل فى كل مرة يحدث فيها هذا من الكافرين لرسلكم وللقلة المؤمنة معهم ، ان الله سيهلكهم هم رداً على شروعههم هم فى اهلاك المؤمنين ، فإهلاك الله تعالى لهم بقارعة سماوية من عنده : غرقاً أو صاعقاً أو إعصاراً أو رجفة ، إنما يكون رداً على المجرمين بنفس ما أرادوه لنجد الخير وأهله ، إذ لو مكثهم الله مما يريدون ليقضوا على نجد الخير وأهله لفسدت الحياة فى الأرض ولا تصبح صالحة للاختيار ، ومن ثم لا تصبح صالحة للإبتلاء ، وهذا ما لم ولن يأذن به الله تعالى أبداً طيلة أجل الحياة الدنيا الا مرة واحدة هى التى تقوم فيها الساعة .

فعندما تصدر من المجرمين مخططات القضاء على الايمان وأهله تحت أى مسمى مثل محاربة الارهاب والقضاء عليه ومخطط التجفيف من منابع الذى يتناول إخراج النور الفطرى من نفوس النشء من خلال أجهزة التربية والتعليم والاعلام ، عندما يحدث ذلك يوحى الله عز وجل للرسل - تثبيتاً لهم - إطمئنوا سنهلكهم قبل أن يتموا هذا المخطط ، وسيكون الاستئصال لهؤلاء الطغاة الطواغيت الجبابرة ، ولا يبدؤهم الله تعالى بالهلاك والاستئصال إلا بعد أن يبدأوا هم ويستفتحوا مخطط الابادة لحزب الله عز وجل ، ومن ثم ينزل الله عز وجل عذابه عليهم حماية لحزبه وهذا واضح من قوله ————— ﴿ واستفتحوا ﴾ والضمير يعود على كل طاغوت محارب للمؤمنين من كل زمان ومكان

إذا أخذ بأسباب الفتح النهائى بالاستئصال وتجفيف الأرض من نور الايمان خيَّب الله مخططاتهم ودمر كل جبار عنيد وأهلكه وقضى عليه وصيَّره إلى البرزخ الذى من ورائه جهنم وهى مآله ومأواه بعد البعث تلك التى سيسقى فيها من ماء صديد ويذوق من ألوان العذاب الشديد ، فيتجرع الصديد الذى لا يكاد يسيغه ، ويأتية الموت من كل مكان وما هو بميت لانه كان يخطط لقتل المؤمنين ومن ثمَّ فسيظل يتلقى هو الموت فى جهنم من غير أن يموت ليستمر فى العذاب ومن ورائه عذاب غليظ .

ثم ضرب الله تعالى مثلاً لأعمال وتدمير مخططات الذين كفروا وهم حزب الشيطان وهم فى أيامنا هذه الصهيونية الممتطية للصليبية وهم المحاربون لاهل الايمان وهم الآن المسلمون المستضعفون المستهدفون ، والذين يحاربونهم ويخططون للقضاء على ملتهم ، التى هى ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، هم الصهاينة الممتطون ظهور الصليبيين امريكان وأوربيين .

يضرب الله تعالى بعد ذلك مثلاً لأعمالهم اى لمخططات ابادة المسلمين لديهم والقضاء على قوتهم الباقية بأن هذه المخططات سيجعلها الله هباء منثوراً بل سيقبلها عليهم فيعمى عيونهم بهذا الهباء ويسد أنوفهم بها ويدمرهم برمادها وإشعاعها « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد يشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرון مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد » (١٨ / إبراهيم) فلتتصور الأعمال الفردية والجماعية والدولية المفسدة فى شتى مناحى الحياة ومخططات التظليم والجهود المضنية للقضاء على ملة الاسلام ، وقد تراكمت كرماد حتى صارت تلالاً أو جبلاً من الرماد ثم جاء الريح العاصف فعصفت بها وذرت فى الفضاء فما الذى يمكنهم أن يحتفظوا به منها ؟ وما هى النتائج التى يصلوا إليها من كل ذلك ؟! إنه الضلال البعيد ، أى الضياع النهائى الذى لا رجعة له . ثم قال عز وجل بعد ذلك لنبيه المصطفى الخاتم ﷺ « ألم تر » أى يا محمد « أن الله خلق السماوات والأرض بالحق » فوضع ميزان التعادلة « والسمااء رفعها ووضع الميزان ألا تطفؤا فى الميزان » (٧-٨ /

الرحمن ، وهذا فى كل شىء ابتداء من الذرة إلى المجرة ثم أقام حالة الاستواء اللازمة لصحة الاختيار وتحقيق الابتلاء فى حياة الانسان فأمر سبحانه لكى يتحقق الفوز فى الابتلاء ﴿ أَلَا تَطْفَرُوا فِى الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ ٨ - ١٠ / الرحمن ، فهل يمكن لهؤلاء الجبابرة الطغاة أن يسقطوا التعادلية ويهدموا حالة الاستواء ويعطلوا حكمة الله من خلق السماوات والأرض والانسان ؟ حاشا وكلا ، والويل لمن يستفتح لهذا العمل ولو أجمعت البشرية كلها على هذا الضلال وراء هؤلاء الطواغيت الجبابرة لأذهب الله البشرية كلها وأقام الساعة وأتى بخلق جديد ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ١٩ - ٢٠ / ابراهيم .

تلك هى سنة الاستئصال للأمم الكافرة وبها أيضاً يستأصل الله كل البشر إن هم دخلوا فى هذه السنة أى بنفس هذه السنة تقوم الساعة .

قيادة حزب الرحمن وقيادة حزب الشيطان ودورهما فى الصراع التاريخي بين الحزبين : -

لم يهدأ ولم ينته هذا الصراع منذ بدأ ، ولن يهدأ ولن ينتهى إلا فى آخر مراحل يوم القيامة وهى المرحلة التى تسبق قيام الساعة مباشرة ، ويموت كل مؤمن على الأرض بالريح اللينة الطيبة ويرفع القرآن من المصاحف ويترك الله عز وجل الكعبة لجبل الأشرار فيهدمونها ، ومن ثم لا يكون فى الأرض الا هؤلاء الاشرار الذين يغنونها عوجاً ويعيشون للمتاع كالبهائم وينسى اسم الله عز وجل بعد أن يطفى الألحاد وتعقم النساء وينتهى حال البشرية إلى عدة أجيال من الكفر لا أمل على الإطلاق فى صلاحهم ، ومن ثم يختفى من ذاكرة البشرية نجد الخير وتمحى منها تماماً كلمة الايمان ولا يبقى الا كل ما هو مردول وخبيث ويسقط ميزان التعادلية ويبطل الاختيار وتتوقف سنة الابتلاء ومن ثم يقضى الله عز وجل على هؤلاء الاشرار ويتم أجل الحياة الدنيا بالصيحة التى تأخذهم وهم يخصمون فيموت كل منهم فى مكانه ويصبحوا جثثاً منتشرة على سطح الأرض

التي سيهيئها الله عز وجل للبعث والنشور والحساب فالساعة لا تقوم الا على لكع ابن لكع بن لكع أى ثلاثة أجيال من الكفر المطبق الشامل ، واللکع هو الزانى على قارعة الطريق .

إنها تقوم عندما لا يكون ثم أمل فى ان يولد فيهم موحد واحد ينجو بفطرته وإيمانه الجبلى من الكفر وهى نفس الحالة التى يتم بها إستئصال المجتمع الكافر المكذب المعاند إذا طغى اشراره على القلة المؤمنة برسولهم ، فينجى الله الذين آمنوا ويهلك الكافرين جميعاً ، كما حدث منذ بدء الصراع البشرى التاريخى الذى بدأ بين قابيل وهابيل ثم امتد حتى تكونت المجتمعات وملأت البشرية الأرض كلها فصار بين نوح والمؤمنين معه وبين كل الناس فى عصره ثم بقى المؤمنون بعد غرق البشرية وبدأت عهداً جديداً ليطنى بعد قوم نوح عاد قوم هود واستأصلهم الله وأبقى المؤمنين مع هود ثم قروناً كثيرة فى قارات الأرض لم يأت خبرها فى القرآن الكريم ، وذكر لنا سبحانه الاقوام الذين استأصلهم ممن كانوا فى جزيرة العرب وما حولها دون سائر القارات ، وهم ثمود قوم صالح وأصحاب الرس وقوم لوط ومدين قوم شعيب وفرعون وجنوده ثم ما حدث لبني إسرائيل من شتات بعد فسقهم وكفرهم وهو استئصال لدولتهم وليس لهم كشعب وهى سنة أخرى يعامل بها الله تعالى الأمة الكتابية إذا صارت كالحمير يحملون كتابهم على ظهورهم دون أن يعلموا منه شيئاً ودون أن يعملوا بما فيه ، وهى سنة تجرى أيضاً على المسلمين الذين هم أهل الكتاب الأخير والوحى الخاتم القرآن الكريم وهذا كله ما نعلم تفصيله من خلال الصراع الاسلامى الصهيونى المعاصر فى القرآن والسنة .

والموضوع الذى يطرح نفسه علينا الآن يدور حول قيادة حزب الرحمن وقيادة حزب الشيطان وهذا هو موضوع الفصل القادم إن شاء الله .

الفصل الرابع

بدء العداء التاريخي
وتكوّن فريق الصراع

تكون حزب الشيطان بمجرد فسوق إبليس الجنّي عن أمر ربه :

بدأ الصراع بين الشر والخير والخبيث والطيب منذ معصية إبليس وفسقه عن أمر ربه ، وسيظل هذا الصراع ممتداً إلى يوم الوقت المعلوم .

لقد جاء مختصر تاريخ الإنسانية كله في آية واحدة في سورة البقرة بعد أن أمر الله عز وجل بهبوط آدم وحواء وإبليس ، قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ البقرة / ٣٨ - ٣٩ ، فالحزبان المتصارعان هما : الفئة التي تتبّع هدى الله عز وجل المنزّل من عنده ، وهؤلاء هم أهل الأمن والسرور الذين سيعودون إلى دار السلام التي خرج أبوهم منها .

وأما الحزب الثاني فأعضاؤه هم الذين يكفرون ويكذبون بما سيُنزل من عند الله عز وجل من الهدى والحق وهم أصحاب النار الخالدون فيها .

وعلى هذا فإن قادة حزب الله تعالى التنفيذيين في الصراع هم الذين يصطفاهم الله تعالى ليكونوا المبلغين هديه سبحانه إلى الناس ، فهم الرسل والأنبياء الذين يتلقون الهدى الرباني في صور صحف أو كتب مُنزلة عن طريق رسل الله تعالى إليهم ، وهم الملائكة بعامة وجبريل روح القدس بخاصة ، فالنبي هو النبي الذي يحدث الناس بنبوءات غيبية ليس مصدرها الأرض ولا طاقة لعلوم البشر بها ، وهي المشار إليها في الآية بقوله تعالى ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾ فهو هدى الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم فهو ينزل من السماء ، والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي تذكر أنه مُنزل من السماء ، وأن الكتب التي تلقاها الأنبياء من قبل كلها قد أنزلها الله تعالى عليهم من السماء .

فالأنبياء إذاً ، هم قادة حزب الله تعالى في الصراع لأنهم المبلغون للهدى ، المنفذون له والمعلمون إياه لأقوامهم وأممهم ، ومن ثم كانت طاعتهم واجبة ، باعتبارهم القادة ، ولا قيادة بدون طاعة .

فَحِزْبُ اللَّهِ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ وَخُلَفَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ ، وَاتَّبَعُوهُمْ وَسَارُوا عَلَى نَهْجِهِمْ ، وَعَاشُوا بِمَنْهَجِ حَيَاتِهِمْ .

أَمَّا حِزْبُ الشَّيْطَانِ فَهُمْ الْعَدُوُّ لِلدُّودِ لِحِزْبِ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى أَنَّهُ يَصِحُّ الْقَوْلُ أَنَّهُمَا لَا يَلْتَقِيَانِ وَلَا يَتَصَالِحَانِ وَلَا يَتَقَارِبَانِ أَبَدًا ، إِلَّا إِذَا أَسْلَمَ بَعْضُ أَصْحَابِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ فَيَنْتَقِلُونَ إِلَى صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ إِذَا انْتَقَلَ بَعْضُ الَّذِينَ فِي حِزْبِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ مُرْتَدِّينَ ، أَوْ يَظْلُونَ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ وَتَكُونُ قُلُوبُهُمْ وَيَكُونُ وَلَاؤُهُمْ لِلْمُشْرِكِينَ ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُنَاقِقُونَ .

— إبليس أول الكافرين مؤسس حزب الشيطان :

وَأَوَّلُ مَنْ انْتَقَلَ مِنْ صُفُوفِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَالَمِينَ هُوَ إِبْلِيسُ لَمَّا فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ سَبْحَانَهُ ، وَأَبَى أَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمِنْ ثَمَّ انْتَقَلَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ أَيْ مِنْ صُفُوفِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مِنْ صُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَسَسَ حِزْبًا خَاصًّا بِهِ لِيَرْضَى غُرُورَهُ وَأَنَانِيَّتَهُ وَاسْتِكْبَارَهُ . وَلَمْ يَكُنْ إِنْتِقَالَهُ بِالْفَسْقِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنْتِقَالًا حَسِيًّا وَمَكَانِيًّا مِنْ صُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ فَحَسَبَ ، بَلْ كَانَ قَدْ سَبَقَ هَذَا إِنْتِقَالًا مَعْنَوِيًّا نَفْسِيًّا مِنَ الْفِطْرَةِ الْمَوْحَدَةِ الْمُؤْمِنَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الْفِطْرَةَ الْمَوْحَدَةَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَخُصُّ الْإِنْسَ وَحَدَهُمْ إِذْ هِيَ لِغَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ « إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ » فَقَوْلُهُ تَعَالَى « عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ » يَشْمَلُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالْمَلَائِكَةَ ، فَجَمِيعُهُمْ عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّ الشَّيَاطِينَ ، وَهُمْ الَّذِينَ بَادَرُوا بِالْإِنْتِقَالِ إِلَى صُفُوفِ الْحِزْبِ الْمَعَادِي لِحِزْبِ اللَّهِ ، يَعْمَلُونَ عَلَى نَقْلِ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى صُفُوفِهِمْ ، وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ إِذْ يَحَارِلُ الْمُؤْمِنُونَ الطَّيِّبُونَ نَقْلَ مَنْ يَسْتَجِيبُ مِنَ الْكَافِرِينَ لَصُفُوفِهِمْ ، وَهَذَا هُوَ جَوْهَرُ الصَّرَاعِ بَيْنَ الْحَزْبَيْنِ ، وَمِنْ نَتَائِجِهِ الْأَسْتِرَاطِيَّةِ . وَخُرُوجَ الَّذِينَ يَجْتَالِيهِمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ وَيَحْرِفُونَهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، إِنَّمَا يَكُونُ

بمخالفة الفطرة التي فطر الله الناس والعجان والملائكة عليها ، ولكن الانس والجن هم فقط الذين يخرجون ، أما الملائكة فلا تخرج ولا تعصى الله عز وجل لأنها لم تُخلق للإبتلاء ، ولم يجعلها الله تعالى تبعاً لهذا مختارة . ومن ثم فمعنى فسوق إبليس عن أمر ربه أى خروجه عن مقتضيات فطرته الحنيفية التي خلقه الله عليها ، بمخالفة مقتضياتها وطاعة هواه ونفسه المستكبرة ، وهكذا لا ينتقل بعده أحد من صفوف الموحدين إلى صفوفه إلا بالفسوق عن أمر الفطرة التي فطر الله تعالى العباد عليها ، ولا يمنع هذا من تفسير قوله تعالى : ﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾ أى عصى الأمر الإلهي التشريعي الصادر إليه بالسجود لآدم ، لأن الآية تتضمن الإثنين معاً ، إذ لو لم يعص إبليس الله تعالى ، ولو لم يأب السجود لآدم لما خرج عن مقتضيات فطرته من قبل ، وكذلك لو لم يخرج على مقتضيات فطرته ، لما خالف الأمر الشرعي وأقدم على المعصية ، فالإنسان مرتبطان بل هما وجهان لفعل واحد ، والآية تعبر عنهما معاً ، لأن رفض السجود لآدم هو الفعل السلوكي الظاهري الذي تم بالجوارح والأعضاء ، والفسوق عن أمر ربه سبحانه هو الخروج على مقتضيات الفطرة .

هذا هو إبليس قائد ورائد الفسوق عن أمر الله عز وجل في عالم الابتلاء ، الذي أصبح كل من يسلك سبيله بالخروج من نجد الخير منحرفاً إلى نجد الشر ، أو بالتحول عن الصراط المستقيم ، سالكاً أحد السبل المنحرفة ، متميماً إليه مطيعاً له ، سائراً خلفه ، منفذاً أمره في معصية الله عز وجل ، أقول : أصبح عضواً في حزبه بدليل قول الله عز وجل يوم الدين لكل المستكبرين الذين أطاعوه في نهجه ومسلكه ودينه : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ يس / ٥٩ / ٦٤ ،

إن حقيقة الكفر تكمن في استكبار الكافر عن عبادة الله وحده ، إذ يخرج عن أمر

الله وينحرف عن فطرته التي فطره الله تعالى عليها ، لأن الفطرة هي العبودية الجبلية لله عز وجل ، ومن ثم فالخارج عن نهجها خارج عن نهج العبودية لله ، وأول دواعي هذا الخروج هو إرادة الإمتياز والتميز على عباد الله ليكون هو الأفضل والأعلى والأرقى فيهم ، وهذا لا يتحقق له إلا بالخروج عن نطاق العبودية ، وهذا هو الاستكبار الذى دل عليه قوله تعالى ﴿ أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ وقوله تعالى ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ (الكهف / ٥٠) وما جاء فى رد إبليس مبرراً هذا الفسق بخيرته على آدم ﴿ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ (ص / ٧٦) .

وهكذا ترتبط حقيقة الكفر بحقيقة الإستكبار والرغبة فى العلو على سائر العباد ، ومن ثم الخروج عن نطاق العبودية ومقتضيات الفطرة الحنيفية من خضوع أو إذعان وذل لله تعالى وحده مع سائر الكائنات ، هذا ما كان من إبليس ، ثم ما كان ويكون من كل من اتبعه إلى يوم الدين ، وهم أعضاء حزبه ، ومن ثم سيقول الله تعالى لهم يوم القيامة ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ (يس / ٥٩) أى كما إستكبرتم وجعلتم أنفسكم ممتازين مميزين رافضين الاذعان لربكم ، ومستكبرين على عباد الله عز وجل فى الدنيا ، إمتازوا اليوم أيضاً هنا بدخول جهنم ، لأنكم خالفتم عهدى وعبدتم الشيطان الذى حذرتكم من عداوته ، فإذا بكم تصبحوا من حزبه فى الدنيا ، ومن ثم فأنتم رفقاؤه فى جهنم فى الآخرة ﴿ إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، إن الذين يحادّون الله ورسوله أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ، لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وأبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (الحشر / ١٩ - ٢٢) ، فانظر إلى قوله تعالى ﴿ كتب

الله لأغلبين أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴿ الحشر / ٢٠ ﴾ بعد الآية التاسعة عشر التي ورد فيها ذكر حزب الشيطان وهم الكافرون المستكبرون الذين يحاربون ويحادون الله ورسوله والمؤمنين ، وأن الله سيجعلهم في الأذلين ، ويغلب هو ورسله بسنة أو بكلمة قدرها وكتبها قبل خلق السماوات والأرض ، فهي نافذة لا محالة ، وانظر أيضاً إلى مجيء هذه الآية الوارد فيها ذكر الله ورسله وأهل الإيمان في الصراع قبل الآية الوارد فيها تقرير خسارة حزب الشيطان ، وبعد هاتين النظرتين ألا يحق لنا أن نقرر أن هذه الآيات تتناول بعض سنن الله عز وجل في الصراع المستمر حتى نهاية حياة البشرية ، والسنن التي بمقتضاها يؤذن الله تعالى فيها الكافرين بالحرب ، حتى ينهزم أعداؤه حزب الشيطان الخاسرون وينتصر عباده حزب الله المفلحون . وقوله سبحانه وتعالى ﴿ كتب الله لأغلبين أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ ﴿ الحشر / ٢٠ ﴾ يثبت أن له سبحانه ورسله أعداء ، وأن العلاقة بين الحزبين في صراع مستمر دائم ، وحرب معلنة دائمة ، وأن الغلبة والنصر في العاقبة لحزبه سبحانه بمقتضى هذه السنة المكتوبة والقضاء الحتمى النافذ ، ومن ثم قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ الأنعام / ١١٢ ، وقال تعالى أيضاً ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ الفرقان / ٣١ ، فالعدو المذكور لكل نبي في آية الفرقان الأخيرة هذه من مجرمي البشر وهو زعيم المكذبين وقائد المحاربين لنبي عصره المرسل إلى قومه سواء أكان هذا العدو ملكاً أم رئيساً أم شيخاً لقبيلة أو عشيرة أم حتى عراقاً أم مفكراً وفيلسوفاً ممن يحاربون الرسالة السماوية بالفكر ويلبسون الحق بالباطل في هذه المذاهب الإلحادية المضللة لعامة الناس وبالإعلام الكاذب والتربية المفسدة والقوة والبطش الغاشمين والدليل على هذا هو قوله تعالى ﴿ عدواً من المجرمين ﴾ .

أما العدو المذكور في آية الأنعام بقوله : ﴿ عدواً شياطين الإنس والجن ﴾ فأمره مختلف ، وحسب قول المفسرين الذى يدل عليه المنطوق اللغوى لسياق النص ، يكون

لفظ (عدوًّا) إسم جنس يدل على الكثرة وتكون عبارة « شياطين الإنس والجن » بدل لهذا اللفظ وتفصيل وبيان له ، ومن ثم يكون تفسير الآية أن الله تعالى جعل لكل نبي أعداء هم شياطين الإنس والجن ، بل هم كل شياطين الإنس والجن ، وهذا يثبت أن حزب الشيطان هم شياطين الإنس وشياطين الجن ، وأن لهؤلاء قائد ولأولئك قائد . ومن ثم يكون معنى « عدوًّا شياطين الإنس والجن » متضمنًا لحقيقة تاريخية هامة : وهى أن الله عز وجل قد جعل لكل نبي عدوًّا واحدًا من شياطين الإنس ، وعدوًّا واحدًا من شياطين الجن ، ولكل منهما أتباع من الإنس والجن ، وعلى هذا يكون لكل الأنبياء عدوًّا إنسيًّا واحدًا ، وعدوًّا جنّيًّا واحدًا ، فهما إثنان يقودان جنودهما وأتباعهما فى الصراع ضد حزب الله تعالى خلال التاريخ البشرى كله بدءًا من آدم أبى البشر ، ثم من نوح إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم .

فقيادة المجرمين إستكبارية دائمة مستمرة لا تنقطع ولا تتوقف مقابل أن قيادة الله تعالى لحزبه عز وجل ممتدة دائمة مستمرة لا تنقطع ولا تتوقف منذ بدء الصراع إلى نهايته ، وهذه القيادة الدائمة المتمثلة فى عدو واحد من الإنس ، ونظيره من الجن محارباً للنبوة وللهدى الربانى هى فى الحقيقة قيادة واحدة بمقتضى وحدة الهدف بينهما ، وبمقتضى التنسيق الذى بينهما فى العمل ، هذا التنسيق الذى تقصد منه هذه القيادة المتوحدة تحقيق هذا الهدف والوصول به إلى الغاية المشتركة بينهما .

يدل على هذا التنسيق قوله تعالى بعد ذلك « يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » ولا يقول قائل إن وحى زخرف القول ليس بين إثنين ، بل بين جماعة وجماعة لقوله تعالى « بعضهم إلى بعض » وهذا حق ، لكن الأمر البديهى والطبيعى حسب خصائص الجماعات والمجتمعات والأُم والأقوام أن لكل جماعة ذات قصد وهدف واحد قيادة تنتهى إلى فرد واحد ، حتى ولو كانت القرارات بالشورى ، وحتى لو كان نظام الحكم وإتخاذ القرارات حسب ما يسمونه بالديمقراطية ، إذ لابد من رأس للنظام يكون هو المسئول التنفيذى ، وهو الذى تأتمر الجماعة بأمره ما دامت قيادته دائمة

مستمرة خلال أجل البشرية كله ، ودوام هذه القيادة واستمرارها ما كان إلا بإذن الله تعالى ومشيئته لحكمة الابتلاء ، كما ذكرنا ، لذلك قال تعالى فى نهاية آية الأنعام ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ .

فالصراع بين أهل الخير وأهل الشر هو الذى نال إبليس بمقتضاه وبحسب سنن الابتلاء النظرة والإمهال إلى يوم الوقت المعلوم ، هو أيضاً الذى نال به وبمقتضى سنن الابتلاء أيضاً أول الكافرين من بنى آدم زعامة أهل الشر فى قبيله ونوعه أى فى البشرية جمعاء ، ومن ثم إقتضى هذا استمرار هذه الزعامة فيهم طيلة الحياة الابتلائية كلها تلك التى بدأت بكفره وتنتهى بموته فى يوم الوقت المعلوم الذى تنتهى به سنن إبتلاء البشر وهذا ما سنوضحه فى الفصل القادم بعون الله تعالى .

- الله عز وجل يتولي قيادة حزبه في الصراع بنفسه :

نسب الله عز وجل جنوده وأوليائه والمؤمنين الطيبين لنفسه في مقابل نسبة الكافرين الخبيثين للشيطان ، فالناس فريقان لا ثالث لهما : حزب الله عز وجل وحزب الشيطان ، والعلاقة دائماً بين الحزبين صراع مستمر ، ومن ثم فلا بد أن يكون أحدهما غالباً والآخر مغلوباً خلال جولات الصراع فحزب الله هم الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا قال تعالى ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ المائدة / ٥٥ - ٥٦ .

فإذا تساءلنا عن القائد الأعلى لحزب الله تعالى في الصراع بين الحزبين جاءت الإجابة القرآنية المباشرة بقوله تعالى ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ المجادلة / ١٩ - ٢٢ .

فانظر إلى التقرير الآلهى بنتيجة الصراع النهائية وهى أن الذين يحاربون الله ورسوله سينتهى حالهم إلى الدل مهما انتصروا أو ظهروا فى بعض الجولات المرحلية .

أما قوله تعالى ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ فهو قول صريح مباشر محكم الدلالة على أن الله عز وجل هو الذى يقود حزبه فى الصراع ورسله هم خلفاءه وقادته التنفيذيين ، ومن ثم نسب الانتصار والغلبة فى الصراع لنفسه ورسله والنصر لحزبه .

كما يدل على هذا أيضاً أنه سبحانه نسب الفريق المؤمن الطيب فى الصراع لنفسه

فقال ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

ويدل على هذا أيضاً أن حرب الكفار وكيدهم هي حرب لله ولرسوله ﷺ فقال تعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ « التوبة / ١٠٧ » فالعداء والحرب الموجهة من حزب الشيطان ليست ضد حزب الله فحسب أى ليست ضد المؤمنين فحسب بل هي حرب لله ولرسوله ، وهذا يثبت أن الله عز وجل هو قائد حزبه فى الصراع أيضاً .

كذلك يعلن الله تعالى أنه يطل خططهم الافسادية بنفسه سبحانه بقوله ﴿ ... كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾ « المائدة / ٦٤ » ومن ثم تكون القيادة الأعلى فى الصراع لله عز وجل وهذا ضمان بالنصر النهائى لحزبه والغلبة الماحقة لأعدائه حزب الشيطان ، وهو ما سنراه فى الجزء السادس والسابع من الموسوعة عن المهدي وفتح أوربا ثم مقتل الدجال والقضاء على يأجوج ومأجوج ليتم نور الله رغم أنف الكافرين ، ويظهر دينه على كل أديان الأرض .

لذلك كان قتال المؤمنين للكافرين والصمود أمامهم بهذا المعنى نصر لله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ « محمد / ٧ » وقال تعالى ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا أن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ « الحج / ٣٩ » فنصر الله عز وجل نصر لحزبه وانتصار حزبه نصر له عز وجل ومن ثم قال ﴿ ... وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ « الروم / ٤٧ »

والخلاصة أن الله عز وجل لم يوكل أحداً من خلقه رسولاً كان أم نبياً أم ولياً لقيادة حزبه فى الصراع الدائم ضد حزب الشيطان ، بل جعل أمر القيادة له وحده والرسل خلفاؤه والمؤمنون أولياؤه وجنوده وهذا أعظم ضمان لانتهاء الصراع بغلبة الله ورسله والمؤمنين على أعدائهم ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ « المجادلة / ٢١ »

- الطاغوت هو القائد الأعلى لحزب الشيطان في الصراع :

بعد أن علمنا أن الحكمة من خلق السماوات والأرض هي إبتلاء الجن والإنس ، وإن الإبتلاء يتم من خلال الصراع التاريخي سيستمر من أول الخليقة إلى يوم الوقت المعلوم بين حزب الله تعالى وبين حزب الشيطان ، وبعد أن علمنا أن الله عز وجل هو الذى يقود حزبه وهو ولى المؤمنين فى الصراع . فمن يا ترى هذا الذى يقود حزب الشيطان فى الصراع ساعياً بقيادته لحزبه لكى يعبد الثقلان من دون الله عز وجل ؟

هل هو إبليس الجنى الذى رفض السجود لآدم ؟

هل هو المسيح الدجال الآدمى الذى سیدعى الألوهية والربوبية ؟

للإجابة على هذا كله نقول أن الذى نجده فى كتاب الله عز وجل هو أن الرسل والأنبياء جميعاً إبتداءً من آدم إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ قد حذروا أممهم من الإيمان بالطاغوت وأمرهم بإجتنبه قال تعالى ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ النمل / ٣٦ .

فإذا كانت الأم جميعاً قد حذرها الرسل من عبادة الطاغوت بعد الأمر بعبادة الله فالطاغوت إذن موجود منذ بدأ الصراع ، وهو رئيس مملكة الشر ، وليس إبليس ، بدليل أن النهى عن الإيمان بالطاغوت ورد فى مقابل الأمر بالإيمان بالله عز وجل ، كما ورد الأمر بالكفر به مقابل النهى عن الكفر بالله عز وجل قال تعالى ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ البقرة / ٢٥٦ - ٢٥٧ .

فما من كافر أو مشرك سيعذب فى جهنم إلا وقد ضل بفعل الطاغوت الذى أخرجه

به من النور الفطرى إلى ظلمات الشرك والوثنية ، فالطاغوت موجود إذن منذ بدء الخليقة أو على الأقل منذ بدء الوجود الابتلاي الأرضي وكذلك فإن الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، بينما يقاتل الذين كفروا فى سبيل الطاغوت ، وهذا يدل على أنه إله ورب مملكة الشر ، قال تعالى ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ النساء / ٧٦ ، فكما أن غاية المؤمنين العليا هى رضا الله عز وجل عنهم حتى أنهم يضحون بأنفسهم وأموالهم ويقاتلون فى سبيله تعالى فغاية الكفار هى أرضاء الطاغوت بالقتال فى سبيله أيضاً ، وهذا لا يكون إلا باتخاذهم رضا غاية عليا لهم ، ومن ثم يكون إلههم .

ويدل على أن الشيطان غير الطاغوت ورودهما فى آية واحدة بوظيفتين مختلفتين مما يدل على أن مرتبة الطاغوت فى مملكة الشر أعلى من مرتبة الشيطان ، إذ أن الذين يقاتلون فى سبيل الطاغوت يكونون فى ولاية الشيطان وتحت قيادته لقوله ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان .. ﴾ أى جنوده ، ومن ثم يكون الشيطان ممن يقاتلون - وإن كان قائداً - فى سبيل الطاغوت ، فهو متلقى منفذ لحكم الطاغوت ، وهذا معنى أن الكافرين وعلى رأسهم الشيطان يقاتلون فى سبيل الطاغوت .

وكذلك يدل على أن الطاغوت رئيس مملكة الشر وإله الكافرين والشياطين ومعبودهم قول الله عز وجل ﴿ والذين إجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأناابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد ﴾ الزمر / ١٧ ، إذ تتضمن الآية مقارنة بين الحال الذى عليه الذين آمنوا وهو إجتناى عبادة الطاغوت مع الإنابة إلى الله عز وجل فى مقابل الحال الذى عليه الذين كفروا وهو الميل عن سبيل الله عز وجل وإجتناى عبادته سبحانه مع الإنابة إلى الطاغوت .

فاذا لاحظنا أن الطاغوت وردت بصيغة المؤنث ثبت لنا أنه ليس الشيطان من ناحية وليس الدجال من ناحية أخرى كل هذه الآيات تثبت أن المتأله فى مملكة الشر والمعبود من الكافرين فيها والمتطلع بالإستكبار أن يجعل نفسه نداً لله عز وجل وكفراً له المدعى

الألوهية من دون الله تعالى هو الطاغوت .

بيد أن هذه النتيجة القرآنية الناصعة تواجه مسألة تحتاج إلى بيان ألا وهي أننا لا نجد في أخبار أهل الجحيم الواردة في الكتاب أو في السنة ذكراً للطاغوت مع المعبدين بالرغم من أن إدعاءه للألوهية وسعيه لكي يكون معبوداً من الثقليين يستتبع أن يكون في الدرك الأسفل من دركات الجحيم بل تحت أقدام أهلها المضللين ألم يقل الله عز وجل في كتابه الكريم ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ الأنبياء / ٢٩ ، بلى .

وَألم يقل رب العالمين سبحانه ﴿ .. إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾ الأنبياء ٩٨ - ٩٩ .

بلى فأين ذكر الطاغوت بين أهل الجحيم إذا ؟ ليس له ذكر بينهم لا في الكتاب ولا في السنة .

لقد ورد ذكر الشيطان حيث سيقوم خطيباً في أهل الجحيم ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ إبراهيم / ٢٢ ، فإذا علمنا أن الطاغوت قد ورد في القرآن في ثمانية مواضع لم يتضمن موضع واحد منها خبراً عن عذابه في جهنم تبين لنا أن الطاغوت هذا أشبه بلغز مطلسم يحتاج حلاً ، إذ أنه من المفروض أن يكون أشد الخلق عذاباً في الآخرة ، كما أنه من المفروض أن يكون في أسفل دركات الجحيم .

إذاً علينا أن نستقصى آيات الذكر الحكيم المتضمنة أخبار أهل جهنم لعلنا نجد ذكراً للطاغوت تحت أي مسمى آخر ، مع علمنا سلفاً أنه لن يكون تحت مسمى الدجال لأن

هذا الأخير غير مذكور في القرآن . كما ذكرنا حقاً إن الطاغوت لغز مطلسم كلما اقتربنا منه ابتعد عنا ، أو هو كالزئبق لا ندرى أسائل هو أم معدن ، وكلما أمسكنا به تفلت من بين أيدينا .

- ليس وحده إبليس الجنى هو الذي أضل أهل الجحيم ، بل معه قرين إنسى :

وتلك هى نتيجة البحث الاحصائى فى آيات الذكر الحكيم المخبرة عن أحوال أهل الجحيم والعياذ بالله من هذا المصير . وتمثل هذه النتيجة التى توصلت بعون الله وهديه إليها فى قوله تعالى حاكياً لنا طلب أهل الجحيم ودعاءهم بأن يريهم الأثنين اللذين أضلا الانس والجن جميعاً وهما أيضاً جنى وإنسى وذلك حتى ينتقموا منهم باعتبار أن كل واحد منهما كان سبياً فى ضلال بنى نوحه ، قال تعالى ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِى أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ، ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْغُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ فصلت / ٢٥ - ٢٩ ،

إذا هما إثنان جنى وإنسى كل واحد منهما أول من ضل من نوحه فتسبب فى ضلال كل من ضل بعده من الإنس والجن ، فهما قرينان قد علمنا الضال الأول الجنى وهو إبليس اللعين فمن يكون الضال الأول الانسى ؟

وهل يمكن أن يكون هو الطاغوت ؟

أم يمكن أن يكون هو المسيح الدجال ؟

وإذا كان الضال الجنى الأول قد عصى وكفر إستكباراً وأصر فتشيطن ثم إزداد كفراً وتوعد بنى آدم بإضلالهم فتأبلس ، فما هو حال قرينه الانسى ، وما هى قصة ضلاله بل

إننا لنسأل أولاً :

ما علة كفر الشيطان الجنى ؟

وما علة كفر الشيطان الإنسى ؟

ثم ما علاقة كل منهما بالطاغوت من ناحية ثم بالجبت من ناحية أخرى ؟

الفصل الخامس

إستكبار ابن حمّل الجنة
وإستشهاد ابن حمّل الأرض

آدم وزوجه في الجنة وعدوهما إبليس :

خلق الله عز وجل آدم وأسكنه وزوجه الجنة ، وأذن له أن يأكل رعداً من جميع أشجارها ما عدا شجرة واحدة عرفها لهما سبحانه بالاشارة إليها تحديداً وتعييناً فقال تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ « البقرة / ٣٥ / ٣٦ » ، فما الذي كانا فيه وخرجنا منه بمجرد أن أكلا من الشجرة ؟ ، أول ما يتبادر إلى الذهن هو خروجهما من الجنة ، باعتبار أنهما كانا في الجنة ، وهذا غير صحيح ، وإن صح أن التحذير الإلهي لآدم وزوجه ، إذا هما أكلا من الشجرة المحرمة تحذير من الخروج من الجنة ، هذا الخروج الذي أصبح إستراتيجية إبليس العليا بعد أن حققت عليه اللعنة ، بل ظلت أيضاً إستراتيجيته العليا مع أبناء آدم في الأرض حتى لا يعودوا إلى الجنة . قال تعالى مُحذراً لهما ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ، فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظما فيها ولا تضحى ﴾ طه / ١١٥ - ١١٩ ، فالذي كان آدم وزوجه فيه بعد أن أسكنهما الله الجنة أربع نعم وهى : الشبع الدائم فلا يجوعا فيها والكسوة الدائمة فلا يعريان ، والرى الدائم فلا يظما فيها ، وكذلك لهما ما يستظلان به فلا يضحيان ، وتلك هى حاجات الإنسان الضرورية التى لا يهنأ له عيش إلا بها ، والتى يتسبب نقصها أو نقص بعضها أو حتى واحدة منها إلى موته أو مرضه أو شقائه وتعاسته لقد صارت هذه النعم الأربع لهما فى الجنة ومن ثم لما عصيا خرجا من هذه النعم كلها وزالت عنهما قبل خروجهما منها ، وعلة هذا أنهما لم يرثاها الجنة وإنما سكنها لأن الله تعالى لم يدخلهما الجنة على سبيل التمليك وإنما أدخلهما الجنة على سبيل التسكين ، أى إقامة مشروطة والشرط هو طاعة الله عز وجل بالبعد عن هذه الشجرة المحرمة ، فقد ظلا كائنين فى هذه النعم الأربع ما داموا بعيدين عن هذه الشجرة ، ولم يقرباها ، ولم يأكلا منها ، هذا هو ما كانا فيه ، ومن ثم يمكن القول أنهما كانا فى

الجنة على سبيل التوقيت وليس على سبيل الدوام لقوله تعالى ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة .. ﴾ ، بخلاف ما يقال للمؤمنين يوم القيامة ﴿ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ﴾ ، ق / ٣٤ ، ودخولهم على سبيل التملك الذي أول وأنقى مصادره التورث ﴿ ونودوا أن تلکم الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ ، الاعراف / ٤٢ .

فالورثة تعنى التملك والدوام ، أما الاسكان فيعنى الإذن بالإقامة المؤقتة كالأيجار ، ومن ثم صاروا متمتعين بهذه النعم الأربع ، فلما أكلا من الشجرة خرجا مما كانا فيه ، أى زالت عنهما هذه النعم على الفور أى فى التو واللحظة ، ثم بعد ذلك ، أى بعد الحساب والعتاب كان خروجهما من الجنة ونزولهما على الأرض فقوله تعالى إذا ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ أى من النعم الأربع ثم من الجنة ، والدليل على هذا التأويل قوله تعالى ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ... ﴾ ، الاعراف / ٢١ - ٢٢ ، فعقب المعصية على الفور زالت نعمة الكساء .

فماذا حدث من إبليس لهما حتى نسب الله تعالى إليه إخراجهما من الجنة ؟

ما الذى فعله لهما فخدعهما حتى أوقعهما فى الذنب الذى زالت به على الفور النعم الأربع ؟ هذا الذنب الذى تم به أيضاً خروجهما من الجنة للشقاء فى الأرض هو وذريته حتى لا يستطيع آدمى أن يحصل على هذه الأربع : المأكل والملبس والمشرب والمسكن إلا بالكد والعمل المضنى ؟!

ما الذى فعله معهما إبليس حتى صار خروجهما حتماً لازماً ؟

هل كان إغراءً لمجرد الأكل من الشجرة ؟ أى لمجرد وقوعهما فى المعصية ، وما الذى يجعل مجرد الأكل من الشجرة مخرج لهما مما كانا فيه ومن الجنة حتماً ؟

أليس الله تعالى غفوراً رحيماً ، أليس احتمال توبتهما وعفو الله عنهما وإمهالهما وإعطاؤهما فرصة أخرى أقوى من احتمال عقوبته سبحانه السريعة ، فما الذى جعل

الشیطان واثقاً من حتمية الخروج ؟ لأن إبليس قد علم عن طبيعتيهما ما لم يعلماهما عن نفسيهما ، فكانت له غاية أخرى أبعد من مجرد أكلهما من الشجرة بمعنى أنه أغراهما ووسوس لهما بالأكل منها باعتبار أن هذا الفعل سيكون مقدمة لها ما يتبعها بالضرورة ، أو سبب له نتيجةه اللازمة ؟

هذه النتيجة ليست هي الخروج من الجنة وإنما الخروج من الجنة لازم من لوازم هذه النتيجة ، وبتعبير أوضح أقول : ليس الخروج من الجنة نتيجة مباشرة للأكل من الشجرة ، وإنما الذى حدث أن الأكل من الشجرة استتبع فعلاً واحداً منهما معاً ، هذا الفعل هو الذى كان السبب المباشر الذى من أجله خرجا من الجنة ، ومع ملاحظة أن إخراجهما من الجنة نَسَبَهُ الله تعالى لإبليس باعتباره كان هدفاً إستراتيجياً له ، توصل إليه بوسيلة أخرى ، من مرحلتين أو بوسيلتين هما : إقدامهما على الأكل من الشجرة معاً ، ثم إقدامهما بعد هذه المعصية لله عز وجل على الفعل الذى ليس معصية فى حد ذاته ، ولكنه الفعل الذى إستلزمه الأكل من الشجرة ، وهو الذى استلزم هبوطهما إلى الأرض فما هو هذا الفعل ؟

قال تعالى ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ (الاعراف / ١٩) ، فماذا حدث بعد هذا ؟ ﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ (الاعراف / ٢٠) ، بماذا وسوس ؟ وما الهدف من وسوسته ؟

علمنا من السياقات السابقة ، أن الهدف هو إخراجهما من الجنة ، لكن هذا هو الهدف الاستراتيجى النهائى للشيطان من كل ما صنعه معهما ، بيد أن الهدف المباشر من هذه الوسوسة جاء فى نفس الآية واضحاً صريحاً ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سواتهما ﴾ (الاعراف / ٢٠) أى أنه أراد أن يكشف لهما عوراتهما ، أى يطلع كل منهما على عورة الآخر ، وحيث أن الله عز وجل قد كساهما وضمن لهما ألا يتعرياً ما داموا بعيدين عن الشجرة المحرمة ، فإن الأكل من هذه الشجرة

لم يكن مطلباً إبليسياً لذاته ، وإنما لكي يزيل عنهما نعمة اللباس قاصداً أن يريهما سواتهما ، هذا هو الحدث الذى أراده إبليس ، لكنه أيضاً لم يكن مطلوباً له لذاته ، بل لما يستتبعه من حدث آخر هو الذى سيخرجهما به من الجنة ، هذا الحدث معلوم لكل ذكر بالغ وأنثى بالغة من ذرية آدم وحواء بمقتضى الطبيعة والغريزة أو الشهوة ، إذ تكون النتيجة الحتمية لمواجهة الذكر للأنثى عاريين ، بحيث يرى كل منهما عورة الآخر هى هذا الفعل المعلوم الذى يزاوله الأزواج فيستتبع الحمل والولادة .

ولقد كان هذا هدف إبليس حقيقة ، إذ هياً له وألح له فى وسوسته لهما ، بل وأشار إلى نتيجته ، ولكن بغموض وخداع مزج فيه بين الصدق والكذب ، لما قد سبق أن علمه من طبيعتهما الجنسية وعلاقتها بالنسل والذرية وبقاء النوع .

أما آدم وحواء فكانا فى هذه الفترة التى بين اسكانهما الجنة وبين الأكل من الشجرة كالطفلين غير البالغين اللذين لا يعرفان معنى للشهوة ولا يدركان وظيفة لسواتهما ، أى كانا غافلين عن هذا الأمر ، فأراد إبليس أن يلفت نظرهما لهذه الوظيفة ، وأن يجتازا مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ والمراهقة والشباب ، فتكون النتيجة حدوث المواقعة بينهما ، وليست بذاتها هى سبب الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ، لأن الله تعالى لم يخلق الجنة داراً للتكاثر وإنما خلق الأرض للتكاثر وداراً للاستقرار والمتاع إلى حين ، ليتحقق الإبتلاء الذى هو الحكمة من خلق الإنسان ، ، فاجتاز آدم وزوجه التجربة الابتلائية الأولى لهما بالأكل من الشجرة ، ومن ثم ظلما نفسيهما كما قال الله تعالى لهما ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ (الاعراف / ١٩) ، أى لنفسيكما ، وكذلك كل من سيقدم على معصية من ذريتهما سيكون ظالماً لنفسه .

لقد كانت وسوسة الشيطان لهما إذاً ليبدى لهما سواتهما التى سترها الله تعالى عنهما بلباسهما ، وبالفلة عن وظيفتها ، ومن ثم ظلا غافلين عن وظيفتها الشهوية التناسلية ، هذه الوظيفة التى عن طريقها غرر الشيطان بهما ﴿ فوسوس لهما الشيطان لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة

إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴿ الاعراف / ٢٠ ﴾ ، لقد كذب عليهما وصدقهما في آن واحد ، صدقهما لما قصد من قوله ﴿ أو تكونا من الخالدين ﴾ أى باقين بالنوع طيلة الحياة الدنيا ، وكذب عليهما باخفاء أن هذا البقاء المؤقت والخلود النسبي سيكون بالنوع في الأرض ، وليس في الجنة لشخصيهما .

لقد استثمر الشيطان قلق آدم وزوجه الذى سببه لهما احتمال خروجهما من الجنة بمقتضى كونهما ساكنين ، وليس مالكين وارثين لقول الله عز وجل ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ ولتحذيره من المعصية التى تخرجه منها ، ومن ثم صار هاجس خروجه منها مقلقاً ، فاستغل الشيطان هذا القلق فألقى فى أمنيته إمكانية الخلود فيها ، بالأكل من الشجرة . وهذا معنى قوله تعالى ﴿ فدلاهما بغرور ﴾ الاعراف / ٢٢ ، ولكي يؤكد لهما صدق زعمه بأن ترك الأكل من الشجرة هو الذى يمنع عنهما أن يكونا ملكين أو خالدين ، قاسمهما ، وقاسم غير أقسم لهما لأن صيغة فاعل تفيد تبادل الطرفين للفعل ، مثال هذا « قتل » فعل وقع من القاتل من غير إشراك المقتول فى الفعل ، أما « قاتل » فهو يفيد المشاركة بين المتقاتلين ، و « كتب » فعل قام به فاعل واحد أما « كاتب » فهو يفيد وقوع المكاتبات بين اثنين ، « فقاسم » يعنى أنه أقسم لهما وطلب منهما أن يقسما له على أن ينفذا ما يدلهما عليه من نصيحة ينالا بها الخلود فلما أقسما له أن يفعلا ﴿ فدلاهما بغرور ﴾ فلم يكن أمامهما بعد أن أقسما إلا أن يأكلا ، وهذا الأكل من الشجرة هو الذى أراده منهما ، ليس لذاته ولكن لما بعده ، ولما يترتب على ما بعده وهو إخراجهما من الجنة ، والشقاء فى الأرض .

أما الفعل الأول وهو المعصية فهو الاقتراب ثم الأكل من الشجرة ، أما الحدث الثانى المترتب على هذه المعصية فهو التعرى وكشف سواتهما ، وهذا لم يكن معصية ، لأنه حدث لهما بدون إختيار أو رغبة فيه إذ هو ليس إلا زوال نعمة الكساء ، ثم الحدث الثالث بعد هذا هو ما حدث بينهما من الواقعة التى يحدث منها الحمل ، وهذه أيضاً ليست معصية على خلاف ما قديتوهم البعض لأول وهلة .

بل إن بعض الذين يستمعون إلى هذا التحليل لمعصية آدم عليه السلام يرفضونه على الفور مستدلين على رفضهم بحجتين :

أولاهما : أن آدم عليه السلام نبي مكلم والأنبياء معصومون من الكبائر عند جميع العلماء وحسب كل الأقوال ، واختلفوا في عصمتهم من الصغائر ، والقول بأن آدم عاشر حواء معاشرة جنسية في الجنة ، قد ينسب لهما الزنا ، وهذا لا يجوز على الأنبياء بعامة فكيف ننسبه للنبي أبي البشر آدم وأمهم حواء عليهما الصلاة والسلام ؟

والحجة الثانية هي أن جميع المواضع والسياقات القرآنية التي ورد فيها قصة إبليس وآدم وحواء وإيهاباتهم من الجنة إلى الأرض لم يرد فيها أى ذكر صريح لحدوث هذه الواقعة ، وسرد على الحجة الأولى ثم تتبعها بالرد على الثانية :

الرد علي الحجة الأولى : **مواقعة آدم لحواء عليهما السلام ليست زنا :**

لأن الذى يجمع زوجه ليس زانياً ، والتي يواقعها زوجها ليست زانية ، والدليل على أن الله عز وجل أنكح آدم حواء أى زوجها هو قوله تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما .. ﴾ (الاعراف / ١٩) وقوله تعالى ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ وقوله ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وقوله تعالى ﴿ إن هذا عدو لك ولزوجك ... ﴾ وهذا يتضمن فيما يتضمن إنكاح الله عز وجل آدم وحواء ، وليس فى تاريخ البشرية مثل هذا الزواج على الإطلاق من حيث نقاء شرعيته ، لأن الله عز وجل هو الذى عقده بنفسه ، وليس أدل على هذا من أنه سبحانه لم يذكر أم البشر باسمها بل بصفتها المبنية على صلتها بآدم ووظيفتها فى حياته وهى الزوجية .

بل إن الصلة بين آدم وحواء قد تحددت بالزوجية حتى قبل خلقها منه عليه السلام قال تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله

كان عليكم رقيباً ﴿ النساء / ١ ﴾ ، فحواء مخلوقة من آدم كما نصت على هذا الآية ، وهي من ضلع من أضلاعه كما نص على هذا الحديث الصحيح ، وكما جاء في سورة الأعراف ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ (الأعراف / ١٨٩) وقال تعالى أيضاً ﴿ خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾ (الزمر / ٦) فجعل أو خلق الزوجة من آدم يفيد أنها ما خلقها الله تعالى منه إلا لكى تكون زوجة له ، فهى الزوجة التى لا تحل لأحد سوى آدم ، ولا يحل لها أحد غيره ، وهو الزوج الذى لا يحل لامرأة أخرى غير حواء المخلوقة منه ، ذلك أن ما سوى آدم من الرجال محرم عليها ، لأنها الأم الأولى ، وهم جميعاً ابناؤها وذريتها وما سوى حواء من النساء محرمات على آدم ، لأنهن جميعاً بناته وذريته .

فهل ثم فى تاريخ البشرية زواجاً شرعياً أحله الله تعالى نقياً خالصاً لا شبهة فيه مثل هذا الزواج اللهم إلا زواج الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .
فهل إذا واقعها فى الجنة أو فى غيرها بعد أن خلقها وجعلها الخالق سبحانه زوجاً له يكون هذا إثماً وكبيرة ؟ .

حاشا لله إن رمى آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام بالخطيئة أو الذنب الصغير أو بالكبيرة إفتراء ومخالف لكتاب الله عز وجل بغير علم ، ولو صح هذا ، لأثم كل الأزواج وهذا باطل باطل باطل ، وما عصى آدم وزوجه ربهما بالمواقعة وما عصى آدم وحواء ربهما سبحانه لما بدت لهما سواتهما ، وإنما المعصية محصورة فى شئ لا تتعداه وهو الأكل من الشجرة ، وهو الفعل الأول (أ) الذى هو المعصية وهى التى تاب آدم وزوجه بعدها إلى الله تعالى واستغفرا وأتابا ، والله تعالى بكرمه غفر لهما .

فلماذا إذاً أخرجهما الله من الجنة وأهبطهما الأرض بعد أن غفر لهما ؟! هنا مرتبط الفرس . لأن الخروج من الجنة ليس مترتباً مباشرة على الفعل الثالث (ج) بل هو مبنى أو نتيجة لازمة للفعل الرابع (د) الذى هو نتيجة للفعل الثالث (ج) لأن

المواقعة الزوجية ليست إثماً وليست ذنباً فكيف يحاسبها أو يعاقبها عليه ، أليس للرجل صدقة لبضعه في زوجه ، لأنه وضع البضع في حلال وخشى الله تعالى فلم يضعه في حرام ؟ فلم إذا نخطئ ، ونقول أن آدم خرج من الجنة بسبب الأكل من الشجرة ، وقد تاب الله عليه وغفر له ، أو لأنهما تعريا ، وقد حدث هذا الحدث (ب) رغماً عنهما ولم يكونا راضيين عنه بدليل ورق الجنة ، فكيف يطردا من الجنة لفعل وقع عليهما ولم يقع منهما ، أما الفعل الثالث (جـ) فهو واقعة الزوج زوجه ، وهو حلال يثاب المرء عليه كما أثبتنا ، ومن ثم يتبقى لدينا في هذا التحليل الفعل (د) الذى هو الحمل الناتج عن المواقعة ، وهو أيضاً من خلق الله عز وجل ، ولا دخل لهما فيه ، وليس إثماً لأنه مترتب على الفعل الثالث (جـ) الذى ليس إثماً أيضاً ، وهذا الثالث (جـ) مترتب على الثانى (ب) الذى حدث لهما لا إرادياً ، وهو فعل الله فيهما بإخراجهما مما كانا فيه بزوال النعم وأولها نعمة الكساء ، وهو مترتب على الفعل الأول (أ) وهو الاقتراب من الشجرة والأكل منها . وهو حده المعصية وقد تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم .

فقيم إذاً كان الخروج ، من الجنة ؟ وما العلاقة بين الحدث الرابع وبين الخروج من الجنة ؟ أى بتعبير آخر لماذا كان الخروج بعده مباشرة ولم يكن بعد الأول ؟

الحدث الرابع هو الحمل البشرى الأول من هذا اللقاء بين آدم وزوجه ، أى حمل قابيل وتوأمته ، وحيث أن الله تعالى قد شاء أن تكون الجنة داراً للنعيم ، وليست داراً للإبتلاء ، وحيث أن الله تعالى قد شاء أن يكون إنجاب الذرية للإبتلاء ، ومن ثم لا يكون توالد فى الجنة كما هو معلوم من أخبار أهل الجنة ، لأن الجنة لا موت فيها ، والابتلاء الذى هو لازم لتناسل الذرية يقتضى الموت ثم البعث للحساب ، وحيث أن الله تعالى قال لآدم وزوجه ﴿ إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظما فيها ولا تضحى ﴾ طه / ١١٩ ، فلم يجعل له سبحانه فيما جعل له فى هذه الأربع الذرية والتناسل ، تلك الذرية أو هذا التناسل الذى وعده به إبليس مغرراً لهما ، دون أن يذكر

لهما أن هذا لا يكون إلا في عالم الابتلاء الذي يجوز فيه الموت .

ومن ثم إنتهى الأمر بآدم وزوجه إلى الهبوط من الجنة إلى الأرض التي نعيش عليها ، ليس بسبب المعصية ، ولكن لأنها هم التي أعدها الله تعالى للإبتلاء والتناسل والموت إنتظاراً في البرزخ للحساب فمن أحسن أعاده الله إلى الجنة ، ومن أساء أبعده الله تعالى عنها وأدخله جهنم والعياذ بالله .

فالسبب الذي من أجله أهبط الله تعالى آدم وزوجه إلى أرض الابتلاء هو إختيارهما دخول عالم الابتلاء الذي من أول خصائصه التناسل والموت ، ثم البعث ثم الجزاء ، فليس الخروج من الجنة ، والهبوط إلى أرض الابتلاء إذا عقوبة على معصية الأكل من الشجرة ، وإنما هو - أى الهبوط - الحدث الخامس (هـ) في سلسلة متتابعة من الأحداث كل سابق منها يستلزم اللاحق بالضرورة ، إستلزام النتيجة من السبب أو المعلول من العلة حسب أمر الله تعالى ومشيئته وسنته في الابتلاء .

ولتوضيح هذا ولزيادة الإستدلال عليه أقول : إن الله عز وجل قد خلق كل نسمة كائنة من ذرية آدم ابتداءً من الجيل الأول وإنتهاءً إلى آخر جيل تقوم عليه الساعة ، خلقهم قبل أن يأمر الملائكة بالسجود له ، فكانوا جميعاً في ظهره أمثال الذر كما دل على هذا حديث الذر الذي هو تفسير لقوله تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى ﴾ أما الدليل على أن الذرية كانت مخلوقة ومصورة ومجموعة في ظهره فهو قول الله عز وجل ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾ (الاعراف / ١١) فقله تعالى ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ يفيد أن الأمر بالسجود كان بعد خلق جميع أفراد البشرية ، وإعطاء كل واحد منهم صورته التي سيكون عليها في الحياة الدنيا ، ولقد كان اسجاد الملائكة لآدم قبل خلق زوجه وقبل المعصية

ومن ثم أقول : إن الله تعالى خير آدم وزوجه في الجنة بين مجدين لهما أن يختارا

واحداً منهما .

الأول : هو أن يبقى فى الجنة ما شاء له أن يبقى متمتعاً مع زوجته بالنعم الأربع ناجياً من الهم والغم والمرض والموت ولكن العلاقة بينهما كعلاقة الطفولة إذ يظلاً غافلين عن الاعضاء التناسلية ووظيفتها .

الثانى : هو الحياة فى أرض الابتلاء محروماً من ضمان النعم الأربع إلا بالشقاء والسعى ، وبالتالى لابد من الكد والشقاء للحصول عليها ، ولكن متمتعاً بزوجه مزاولاً للشهوة الحلال ، ثم بذريته التى يحملها فى ظهره . وهذا هو السر الذى علمه إبليس فدلاهما عليه بفرور لإخراجهما من الجنة بإغرائهما بالاختيار الثانى ، هذا هو ما حدث ، بل هذا ما كان حتماً سيحدث ، حتى ولو لم يتطرق إليهما إبليس بالإغراء ، وما كان لإبليس من دور فى اختيار آدم وزوجه النجد الثانى إلا التعجيل فقط ، ولو ترك آدم وزوجه ، فإنه كان ولا بد أن يتحول من الاختيار الأول إلى الاختيار الثانى ، إن لم يكن فى اليوم الأول فسيكون فى الثانى ، وإن لم يكن فى الثانى فسيكون فى الثالث ، وهكذا ، وبدون وسوسة الشيطان ، لأن الله تعالى خلق آدم خطاء غير معصوم عن الخطأ ، ومن ثم لم يكن من سبيل سوى هذا التحول إلى الاختيار الثانى ، الذى هو اختيار الحياة فى أرض الحياة الدنيا الابتلائية مع التناسل ، إشاراً على الاختيار الأول الذى هو الحياة فى الجنة بالنعم الأربع المضمونة ، ولكن محروماً من مزاولة الزوجية ومن الذرية ، وهذا يفسر لنا كيف أن الله تعالى غفر لآدم قبل أن يهبطه إلى الأرض ، فلم يكن هبوطه عقوبة ، بل كان اختياراً منه ومن زوجته للإستمتاع الجنسى ، وهذا ما علمه الله سبحانه منهما قبل خلقهما ، فخلق سبحانه الأرض وهىأها لتكون داراً للخلافة الابتلائية وحيث قد علم إبليس أنهما لن يلجا النجد الاختيارى الثانى ، إلا إذا عرفاه وذاقاه ، فى حين أنهما كانا غافلين عنه ، فقد عمد إلى تعريفهما به ، وهو على يقين أنهما سيلجأه ، فوسوس لهما بالأكل من الشجرة لكى يكشف لهما سواتهما فيحدث الاستمتاع والحمل ، فينتهى بهما الحال إلى الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ،

ليبدأ الصراع الابتلائي بين حزبه ، لعنه الله ، وبين المؤمنين

الرد علي الحجة الثانية : عفة الأسلوب القرآني في التعبير عن المعاشرة الزوجية :

للرد على الحجة الثانية القائلة بأنه لم يرد في قصة آدم وزوجه في الجنة ذكر صريح
للمواقعة بينهما ، أقول وبالله تعالى التوفيق والسداد : -

أولاً : لم يرد ذكر الواقعة في قصة آدم صريحة ، لأن هذا هو الأسلوب القرآني
العفيف في التعبير عن الواقعة بين الذكر والأنثى ، فلم تذكر الواقعة الجنسية بين الذكر
والأنثى في القرآن الكريم إلا بالإشارة أو الكناية ، مثل قوله تعالى حاكياً مقالة مريم
عليها السلام ﴿ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ﴾ مريم / ٢٠ ،
ومثل قوله تعالى ﴿ فلما تَغَشَّاهَا حملت حملاً خفياً .. ﴾ الاعراف ١٨٩ ،
ومثل قوله تعالى ﴿ ... أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ... ﴾
النساء / ٤٣ ، ومثل قوله تعالى ﴿ فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا .. ﴾ المجادلة /
٣ ومثل قوله تعالى ﴿ لساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا
لأنفسكم ﴾ البقرة / ٢٢٣ ، ومثل قوله تعالى ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى
نساءكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ البقرة / ١٨٧ ، فأين الذكر الصريح
للمواقعة بين الذكر والأنثى في أى نص من هذه النصوص ؟ أليست كلها الكناية أو
إيراد مقدمات الواقعة أو بالإشارة ؟ بلى .

ثانياً : جاء بوضوح ذكر الواقعة في قصة آدم في قوله تعالى ﴿ فأكلا منها فبدت
لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ﴾
طه / ١٢١ ، فاتبع المعصية التى هى الأكل من الشجرة بالغواية فماذا تكون هذه
الغواية ، التى ليست هى المعصية التى حدثت عقبها ، وهى فعل إرادى لهما ؟ ،
ومعلوم من جميع السياقات أن التعرّى ورؤية كل منهما لسوء الآخر هو الحدث التالى

مباشرة للأكل من الشجرة وهو ما حدث لهما جبراً ، ولم يحدث منهما إختياراً ، ومن ثم جاءت الغواية إختياراً منهما بإعتبارها نتيجة تالية للتعري فلا معنى لقوله تعالى (فغوى) بعد (فعصى) إلا المواقعة .

ثالثاً : جاءت الإشارة للمواقعة بينهما فى سياق سورة الاعراف ، إذ حذر الله عز وجل بنى آدم من الشيطان - كما حذر منه آدم وزوجه من قبل ومن تعريتهما وكشف سواتهما ، فحدث ما لا منه بد بينهما ، وكذلك إذا نجح الشيطان فى تعرية الناس ، ذكوراً وإناثاً ، فى أى مجتمع ، فإنه لابد أن تشيع الفاحشة بينهم ، ولذا جاءت الوصية الإلهية لنا نحن ذرية آدم وحواء ، بعد أن ذكر نجاح الشيطان فى تعريتهما بقوله تعالى ﴿ يا بنى آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ (الاعراف / ٢٦ / ٢٧)

فانظر إلى قوله « كما » التشبيهية فى قوله تعالى ﴿ لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم ... ﴾ ثم تدبر معنى ، بعد هذا البيان ، بأن مكنم الفتنة الشيطانية لهما ولذريتهما فى نزع اللباس ، أى فى الدعوة إلى سفور المرأة والتبرج والإختلاط أولاً ، ثم الدعوة إلى تعري الناس ذكوراً وإناثاً وإختلاطهم على الشواطئ وفى النوادي والحفلات والأفلام وغير ذلك ، ولنسأل أنفسنا بعد هذا التدبر :

هل الفتنة كامنة فى مجرد التعري فحسب ، أم أنها فى الحقيقة فيما يؤدى إليه التعري بالضرورة من شيوع الفاحشة إلى حد الزنا بالمحارم وفى الأماكن العامة ، كما هو حال أهل الغرب العلماني المعاصر ؟

الإجابة : بل هى فى شيوع الفاحشة بدليل قوله تعالى فى الآية التالية ﴿ وإذا فعلوا فاحشة .. ﴾ إلى آخر الآية ومن ثم نخلص إلى أن « كما » التشبيهية فى قوله تعالى ﴿ كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما .. ﴾ تفيد أنه

كما نزع عنهما لباسهما الأمر الذى أدى إلى الواقعة بينهما لأول مرة ، وهما زوجان يحل لهما الواقعة ، فلتحذروا من الشيطان وقبيله الذين يروونكم من حيث لا ترونهم لأنهم سيعملون على نزع لباسكم وكشف عوراتكم لبعضكم البعض ، حتى تحدث بينكم الواقعة فى الحرام ، وتشيع بينكم الفاحشة ، ثم ستزعمون بعد ذلك أن الله تعالى أمركم بها وكتبها عليكم كذباً على الله عز وجل .

وبناء عليه يكون فى هذا التشبيه دليل واضح صريح على حدوث الواقعة ، لأن التحذير فى الحالتين من نزع اللباس ليس لذات نزع اللباس فقط ، وإنما لما يترتب عليه فأسلوب الشيطان فى إيقاع الناس فى الزنا وإغراقهم فى الفاحشة ليس بالدعوة الصريحة الواضحة إليها ، لأنه إذا دعا أحد إلى الزنا أو إشاعة الفاحشة صراحة وبدفعة واحدة فى المجتمع العفيف ، المحجبة نساؤه والذى يغار رجاله على الأعراض ، سيقطع لسانه إن لم تقطع رقبته ، ومن ثم يبدأ التغير الاجتماعى من العفة الاجتماعية إلى الإباحية الشهوية خطوة خطوة ، بحيث يغفل الناس عن إدراك العلاقة بين الخطوة الأولى ، التى عادة ما يجد شياطين الجن والانس مبررات يخدعون بها الناس حتى يخطونها ، وبين الخطوة الأخيرة وهى إباحة الزنى ، فتستدرجهم الشياطين إلى أسفل سافلين حتى يصيروا كالأنعام ، بل أضل خلال جيلين أو ثلاثة حتى أنهم مارسوا اليوم الزنا فى الأماكن العامة مجاهرين به فى العلن بعد أن كانوا يرفضونه فى السر .

لقد برر إبليس لأبويننا الخطوة الأولى بأنهما سيكونا من الخالدين ، فإذا بالأحداث تتداعى حتى الواقعة التى كانت هى الأخرى غير متوقعة لهما .

كذلك برر شياطين الانس للأمة الإسلامية الخطوة الأولى وهى مجرد خروج المرأة من بيتها مسفرة بضرورة التعليم والمشاركة فى التنمية ، حتى إنتهى الأمر إلى أن تكون التنمية سياحة تلك التى تجر بالضرورة إلى الدعارة وإنتهى إلى العرى المختلط الذى أشاع الفاحشة وهون من خطرها .

وهذا هو أسلوب الشيطان الذى يعتمد فيه الخطوات التدريجية خطوة خطوة فى كل

كبيرة يجر إليها بنى آدم ، إذ أنه لا يأمر بالكبيرة ، وإنما يأمر بما يؤدي إليها ، أى أنه يطلب من الانسان إتيان الفعل «أ» الذى هو مجرد ذنب صغير لكنه يؤدي إلى الفعل « ب » الذى هو ذنب أكبر قليلاً وهكذا حتى الفعل « هـ » الذى هو الكبيرة أو قد يكون الشرك والعياذ بالله ، وقد يتدرج الشيطان مع العابد فى الخطوات من الألف إلى الياء إمعاناً فى الخداع حتى يورده المهالك .

ففى مجال إستدراج الناس إلى شرب الخمر وأكل المحرمات يستخدم أسلوب الخطوة خطوة ومن ثم قال تعالى ﴿ يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ « البقرة / ١٦٨ » أى فى مجال أنواع الطعام والشراب فاحذروا أن يخدعكم بادخال الخمر ولحم الخنزير وما أهل لغير الله فى طعامكم خطوة خطوة .

وفى مجال الحلال والحرام يستدرج الناس خطوة خطوة حتى يقعوا فى الكسب الحرام فيكون طعامه وشرابه ومسكنه وزواجه من مال حرام ، ومن ثم حذرنا ربنا من خطواته فى هذا المجال بقوله ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ « الانعام / ١٤٢ » أى مما رزقكم الله حلالاً .

أما فى مجال إغراق المجتمع البشرى فى الفاحشة وهو أخطر المجالات التى يفتن بها الشياطين الناس ، فقد قال تعالى محذراً من خطوات الشيطان التى تبدأ بأمر يسير ، قد تكون النظرة التى هى بريد الزنا ، والخطوة الأولى دعوة لتعليم المرأة والمشاركة فى التنمية والافراج عنها من سجن الحریم ، حسب تعبیر جنود الشيطان من الإنس ، ومن ثم حذرنا الله تعالى من خطواته فى هذا المجال بقوله سبحانه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ﴾ « النور / ٢١ » هذا ما فعله الشيطان بالخطوات المتدرجة مع آدم وزوجه ومع ذريتهما خطوة خطوة .

ومن ثم فإن شيوع الفاحشة فى الذرية الذى هو النتيجة الحتمية لهذه الخطوات يقابلها

حدوث الواقعة بين آدم وزوجه التى هى النتيجة الحتمية للخطوات التى بدأت بالأكل من الشجرة .

رابعاً : قول الله عز وجل عن خلق آدم وزوجه ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ « النساء / ١ » ، يحمل إثبات الصلة بين آدم وحواء ، التى خلقت منه ، بعلاقة الزوجية ابتداءً ، تلك العلاقة التى تستتبع حسب ما شاء الله تعالى من سنن خلق البشر الحمل والولادة وتكاثر الذرية ، أى الأرحام ، فالإشارة إلى حتمية الواقعة قائمة فى تحديد صلة آدم وحواء وقصرها على الزوجية المنتجة للذرية ثم إسكانهما الجنة زوجين أيضاً ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ وفى هذا إثبات الصلة لهما فى الجنة ، ولا معنى لهذه الصلة إلا بحدوث الواقعة والنسل ، كما هو معلوم ، إذ هما - أى الواقعة والنسل - جوهر وحقيقة علاقة الزوجية ومن ثم فتحديد العلاقة بينهما بالزوجية هو إثبات لوقوع جوهرها ، فالمواقعة حلال مسموح بها لهما فى غير الجنة ، أى فى الأرض ، فإذا حدثت منهما فى الجنة فسيكون هذا هو المخرج لهما منها ، وحيث قد تعلق هذا على النظر إلى سواتهما فقد عمل الشيطان على تعريضهما ، ومن ثم تمّ بينهما جوهر العلاقة الزوجية الحلال ولكن فى غير الموضع المخصص فى ملك الله تعالى لهذا الفعل ، ألا وهو الأرض الابتلائية ، ومن ثم هبطوا إليها .

- الإدلة على حدوث الحمل فى الجنة : -

ولكن هبوطهما إليها لم يكن ثنائياً ، وإن كان الأمر قد صدر إليهما خطاباً للمثنى (اهبطا) ولكن الهبوط حدث جماعياً أى أكثر من إثنين : ثلاثة أو أكثر .

فهل كانت البشرية عند الهبوط أكثر من إثنين حقاً ؟

ومن أين يتحول الاثنان إلى جماعة إلا بالحمل والولادة ، أو على الأقل بالحمل

فقط . ؟

تلك إذا دعوى أسوقها تقول : إن حمل الجيل الأول من البشرية قد تم في الجنة ،
وتلك لعمري مسألة خطيرة لها ما بعدها في تاريخ البشرية كله من أوله إلى آخره .

وكأني بمعترض يقول : لئن يكون قد ترجح ، أو حتى قد ثبت ، أن الواقعة بين آدم
وزوجه قد حدثت في الجنة ، فإنه لا يثبت بالضرورة حدوث حمل الجيل الأول فيها ،
إلا أن يأتي الدليل النقلى من الوحي على هذا الحمل ، لأن الحمل من الواقعة أمر
إحتمالى ، وخاصة إذا كانت الواقعة بين الزوجين مرة واحدة ويدل على أنها لم تتكرر
لقوله تعالى ﴿ فلما ذاقا الشجرة .. ﴾ والتذوق ليس أكلا .

فأقول رداً على القول : نعم لابد من الدليل ، وأن يكون قرآنياً أيضاً .

أما من القرآن الكريم فهذا ما يكن إستنباطه بوضوح من قصة آدم فبعد معصية إبليس
سأله الله تعالى ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين ﴾ « الاعراف / ١٢ » فصرح إبليس بإصراره عليها فجاءه حكم الله
تعالى ﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾
« الاعراف / ١٣ » فالأمر بالهبوط لابليس جاء إليه خاصاً به ، ومقروناً بالتحقير
والتصغير ﴿ فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ أى أنه هبط وخرج مغضوباً عليه ملعوناً
محكوماً عليه بالصغار .

وفي تفسير هذا السياق في سورة الاعراف بعد أن أغرى إبليس آدم وزوجه فعصياً
بالأكل من الشجرة وحدث ما بعد المعصية ، أمرهما الله تعالى بالهبوط بصيغة الجمع
بعد الاستغفار والتوبة ﴿ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين ﴾ « الاعراف / ٢٣ » (قالوا) دعاء بصيغة المثني من آدم وزوجه لله عز وجل
واستغفار وتوبة إليه ، فكان الرد الإلهي عليهما وهما اثنان ﴿ قال اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنهما تُخرجون ﴾ « الاعراف / ٢٤ - ٢٥ » والسؤال هنا عن الخطاب الإلهي والأمر
الإلهي بالهبوط لآدم وزوجه بصيغة الجمع وهما اثنان ، ولا يجوز الرد على هذا بأن

الأمر بالهبوط شمل إبليس معهما ، لأن إبليس صدر له أمر خاص مقروناً بالتصغير .

أما آدم وزوجه فجاءهما الأمر بالهبوط بعد الاستغفار وبعد أن تاب الله تعالى عليهما ، ثم عقب هذا جاء إخبارهما بأنهما ، وكل النرية التي ستخرج منهما ، سيحيون في الأرض ويموتون فيها ويعثون منها ، ومن ثم لا مناص من القول بأن آدم وزوجه كانا جماعة تزيد على إثنين بما حملت زوجه في أحشائها يؤكد هذا سياق هذه القصة في سورة طه قال تعالى ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ طه / ١٢١ - ١٢٣ / طه ، فنزولهما بعد التوبة والهداية يستبعد نزول إبليس معهما كما يستبعد صدور الأمر معهما ، ومن ثم قال ﴿ اهبطا ﴾ بالثنى ثم قال ﴿ جميعاً ﴾ ، وهذا هو مرتبط الفرس إذ أثبت سبحانه أنهما جماعة في نفس الوقت الذى خاطبهما بالثنى ، ومقتضى اللغة : ﴿ اهبطا منها كلاهما ﴾ إذا كان المراد التأكيد أما الجمع في العربية فهو ثلاثة فأكثر ، وهذا ما يدل عليه لفظ (جميعاً) .

وتفسير هذا : أن الخطاب والأمر بالهبوط صدر لآدم وزوجه فقط فقال (اهبطا) ولكن الهبوط الفعلى سيكون لهما وللحمل الذى فى أحشائهما فجاءت كلمة ﴿ جميعاً ﴾ تثبت هذا الحمل . وقوله ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ أى أن بعض بنى آدم عدو للبعض الآخر منهم ، فسيكونون أعداء متصارعين متحاربين يقتلون بعضهم بعضاً ، هذا قول ، أما القول الثانى فهو أن ما فى رحم حواء سيكون عدو لهما ولذريتهما ، وهو فيما أرى القول الأرجح لدى ، وليس المعنى كما يفسره بعض المفسرين هو أن العداء سيكون بين الآدميين والإبليسيين الجنيين ، لأن عداء إبليس لهما وبالتالى عداءه وذريته لذريتهما أمر ثابت منذ أن أبى السجود إستكباراً وقد أخبرهما الله بهذا ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ طه / ١١٧ ، وفى قوله تعالى أيضاً لهما بعد المعصية ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن

الشيطان لكما عدو ميين ﴿ ٢٢ / الاعراف ﴾ فالعداء الإبليسى لآدم معلن منذ أن أسكن الله تعالى آدم وزوجه الجنة ، أما ذكر العداء عند الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ففي سورة طه ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ طه / ١٢٣ - ١٢٤ ، وهنا أيضاً الخطاب تحوّل من المثني فى قوله ﴿ اهبطا ﴾ إلى الجمع فى قوله ﴿ بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى ﴾ فالبعض والبعض جمع والهدى المنزل منزل على جمع ﴿ يأتينكم ﴾ لأن الأمر بالهبوط كان لآدم وزوجه والعداء سيكون بين الذرية ، والهدى من الله تعالى سينزل على ذرية آدم ، وليس على الجن لذا جاء الخطاب للجمع ، ومعلوم أن الرسالة والكتب تنزل على الإنس ولا تنزل على الجن .

أما خبر الهبوط من الجنة فى سورة البقرة فقد جاء مرتين بينهما خبر توبة آدم وزوجه عليهما السلام قال تعالى ﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ، قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ البقرة / ٣٦ / ٣٩ ، فى الآية الأولى من هذا السياق يعود الضمير فى قوله ﴿ اهبطوا ﴾ على المسبوق ذكرهم فى نفس الآية وهم : الشيطان وآدم وحواء ، وذكرهم أصرح فى الآية السابقة عليها وهى قوله تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ البقرة / ٣٥ ، أما الآية التى بعدها فجاء ذكر الشيطان فى قوله ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ وذكرهما بضمير المثني ، وعلى هذا فالأمر الإلهي فى هذه الآية ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ البقرة / ٣٦ ، الفاعل هو واو الجماعة فى فعل الأمر ﴿ اهبطوا ﴾ وهو ضمير

عائد على آدم وزوجه والشيطان الذى أزلهما عنها .

وكذلك يكون الإخبار بالاستقرار والمتاع إلى حين فى الأرض لأبليس والجن ومن تبعه من الشياطين ، وكذلك لآدم وزوجه وذريتهما أيضاً ، لكن ، وأرجو الانتباه مما يلى بعد « لكن » ، فى قوله تعالى ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى ﴾ إلى آخر الآية ، نجد الضمير الفاعل فى فعل الأمر ﴿ اهبطوا ﴾ لا يعود على العائد عليهم نفس الضمير فى نفس فعل الأمر فى الآية السابقة ، أى أنه ليس عائداً على آدم وزوجه وإبليس ، لأن القاعدة هى عودة الضمير على أقرب مذكور سابق ، وفى هذا الأمر الثانى بالهبوط جاء بعد قوله تعالى ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ البقرة / ٣٧ ، وليس لإبليس هنا موضعاً للذكر بل فى مقام توبة آدم وزوجه واستغفارهما لا بد أن يختفى ذكره ويغيب أثره عليه لعنة الله ولهذا ، والله تعالى أعلم ، أقول إن الأمر بالهبوط فى الآية السادسة والثلاثين من السياق غير الأمر بالهبوط فى الآية الثامنة والثلاثين من السياق ، لأن الأولى موجهة إلى آدم وحواء ، وإبليس ، والثانية موجهة إلى آدم وحواء بعد التوبة فقط ، ويؤكد هذا أنه جاء بعد التوبة ، ثم الإخبار بأنه سيأتيهم من الله عز وجل هدى ، أى كتباً منزلة على رسل من البشر ، وهذا ليس للجن فيه نصيب إذ الجن مكلفون بما ينزل على رسل البشر ، وبالتالي لا بد أن يكون هذا الأمر بالهبوط الملحق معه الإخبار بنزول الهدى على المخاطبين موجهاً إلى جمع ليس منهم إبليس ، وحيث أن الأمر بالهبوط كان لآدم وزوجه فقط ، فليس ثم تفسير لكونه بصيغة الجماعة إلا إذا اعتبرنا الواقعة بين الزوجين فى الجنة قد أنتجت حملاً .

وهذا التأويل يزيل ما قد يتبادر إلى الذهن من وجود تكرار فى السياق بين الأمر بالهبوط فى الآية السادسة والثلاثين والأمر فى الآية الثامنة والثلاثين ، وحاشا لله تعالى أن يكون فى كتابه تكرار بلا معنى أو بلا إضافة جديدة أو بلا سبب كتحويل فى الخطاب أو تغير فى مسار السياق أو غير ذلك ، وهذا التشابه بين ألفاظ الأمرين بالهبوط فى هاتين الآيتين مثال لهذا الذى نقول .

والخلاصة أن الدليل اللغوي آنف الذكر لا يثبت حدوث الحمل فى الجنة فقط ، بل إنه يصلح أيضاً لإثبات حدوث الولادة فيها .

أورد الحافظ بن كثير فى تفسيره ما رواه بهذا الصدد (محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : أن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هايل ، وأمر هايل أن ينكح أخته توأمة قابيل فسلم لذلك هايل ورضى ، وأبى ذلك قابيل وكره تكراً عن أخت هايل ، ورغب باختته عن هايل وقال : نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض وأنا أحق بأختى ، ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس فضناً بها على أخيه وأرادها لنفسه والله أعلم) (١)

هذه الرواية تثبت صلة بين قابيل وتوأمه وبين الجنة ، ويدل على صحتها ما سقناه من الأدلة القرآنية بحسب قواعد العربية وأهمها إثبات الهبوط وللجمع مع كون الاستغفار والتوبة والأمر بالهبوط للمثنى مرة وللجمع مرة أخرى ، وبالرغم من تخصيص أمرا بالهبوط لأبليس بصفة المفرد مقروناً بالتصغير يخرج من أمر الهبوط لآدم وزوجه بعد التوبة .

وسواء ولد قابيل وتوأمه فى الجنة أم فى الأرض فعلى الأقل قد ثبت الحمل بهما فى الجنة وهذا هو الذى يفسر لنا ادعاء بعض الحكماء أو الكهنة أو غيرهم أنهم هابطون من السماء .

أو أنهم يتميزون عن سائر البشر بأنهم أبناء السماء ، كما كان يزعم الفراعنة ، وكما يعتقد اليابانيون فى الأباطور الذى امتد حكم أسرته قرابة ثلاثة الاف عام ، إذ يسجدون له مصدقين أنه هابط من السماء على غير تفسيرهم لأصل سائر البشر .

وقول قابيل لأخيه هايل أنه أحق بتوأمته منه لأنهما من حمل الجنة وهما من حمل الأرض أو لأنهما من ولادة الجنة وليس من ولادة الأرض مثلهما إنما هو إستكبار وإستعلاء بهذا العهد السماوى فى أصل وجودهما . وهو إستكبار له ما بعده كإستكبار إبليس ، إذ هو الذى أوصله إلى أن يصبح من الخاسرين فى الآخرة بقتل أخيه والزنى

بتوأمته ، ولهذا أيضاً ما بعده كما سئرى بعد بإذن الله تعالى .

وهكذا كما ابتلى الله تعالى إبليس بتهـضبيل آدم عليه السلام عليه فكشف ما فى نفسه من كفر ، ابتلى الله تعالى قاييل بأخته وأخيه فكشف ما بنفسه ، ومن ثم تحول مثل إبليس من حزب الله إلى حزب الشيطان بل إلى زعيم هذا الحزب مبرراً جريمته بأنه خير كما فعل إبليس تماماً .

الفصل السادس

القيادة المتظرة المستمرة
لحزب الشيطان

التفسير الاعتقادي لوجود قيادة الشر المستمرة مدى الحياة الدنيا : -

فالأصل الوجودي للقيادة الشيطانية الدائمة المستمرة متمثل في مشيئة الله تعالى بإبتلاء الإنس والجن ، هذا الابتلاء الذى لا يتحقق إلا بالاختيار بين النجدين ، أى بين الإيمان والكفر ، وبين التوحيد والشرك والطاعة والمعصية والخير والشر ، فلما فسق إبليس عن أمر ربه ، وصار أول الخاسرين فى الابتلاء ، طلب من الله عز وجل بعض الإمكانيات والوسائل التى يستطيع بها غواية الثقلين المبتليين من الآدميين والجنيين والتغريب بهم حتى يفتن الغاوى منهم فى مقابل غوايته وفتنته بآدم ، إذ أمره الله عز وجل بالسجود وتكريمه عليه ، فأعطاه الله تعالى ما يوسوس به وما يزين به الشر للناس وما يتمكن به من دعوتهم إلى ضلالاته وندائهم للدخول فى شجده الشرير ذى السبل الضالة المتعددة .

أى أذن الله تعالى له فى الدعوة والوسوسة والتزيين ، ولم يأذن له بالالزام والاجبار والقهر ، لأن هذا يخالف سنن الابتلاء ويسقط ميزان التعادلة اللازم للإختيار ، هذا الميزان الذى نال بمتقضاه إبليس امكانيات الدعوة للضلال مع النظرة إلى يوم الوقت المعلوم ، فصار قائدا مستمرا لحزب الشيطان خلال أجل البشرية كله ، لكن ليس له ولجنوده وحزبه سلطان على الإنسان قبل أن يستجيب له ، أما إذا استجاب له وسلك سبيله وسار على نهجه واطاعه بإرادته فيكون هذا الضال عن الصراط المستقيم هو الذى جعل للشيطان عليه سلطاناً وصار من إتبعه فاسقاً وإستحوذ عليه الشيطان واتخذ جندياً وعضواً فى حزبه .

ونظر إبليس فوجد أن الله الحى الدائم القيوم هو عز وجل الذى يقود حزبه فى الصراع مستخلفاً بين الناس الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم يبلغون وينفذون ويعلمون بأمر الله تعالى فهم صلى الله عليهم وسلم خلفاء الله سبحانه وتعالى فى قيادة حزبه خلال الصراع التاريخى المستمر . فتناول إبليس بعد فسقه وبعد أن أذن الله تعالى له بغواية بنى آدم فى مقابل غوايته هو بآدم ، فطلب النظرة من الله عز وجل إلى يوم

البعث ، حتى تكون قيادته للغواية والإضلال مستمرة دائمة طيلة هذا الأجل ، وقد أذن الله تعالى له ، لأن هذا متوافق مع الحكمة التي من أجلها شاء الله تعالى خلق السماوات والأرض والثقلين : الإنس والجن ، ولكن ليس إلى يوم يبعثون كما طلب ، وإما إلى يوم الوقت الذي ينتهى فيه ناموس الإبتلاء وتتوقف فيه سنه ، إذ الإمهال أو النظرة مرتبطة بحقيقة الإبتلاء ، ومن ثم فتوقفها وإنهاء أجلها إنتهاء للنظرة . وهو بالتحديد يوم خروج الشمس من مغربها وإغلاق باب التوبة .

تؤكد لنا هذه الحقيقة الأساسية من حقائق الصراع التاريخي بين حزب الله وحزب الشيطان بما قاله إبليس لله عز وجل بعد طرده من رحمته ، فماذا قال ؟ ﴿ قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ، قال أخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ (الاعراف / ١٦ - ١٧) ،

فما معنى قوله ﴿ فيما أغويتني ﴾ كأنها ، والله تعالى أعلم ، فكما أغويتني ، أو فبحكم ما أغويتني ، أو بحسب ستتك ومشيتك في الإبتلاء التي بمقتضاها ابتليتني بآدم ، ابتليه واغويه بي .

فما هو مضمون الغواية التي أغوى الله تعالى بها إبليس ، وكيف أغواه ؟ إن الغواية مزيج من الإغراء والإضلال والاستدراج للتحيص وكشف ما هو خفي مضمّر في نفس الكائن المبتلى . ولقد أغوى الله تعالى بهذا المعنى كله إبليس ، حتى إستخرج ما هو مضمّر مخفي باطنى في نفسه من خبث ، فصار هذا الخبث الباطنى المخفى في قلب إبليس بعد إستخراجه ظاهراً متمثلاً في قوله وفعله .

فماذا كان في باطن إبليس ، أو ما الذى كان يخفيه هذا اللعين في نفسه ، فأظهره الله تعالى بالإغواء الإبتلاي التّمحيصى ، لما أمره بالسجود لآدم عليه السلام ؟

لقد كان إبليس عابداً لله تعالى في صفوف الملائكة ، مجتهداً في العبادة ، متفوقاً

عليهم في هذا المضممار كما دلت على هذا أقوال المفسرين ، وذلك بالرغم من أنه ليس ملاكاً لأنه من الجن ، ومعلوم أن الله عز وجل خلق الملائكة من نور العرش ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق الإنسان من الطين ، بعد أن تحول إلى صلصال كالفخار ، وورد أن إبليس كان يدور حوله ويدخل جوفه قبل أن ينفخ الله فيه من روحه .

وعلى هذا وردت أقوال في تعليل وجود إبليس وهو من الجن في الأصل مع الملائكة حين أمرها الله تعالى بالسجود لآدم ، ولا يهمنا أحداث إنتقاله من الأرض إلى عالم الملائكة ، أو من مجتمع الجن ، أينما كان ، إلى الملائكة الأعلى ، أينما كان أيضاً ، والذي هو في السماء حسب النصوص القرآنية والحديثية ، ولكن الثابت وهو الذي يهمنا ، أنه كان مع الملائكة رغم كونه جنياً في الأصل قال تعالى ﴿ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾ « الكهف / ٥٠ » ، فقلوه تعالى : ﴿ للملائكة ﴾ لأن الجمع كله من الملائكة وكان هو معهم عابداً لله تعالى مثلهم ، ومن ثم صار من البديهي أن يكون الأمر الصادر إليهم صادراً إليه هو أيضاً ، فلما لم يستجب ولم يسجد ، وسأله الله عن السبب الذي منعه من السجود لآدم ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ « ص / ٧٥ »

حدّد إبليس السبب بوضوح إذ ﴿ قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ « ص / ٧٦ » وفي سورة الأعراف ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ « الأعراف / ١٢ » وتفسير ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ أي ما منعك حتى لا تسجد ، وفي سورة الحجر ﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقتني من صلصال من حمأ مسنون ﴾ « الحجر / ٢٣ » وفي سورة الاسراء ﴿ قال أسجد لمن خلقت طيناً ﴾ « الاسراء / ٦١ » ومن ثم فقد أقر إبليس أن الذي منعه

عن السجود هو الكبر والاستعلاء ، ورفض الاقرار لآدم بالأفضلية والتكريم ، فالسبب نابع من ذاته المتمردة حيث تتضمن الاجابة فى جميع المواضع إقراراً صريحاً واضحاً على إستكباره واستعلائه بالذات الجنية النارية الأصل على الذات الأنسية الطينية الأصل، والاستعلاء أو الإستكبار حالة نفسية نابعة من باطن المستكبر وخارجة من قلبه ولها ما يصدقها ويظهرها من السلوك والأعمال بالجوارح والتصريح باللسان .

وهذا ما أثبتته الله عز وجل عليه فى كتابه فى أكثر من موضع ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ (البقرة / ٣٤) ، فقله تعالى ﴿ أبى واستكبر ﴾ أى رفض مستكبراً فالعلة هى الإستكبار . ، وأما إستكباره واستعلاؤه على آدم بقياس أصله هو النارى على أصل آدم الطينى ، فهو تبرير لا معنى له . ، لأن خالقه وخالق كل شئ ومالكة ومالك كل شئ ، وربه ورب كل شئ هو الذى أمره بالسجود وهو الذى كرم آدم الطينى عليه وعلى الملائكة النورانيين ، وهذا التبرير من إبليس ليس تبريراً للمعصية بالإستكبار الذى هو العلة الحقيقية والدافع الذاتى للمعصية . هذا الدافع لم يحدث فى نفسه بعد الأمر بالسجود ، بل كان فى نفسه كامناً خفياً قبل خلق آدم عليه السلام .

الكفر الباطنى الخفى الذى كان عليه إبليس قبل المعصية : -

ولبيان هذا أقول : إن إبليس لما إنتقل من الأرض إلى السماء أو بتعبير دقيق صحيح لما إنتقل من عالم الجن إلى عالم الملائكة الذين لا يتنافسون إلا فى طاعة الله عز وجل وعبادته وتقديسه وتسبيحه وتوقيره وتعظيمه . نزعته نفسه للعلو بجنيته على ملائكتهم ، وتحرك باطنه لإثبات ذاتيته تعصباً لجنسه متطوعاً ومتطاولاً إلى خيرية ذاته الجنية على الذات الملائكية ، وأفضليته هو عليهم ، فكيف يتحقق له ما نزعته له نفسه ، هذا الذى أصبح هدفه الذى ملك عليه نفسه ؟ لم يجد أمامه مجالاً ينافس الملائكة فيما هم فيه ليتفوق عليهم إلا عبادة الله وتسبيحه وتقديسه ، لأن الملائكة لا شغل ولا شاغل ولا هم ولا مطلب لها إلا عبادة الله تعالى وطاعته ، فلم يكن أمام إبليس من مجال ينافس

الملائكة فيه ليثبت أفضليته عليهم إلا مجال عبادة الله عز وجل ، ولم يكن أمامه من سبيل يسلكه ليسبق الملائكة وليتميز بينهم سوى هذا السبيل ، ومن ثم عبد إبليس الله تعالى واجتهد أيما اجتهد في عبادة الله عز وجل ومعرفته وتقديسه وتسبيحه : ركوعاً وسجوداً وصلاته وتضرعاً ، ليس إيماناً منه باستحقاق الله عز وجل لهذا كله أى ليس إقراراً منه بالألوهية لله عز وجل ، وليس إيماناً منه بعبوديته هو ككل مخلوق لله عز وجل ، أى لم يكن أيضاً إقراراً لله عز وجل بالربوبية . فلم تكن عبادته ولا إجهاده في العبادة الذى تفوق فيها على كثير من الملائكة ابتغاء وجه ربه الأعلى طلباً لمرضاته ، وإنما كان كل عمله وكل قوله وكل تفكيره وخطرات نفسه لكى يتفوق على الملائكة ويثبت إنيتته ، ويؤكد ذاته ، فكانت أفعاله وعبادته لذاته هو ، وليست لله سبحانه وتعالى ، والأعمال بالنيات ولكل عامل ما نوى .

وعلم الله تعالى منه هذا سبحانه الذى يعلم السر وأخفى ، ولا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ظاهراً فى سلوك الأحياء وأقوالهم ، أو باطناً فى قلوبهم ودوافعهم ونياتهم وخواطرهم وسوانحهم ، فلقد كان مع الملائكة كاذباً منافقاً ، لأنه بأعماله وأقواله كأنه يقول لهم ، أنا أكثر منكم عبادة لله تعالى فأنا أكثر منكم إيماناً به ، ولما كانت عناصر الإيمان بالله عز وجل هى حب الله عز وجل حباً أشد من حب المؤمن لنفسه ورجاؤه فيه وحده دون غيره سبحانه ، وخشيته أشد من خشية غيره عز وجل ، فإنه لا معنى للمنافسة فى عبادة الله تعالى بنية إثبات أفضلية العابد على غيره من العابدين المتنافسين معه فى العبادة ، لا معنى لها إلا عبادة ذاته هو ، فلسان حال هذا المنافس المتفوق على غيره فى العبادة ، بهذه النية يقول : أنا أشد حباً لله وأعظم رجاءاً فى رحمته وأشد خشية لله من الذين تفوقت عليهم فى العبادة ، وحيث أن هذا ظاهر حاله ، فى حين أن باطن نفسه ليس كذلك ، بل يقول : لقد تفوقت على الملائكة فى العبادة والتسبيح والتقديس لله فأنا الأفضل والجنية بالتالى أفضل من الملائكية ، ومن ثم فقد كان منافقاً إذاً حين كان عابداً مع الملائكة ، وحيث أن حقيقة النفاق هى حقيقة

الكفر إلا أن المنافق يغطى كفره الباطنى بسلوك المؤمنين الظاهرى ، فإن إبليس كان وهو متفوق على الملائكة فى العبادة كافراً ، كان عابداً بظاهره كافراً بباطنه ، إذ لم يكن ينطوى بباطنه إلا على الإستكبار والاستعلاء بآنيته الفردية ، وبعنسه الذى ينتمى إليه أى بالجنية ، وهذا إيمان منه بذاته وتعصب منه لجنسه وهو شرك وكفر بالله عز وجل .

فالكفر لم يطرأ على نفسه مع المعصية وبسببها بل كانت ذاته المستكبرة المستعلية هى النازعة للفسوق أو الخروج عن مقتضيات خضوع العبودية وإذعان المستسلمين لله عز وجل وهم الملائكة ، إلا أن هذا لم يظهر فى سلوكه ، لأن مجال المنافسة لم يكن يسمح إلا بالاجتهاد فى تسبيح الله تعالى وتقديسه وعبادته ، كما ذكرنا هذا ووضحناه من قبل ، وعلم الله تعالى بكفره الباطنى ، فأغواه وأستدرجه وابتلاه بآدم ، فخلقه من طين ، الأمر الذى جعل إبليس بادئ الأمر يظن أن هذا المخلوق الجديد لن يكون أفضل منه لأن الطين أقل فى درجات الأفضلية من النار التى خلق الله تعالى منها إبليس ، فلما واجه إبليس الابتلاء التمحيصى لباطنه الكاشف لما فى قلبه ، الفاضح لما يخفيه ويضمره فى نفسه ، خسر فى الابتلاء ، لأن الدافع الذى كان يدفعه لكى يعبد الله تعالى هو الاستكبار والاستعلاء وإثبات أفضليته على غيره مزيكياً ذاته على ما سواه ، فلما سلبه الله تعالى هذه الأفضلية مصطفىاً لها آدم جاعلاً إياه له خليفة ، أمراً للملائكة وإبليس بالسجود له إقراراً بالخلافة وإعترافاً له بالأفضلية ، إصطدم هذا التفضيل الإلهى لآدم على إبليس بدافع الاستكبار عنده ، فغلبت عليه نفسه وهواه وتشبثه بالأفضلية واختار المعصية السلوكية ، ولكن بدافع الاستكبار السابق عنده ، فهو لم يكفر بالمعصية ، وإنما عصى بما انطوى عليه قلبه من إستكبار وكفر سابق ، أى أنه عصى لأنه كان كافراً ولم يكفر لأنه عصى ، قال تعالى ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ (البقرة / ٣٧) فتأمل قوله تعالى ﴿ وكان من الكافرين ﴾ فهو إذن لم يكن من المؤمنين ، والكفر حقيقة باطنة قلبية تنطوى النفس عليها مثل الإيمان إذ لا تدخل النفس إلا بخروج الإيمان ، فقيم إذا كانت عبادة إبليس

التي يرُّ بها الملائكة ، وتفوق بها عليهم ؟! ولمن كانت تلك العبادة موجهة ؟ لقد كانت دوافعه الباطنية السلوكية موجهة نحو ذاته هو ، كانت دوافع الاستكبار للأنا الابليسية المتمردة على العبودية ومقتضياتها فلما صارت الطاعة لله عز وجل وعبادته سبحانه متعارضة مع هذا الاستكبار والكبر النفسى القلبي عصى ، ولما صار التفاضل والتميز والتفوق يتحقق بالمعصية وترك العبادة وبرفض السجود لآدم رفض أن يسجد ، ودل هذا على أنه كان من الكافرين ، فكان كفره علة لمعصيته ، ولم تكن معصيته علة لكفره ، وإذا كانت المعصية السلوكية نابعة من ذات كافرة وتعبيراً عن الكفر الباطنى ، إمتنع هذا العاصى عن الرجوع والتوبة ، ودفعه كفر الباطن للإصرار على المعصية تحقيقاً لتمييزه واستكباره ، وهذا هو ما كان من إبليس وشيعته ، والذين على ملته من المستكبرين من الإنس والجن إلى يوم القيامة ، لأن المعصية السلوكية فرع من الكفر القلبي الباطنى ، ومثل هذا الكافر لا ينزع للتوبة عن المعصية تلك المعصية التى هى فرع عن الكفر مع إصراره على الكفر الذى هو أصل لها . ومعصية إبليس نابعة من كفره أو بتعبير أدق من نفاقه القلبي الباطنى الذى كان يخفيه ، فابتلاه الله عز وجل الابتلاء التمحيصى الذى جعله يعلن ما فى باطنه من كفر فى سلوكه المتمثل فى رفض السجود لآدم ، ثم يَصْرُّ عليه مع الاقرار باستكباره وكفره .

تلك هى الأنا الأبلسية المتمردة على مقتضيات العبودية ، والتى باطنها أسفل طبقات الرجس وأضل أنواع الكفر ، وهو النزوع نحو التمايز على عباد الله تعالى ، هذا الذى ليس شيئاً سوى الكبر الذى لا يدخل صاحبه الجنة ، ولو كان قلبه لا يحتوى إلا على مقدار حبة خردل منه ، لماذا ؟ لأن مقدار حبة خردل من الكبر نزوع عن مستوى العبودية وخروج عن مقتضيات المخلوقية وفسوق عن حدود الفطرة السوية وهذا كله تطاول نحو الألوهية وسواء قل مقدار هذا التطاول أم كثر فهو كبر فى صدور أهله رغبة فى التأله ما هم ببالغيه . قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ غافر / ٥٦ - ٥٧ ﴾ ، فجдал الكفار فى آيات الله تعالى البينات من قبيل جدال إبليس فى أمر الله له بالسجود لآدم وما منعه ومنعهم من التزام أمره سبحانه إلا كبر فى صدورهم نفوراً من العبودية ورغبة فى التميز والتسلط والتأله وما هم ببالغين هذا الهدف ، لأنهم ليسوا إلا عبيداً . وذلك لأن الذى يستنكف عن أن يكون عبداً لله يزعم أنه إله ، كما زعم النصارى أن المسيح بن مريم ليس عبداً ، ومن ثم زعموا ألوهيته ، لما قالوا بينوته لله عز وجل ، فجاء الرد عليهم ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيوفى لهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ النساء / ١٧٢ - ١٧٣ ، فقرن سبحانه بين الاستنكاف عن عبادته وبين الكبر فى الصدور وبكتهم بأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فكيف يتناول ذو الحجم الضئيل الذى لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً نحو التأله ١٩ وكيف يسمح لنفسه الخبيثة أن تشرئب إلى مقام الألوهية الذى هو للخالق وحده ، رغم أنه مخلوق ضعيف ضئيل ١٩

- الاستكبار عن عبادة الله تعالى وعبادة الأنسا هو أصل الشر
فى الكون : -

والأعجب من هذا كله . أن تكون الأنا الإبلسية التى تعبد ذاتها عابدة متألهة فى آن واحد ، وأصل هذا الكفر هو الإستكبار الذى منشؤه تزكية العابد لنفسه ، وهذه التزكية هى بذرة الشرك عند المشرك قال تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد إفتري إثماً عظيماً ، ألم تر إلى الذين يزكّون أنفسهم بل الله يزكّى من يشاء ولا يُظلمونَ فتىلاً ، انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت

والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴿ النساء / ٤٨ - ٥٢ ﴾ فتأمل الصلة بين وعيده سبحانه بعدم المغفرة للمشرك وبين التنبيه ولفت النظر إلى الذين يزكون أنفسهم لتعلم أن تزكية المخلوق نفسه هي بذرة الشرك ثم عودة النص إلى الذين كفروا من بنى إسرائيل وأهل الكتاب الذين يؤمنون بالجبت والطاغوت ويشهدون الزور ، إذ يقولون أن مشركى العرب عبدة الأوثان أهدى من المسلمين الموحدين . أما إيمانهم بالجبت والطاغوت فهو إيمانهم بالسحر الذى هو وسيلة الاتصال بإبليس وعالم الشياطين ومملكة الشيطان وكل ما يدور فى محوره ويؤدى إلى نصرته وازدهار مملكته الشريرة . هذا النصر والازدهار الذى لا يتم إلا على حساب حزب الله تعالى والخلافة الإسلامية وضعفها وهزيمتها إلى الحد الذى يحاول حزب الشيطان فى عصرنا هذا محوها من الأرض .

إن خلفاء الشيطان وأعوانه وأتباعه ليسوا من الكافرين بالضرورة ، بل منهم من ينتمى إلى حزب الله ويعيش بينهم وينافسهم فى عبادة الله تعالى وفى الجهاد وفى إظهار الحرص والاخلاص لنصرة الله وحزبه ودينه بينما هو أمثاله يعملون ما يعملون إثباتاً لذواتهم وإعلاءاً للأنا الإبليسية التى تسكن قلوبهم ، إنهم أتباع إبليس وعلى نهجه فى مرحلته الملائكية وأمثال هؤلاء لا بد أن يكشفهم الله تعالى ويفضح نيّاتهم الخبيثة لأنهم ، لا يعبدون إلا أنفسهم .

وهم جميعاً - سواء علموا أم لم يعلموا - مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية ، بالرغم من أن عبادتهم أفضل وصلاتهم أكثر خشوعاً لمن يرى ، وقراءتهم للقرآن متميزة ، قال تعالى ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الاعراف / ٥٤) فالتوحيد إثبات الخلق والأمر لله عز وجل ، فمن أثبت الخلق لله تعالى وزكى نفسه ، فقد أثبت الأمر

لنفسه ، وجعلها شريكاً لله في الأمر ، ومن ثم يكون قد أشرك بعبادة الله عبادة الذات ، ذلك أن إبليس في خطابه لله عز وجل لم ينكر أن الخلق لله عز وجل بل أثبت لله تعالى الخلق ، إذ خاطبه بنداء الربوبية حيث طلب النظرة والإمهال من الله تعالى ﴿ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ الجن / ٧٩ ، فأنظر قول إبليس ﴿ رب ﴾ الذى يتضمن إقراراً منه بالربوبية مع رفضه طاعة أمر الله تعالى ، فكان هذا إشراكاً منه فى الألوهية إذ عبد ذاته مع الله عز وجل فأطاع هواه وعصى ربه ، وأساس هذا عنده الإقرار لله عز وجل بالخالقية ، فجعل له الخلق ، إلا أنه لم يجعل له الأمر ، وجعله لنفسه الخبيثة ، وهذا هو شركه وكفره بالله تعالى ، ويتمثل كفر إبليس فى أنه نسب العمل الصالح الذى نafs به لنفسه ، ولم ينسبه لله عز وجل الذى خلقه وأذن له وأعانه عليه ، يدل على هذا ما أورده السيوطى فى الدر المنثور^(١) : أخرج ابن جرير عن عبد العزيز الشامى عن أبيه ، وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط ما عمل ، ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزله الله على أنبيائه ورسله لقوله تعالى ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ ومن يفعل ذلك فهو على نهج إبليس .

وأول من نهج نهجه وفعل فعله فتأبلس مثله هو قاييل الذى إستعلى بحمله فى الجنة هو وتوأمته على أخيه هايل وتوأمته لأنهما من حمل الأرض .

نفس الإستعلاء ورفض أمر الله والمعصية والإصرار عليها فإنتقل بالمعصية إلى شيطان وبالإصرار عليها إلى التضحية بالآخرة واليأس من رحمة الله تعالى فتحول بهذا الإصرار إلى إلى الأبلسة ، فكان شيطان وإبليس الإنس الأول مقارنة بإبليس الذى هو إبليس الجن الأول .

(١) السيوطى / الدر المنثور مجلد ٣ ص ١٠٠

الفصل السابع

صوت ابليس المستفز
للمؤمنين الجالب عليهم بخيله ورجله .

قيادة إبليس لحزب الشيطان من خلال صوته آدمي له في الإنس : -

الصراع بين الحزبين وقيادة إبليس لحزب الشيطان ، نبأ عظيم وخطير الشأن في حياة البشر ، لا يعرض عنه إلا الكافرون ، فأمر الله تعالى رسول الله ﷺ بإبلاغ هذا لقومه مع بيان أنه ﷺ لم يكن في الملائكة الأعلى حين بدأت قصة هذا الصراع ﴿ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملائكة الأعلى إذ يختصمون ، إن يوحى إلى إلا أنا نذير مبين إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ، قال رب فانظرنى إلى يوم يُعْثَرُونَ قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾ ص ٦٧ / ٨٥

والنبأ العظيم هو نبأ اختصام الملائكة الأعلى الذى لم يكن للنبي الخاتم المنزل عليه القرآن ﷺ علم به ، إذ تعجبت الملائكة من اصطفاء الله تعالى آدم الذى خلقه الله تعالى من طين للخلافة ، ومن ثم أمرهم أن يسجدوا له . فسجدوا جميعاً ما عدا إبليس الذى كان كافراً فاستكبر ، وسأله الله عز وجل لإقامة الحجة عليه : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ؟ ﴾ وخلق الله تعالى لآدم بيديه أحد المكرمات الخمس التى كرمه بها وجعله بها خليفة وهى :

١ - خلقه بيديه .

٢ - نفخ فيه من روحه .

٣ - علمه الأسماء .

٤ - أسجد له الملائكة

٥ - أسكنه جنته .

خلق آدم بيديه لما يعلم منه أنه سيحتج بأصله الناري في مقابل أصل آدم الطيني ،
كما أن من لوازم العبودية الطاعة المطلقة لله عزوجل ومن ثم قال له في سورة الأعراف
﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ (الأعراف / ١٢)

أى أن مجرد الأمر يوجب الطاعة سواء أوافق ما فى نفسه أم خالفه ، وسواء أفهم
حكمته أم لم يفهم ، وسؤال الله تعالى إبليس عن المانع الذى منعه عن السجود هو
ابطال لما سيحتج به كذباً بالقدر وبأمر الله وإذنه الكونى ، وهو بهتان من إبليس ، لأن رد
إبليس كما أسلفنا اعتراف بأن الرفض والاباء نابع من ذاته . ثم هو بحث بعد ذلك عن
تعليل للرفض فقام النار التى أصله على أصل آدم عليه السلام الذى هو الطين ﴿ قال
أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ (ص / ٧٦) وكما وضحنا من قبل
فإن هذا الرفض كان إعلاناً عن مخبوء الأنا الابليسية المتمردة الخارجة عن لوازم العبودية
ومقتضياتها ، ومن ثم صدر الحكم الإلهى على إبليس باللعنة الابدية لَمَّا أظهر من قرارة
نفسه إختياره النهائى للكفر واصراره عليه ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك
لعنتى إلى يوم الدين ﴾ (ص / ٧٧ - ٧٨)

بدء الصراع بين الخبيث والطيب في الكون :

لقد صار إبليس رجيماً وحلت عليه لعنة الله تعالى إلى يوم الدين ، هذا بالنسبة
لموقف إبليس من ربه عز وجل ومصيره الأبدى ، أما بالنسبة لموقفه من الانس فهو بلا
شك الحقد النارى الشديد نحو آدم وذريته ومن ثم العداء المستحكم الدائم .

لقد صار حزياً للشر والكفر ، عداؤه لله عز وجل ولجزبه سبحانه وللحق وللخير منذ
هذه اللحظة إلى يوم القيامة ، لأن قول الله عز وجل ﴿ إلى يوم الدين ﴾ فيه إعلام
وإعلان لأبليس بأن الحساب والجزاء له موعد آجل .

ومن ثم جند إبليس نفسه لإضلال غريمه آدم وذريته ﴿ قال رب فأنظرنى إلى يوم

يُبعثون ﴿ ص ٧٩ ، أى أمهلنى إلى يوم الدين حتى أضل أبناء آدم وأغويهم كما أغويتنى يا رب به ، فلقد أصبح هذا من حقى عليه وعليهم أن تغويهم بى كما أغويتنى به وفضلته على . فيماذا أجابه الله تعالى ﴿ قال فلأنك من المنظرين ﴾ ص ٨٠ ، ليس إلى يوم يبعثون فهذا حلم إبليس الذى لم يحصل على وعد به من الله تعالى ، ذلك أنه يريد أن ينجو من الموت فيظل حياً إلى يوم البعث ، وما أعطاه الله له من النظرة لا ينجيه منه ، وإنما وعده الله تعالى بأن يمد فى أجله حتى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم القيامة الذى يبدأ فى الدنيا ، وينتهى يوم الدين ، فالإمهال لأبليس حتى مرحلة من مراحل القيامة ، وهى عصر الآيات العشر ، كما ورد فى الآثار الدالة على أن إبليس يخر ساجداً لله نادماً إذا رأى الشمس طلعت من مغربها ، حيث لا تقبل التوبة ، وهو وقت نهاية الابتلاء للثقلين ، وإن لم يكن نهاية أجل الحياة حيث ، تستمر بعد ذلك بالاشرار . تقول الآثار أن الدابة التى تخرج من الأرض تكلم الناس يوم خروج الشمس من مغربها هى التى تذهب إلى إبليس وتقتله .

لقد سأل إبليس الله عز وجل النظرة والإمهال بعدل الله عز وجل ، أو بما علمه من سنن الله تعالى فى خلق السماوات والأرض بالميزان المقيم للتعادلية ، وبما علمه عن حكمة الله من خلق السماوات والأرض للابتلاء ، ولأنه من الجن الذى خلقه الله للإبتلاء أيضاً . وبما علم أن الابتلاء يقتضى التعادلية المحققة للاستواء اللازم لصحة الاختيار ، فطلب من الله أن يجعله قائداً لحزب الشر والرجس مُتألفاً بين كل مَنْ يستجيب له من الجن والإنس ، مُشرئباً بعنقه نحو هذا التآليه الموهوم الكاذب لذاته ، بدافع الاستكبار الذى فسقت عنه نفسه ، وخرج به عن حدود العبودية فطلب الامهال بهذا كله ، فأعطاه الله تعالى إياه ، ومن ثم توعد الثقلين المخلوقين للإبتلاء ، أى ليس الآدميين منهم فحسب ، بل وكذلك الجنّيين من بنى جنسه ، توعدهم أن يضلهم ليعبدوه هو بالباطل مع عبادة الله تعالى أو من دونه . ومن ثم فتوهم مخدوعاً أنه ند لله سبحانه وتعالى إذ سيجد من يطيعه وسيصير معبوداً معه ومطاعاً من حزبه الذى سيستجيب له .

والآيات السابقة تثبت أن إبليس كان على ثقة في أنه سيوقع في حباله أكثر المبتلين من الانس والجن ، ولذلك بعد أن أعطاه الله ما طلب من الامهال والنظرة قال ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ فالكمل خاضع للأغواء الشيطاني ما عدا المخلصين .

ولكن بم سيتمكن إبليس من هذا كله ؟ بعزة الله عز وجل ، والعزة نقيض الذلة ونافية لها ، وهذا إقرار من إبليس بأن قيادته لفريق الشر في الصراع التاريخي ، تلك القيادة التي توهم أنه يصير بها معبوداً وإلهاً من دون الله عز وجل ، أى بلا إرادة أو بلا حول ولا قوة من الله عز وجل ، وهذا وهم باطل إذ لا يتم أى شئ إلا بحول الله تعالى وقوته وبإذنه عز وجل ، وحاشا لله أن يكون هذا بغير مشيئته الكونية ، ومن ثم فإن فسوق إبليس عن فطرة الخلق ومخالفته العبودية ، ومعصيته لأمر الله الشرعى بالسجود لآدم إنما هو واقع بإذن الله تعالى ومشيئته الكونية فكل نصر في الصراع يحققه إبليس وحزبه على حزب الله عز وجل ، إنما هو بعزة الله تعالى وليس عن ضعف منه سبحانه ، ومن ثم لا يلحق بالله عز وجل ذل الهزيمة التي تحدث لحزبه أحياناً لأنها تقع بإذنه وأمره ، وقد علم إبليس هذا وأقر به وصرح بقوله ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ فجولة الانتصار لحزب الله بعزة الله سبحانه وجولة الانتصار لحزب الشيطان بعزة الله تعالى أيضاً ، وهذا معنى قوله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ ﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الدل وكبره تكبيراً ﴾ (الاسراء / ١١١) وهذا التكبير سيكون بعد قتل المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام للمسيح الدجال وبعد أن يقتل عليه السلام ، كل من يقول لله ولداً ويصر عليها ، ويرفض التوبة والاسلام وبعد أن يثبت للبشرية بنفسه بعد نزوله من السماء عليه السلام أنه ليس ولداً لله كما يزعمون وأنه سبحانه لم يتخذ ولداً مطلقاً وأنه لم يكن له ولى من الدل بعد مقتل الدجال أى أن الله تعالى لم يتخذ ولم يكن له وليا لحاجته سبحانه للولى أو لضعفه سبحانه فى الصراع ، وإنما هى حكمة الإبتلاء إقتضت أن

يكلف أوليائه بالجهاد وقتال حزب الشيطان وهو سبحانه القوى العزيز ، ولو شاء لانتصر منهم ، ولكن ليبتلّى بعضهم ببعض ، ولكى يحق قول الله عز وجل له ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أى يملأها منهم بالحق والعدل من غير ظلم بعد أن يثبت إستحقاقهم لعذابها بعد الإبتلاء ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ السجدة / ١٣ ، فهو قول حق من الله الحق يتم ويتحقق بالحق والعدل جزاءً وفاقاً لنتيجة الابتلاء .

فقول إبليس لربه عز وجل ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ .. ﴾ هو الأصل الإعتقادي فى تفسير حصوله على الإمكانيات والوسائل التى نال بها تيسير الإضلال والغواية من الله عز وجل ، إذ أعطاه الله تعالى له بعزته ومشيتته . فما هى هذه الامكانيات والوسائل الإغوائية الإضلالية الابليسية ؟ قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ، قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُؤْخِرَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِاحْتَنَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مِنْ إِسْطِطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْهَدُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ الاسراء / ٦١ - ٦٥ ،

لقد توعد إبليس بنى آدم بالاستحواز عليهم إلا قليلاً منهم لو أخره الله إلى يوم القيامة ، فقال ﴿ اذْهَبْ ﴾ أى مُنْظَرًا إلى يوم القيامة ، وهذا يدل على أن يوم الوقت المعلوم فى آية سورة ص هو يوم القيامة فى آية الإسراء السابقة وفى هذا الموضع قد أعطاه الله تعالى الامهال والتأخير أى العمر أو الحياة الممتدة المستمرة إلى يوم الوقت المعلوم الذى هو يوم القيامة ، ليس هذا فحسب ، وإنما أعطاه الله تعالى - تحقيقاً لحكمة الإبتلاء - إمكانيات الوسوسة والاحتلال والغواية فقال له ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مِنْ إِسْطِطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْهَدُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ الاسراء / ٦٤ ، فما الذى ناله إبليس من هذا العطاء ؟

١ - إمكانية إستفزاز من يستطيع إلى إستفزازه سبيلاً من بنى آدم ، ووسيلة ذلك عنده صوته أو صوت أعطاه الله تعالى له بدليل قوله تعالى ﴿ بصوتك ﴾ وهذا هو أول وأخطر إمكانية نالها إبليس ، مما سيُحتم علينا التفصيل فى تفسير المقصود بصوت إبليس .

٢ - إمكانية أن يجلب عليهم بجيوش يحركها بالاستفزاز الذى يتمكن منه بهذا الصوت .

٣ - مشاركة بنى آدم فى الأموال والأولاد ، وهو حسب واو العطف الجامعة ما بعدها مع ما قبلها ، تكون هذه المشاركة فى أصناف الأموال المختلفة وفى الأولاد بهذا الصوت أيضاً .

٤ - وعود كاذبة يغرى بها إبليس بنى آدم يمنيهم بمتاع وسعادة ولذة فى الدنيا كذباً فلا ينالونها لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وتتم بالوسوسة وبهذا الصوت أيضاً .

والوعد الإبليسى الكاذب يمكن أن يكون منه مباشرة لبنى آدم عن طريق وسوسة جنوده وذريته لهم ، والوسوسة لا تستلزم صوتاً مسموعاً بالأذن ، وإنما هى خواطر وسوانح تنبث فى فكر الإنسان وصدوره فينبثق معناها فى وعيه وتنزع نفسه إلى ما يدعو إليه الشيطان بالوسوسة من خلال هذه الخواطر والرغبات وكلها شرور ورذائل ورجاسات من الأعمال ، فهى معاصى وآثام وشرك وكفر ، مغلفة بأغلفة الهوى والمتاع .

وعلى هذا فهى لا تتم بالصوت وإنما شأنها شأن الإلهام الذى هو معنى طيب يطفو على سطح الوعى ويبرز فى الفكر ، إلا أن الإلهام من فعل الملائكة ، وهو إيعاز بالخير والبر والطاعة أو بيان للحق ، والوسوسة إيعاز بالشر والمعصية والشرك . ومن ثم فالوسوسة الإبليسية بدون صوت صادر من حنجرة بشرية تصدر الأصوات المسموعة للأذن البشرية ﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس

فى صدور الناس من الجنة والناس « سورة الناس » فالوسواس الخناس من الجنة هو الوسواس الشيطانى الإبلسى لى له صوت فى الناس . لأن إبلىس والجن بعامة لىست لهم أصوات مسموعة بىن البشر ىستفزونهم وىجلبون علىهم بالجىوش ، وىشاركونهم فى الأموال والأولاد بها . فماذا ىكون صوت إبلىس الوارد فى قوله تعالى « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » ؟ وإذا كنا قد علمنا الوسواس الخناس الجنى وهو إبلىس وجنوده ، فمن هو الوسواس الخناس الذى من الناس ؟

المسىح الدجال هو صوت إبلىس البشرى المستفز للناس وممثله فىهم :-

لفظ الصوت لا ىكون إلا بما تدركه الأذن وىمیزه السمع لدى الإنسان ، وهو - كما هو معلوم الآن موجات ىُحدثُها - إصطدام الأشياء أو حنجرات الأحياء فتصل إلى الأذان فترسلها إلى مراكز الأسماع البشرية فى المخ فتمیزها وتذكر مصدرها ، وإن كانت كلمات تذكر معناها سواء كانت أسماء لأشیاء وأحياء ىتصورها الذهن بمجرد الإستماع إلى الاسم ، مثل قولنا « زید » أو أفعال ىدرك الذهن حركتها وأثرها كقولنا « وقف زید » ، أو حروف تُحدد العلاقة بىن الأسماء والأفعال كقولنا « وقف زید على سطح البىت » .

فهل من طبیعة الجن بعامة وإبلىس بخاصة أن ىُسمِعوا أصواتهم للأذان البشرية ؟ وهل من طبیعة الأذان البشرية والسمع البشرى التمكن من التقاط أصوات الجن كما ىتحدثون هم بعضهم إلى بعض ؟ الإجابة الیقینىة القاطعة هى لا ؟ لأنه كما أن البصر البشرى لا ىستقبل صور الجن فكذلك السمع البشرى لا ىستقبل أصواتهم والعكس غیر صحیح ، إذ أن الجن ومنهم شىاطین الجن وعلى رأسهم إبلىس یرَوْنَا نحن البشر من حیث لا نراهم قال تعالى « یا بنى آدم لا ىفتنکم الشیطان كما أخرج أبویکم من الجنة ینزع عنهما لباسهما لیریهما سواتهما إنه یراکم هو وقبیلُه من حیث لا ترونهم إنا جعلنا الشىاطین أولیاء للذین لا یمنون » (الاعراف / ٢٧) ومعنى قبيلة ، أى بنى

جنسه أو نوعه ، وهم الجن سواء الشياطين منهم أم غير الشياطين ، وبالتالي فهم يسمعوننا من حيث لا نسمعهم . وهذا يطرح علينا السؤال : كيف يستفز إبليس وجنوده بصوته البشر ؟! حتى أنه يجلب عليهم بالخيال والمشاه من الجنود ويشاركهم في الأموال والأولاد . وهذا كله بالإضافة إلى عمله الرئيسي الأول الدائم وهو الوسوسة التي جاء ذكرها في قوله تعالى ﴿ ... وَعَدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ لأن كل وسوسات الشياطين إن هي إلا تزوين للشر ، وهذا التزوين ليس سوى وعد بالمتعة فهو يغري الإنسان بالسعادة كذباً وزوراً ، وهي ليست بصوت مسموع بالضرورة إلا أن تكون وسوسة شيطان الانس للإنس ، وهذا ما يتم في الإعلام الفاسد المفسد .

أما الاستفزاز في قوله ﴿ .. واستفز من استطعت منهم بصوتك ﴾ فهو تحريك بنى آدم أفراداً وجماعات ، وإخراجهم من سكونهم النفسي والجسدي ، فهو يحمل معنى الإثارة والتهييج المؤديان للفعل الشرير العدواني الفردي والجماعي ابتداء من الإعتداء بالسب وإنهاء بتحريك الجيوش الجرارة والجماهير الغوغائية بالاضطرابات والثورات . وهذا معنى ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك .. ﴾

مصطلح الاستفزاز في القرآن الكريم : -

يدل على هذا ورود لفظ الاستفزاز في القرآن الكريم في موضعين آخرين بالإضافة إلى هذا الموضع الخاص بإبليس .

الموضع الأول : قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ، وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لستنا تحويلاً ﴾ « الاسراء / ٧٦ - ٧٧ » قال المفسرون هو ما فعله مشركو مكة بعد ذلك معه ﷺ ، حتى أخرجوه منها بالهجرة بعد نزول سورة الاسراء التي فيها هذه الآية ، فلما هاجر تحقق وعيد الله لهم حسب سنته في إرسال الرسل ، ولم يلبثوا بعده إلا قليلاً لما قُتل أئمة الكفر في غزوة بدر الكبرى ، هؤلاء الذين الجأوه ﷺ للهجرة وأخرجوه من أرضه . هذا هو معنى الاستفزاز في هذا الموضع ، ولم يخرج عليه الصلاة والسلام

إلا بالاستفزاز إذ أحاط شباب قريش بيته يريدون قتله بناء على مشورة إبليس الذى جاء إلى زعماء قريش فى هيئة شيخ نجدى أشار عليهم بأن يجمعوا من كل عشيرة من عشائر قريش بفتى ويضربونه جميعاً ضربة رجل واحد بسيوفهم فيتفرق دمه فى القبائل فلا تستطيع بنى هاشم إلا أخذ الدية .

والموضع الثانى : هو قول الله عز وجل عن الصراع الطويل المرير بين بنى إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام من ناحية ، وبين فرعون ودولته وجنوده من ناحية أخرى ، هذا الصراع الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم مفصلاً فى عشرات بل مئات الآيات فى سور كثيرة ، قد ورد ذكره مجملاً فى أربع آيات من سورة الإسراء أيضاً فى قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً ، قال : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مبوراً ، فأراد أن يستفزه من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً ، وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ الإسراء / ١٠١ - ١٠٤ ، فقوله ﴿ فأراد أن يستفزه من الأرض .. ﴾ أى تحريكاً ممتزجاً بالأذى والعدوان وربما للقتل والإبادة ، لماذا ؟

لأن المواضع الثلاثة الوارد فيها ذكر الاستفزاز كلها تدل على أعظم ما يمكن أن يحدث فى الأرض من الشر ، ومن ثم فهو الفعل الذى يصل به الصراع بين حزب الله عز وجل وحزب الشيطان الذروة التى يتناول فيها حزب الشيطان فيدبر لإستئصال الخير وأهل الحق من الأرض .

علمنا أن الموضع الأول فى سورة الإسراء هو ﴿ واستفز من استطعت منهم بصوتك .. ﴾ الإسراء / ٦٤ ، والموضع الثانى فى سورة الإسراء أيضاً ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافاً لك إلا قليلاً ﴾ الإسراء / ٧٦ ، والموضع الثالث ﴿ فأراد أن يستفزه من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً ﴾ وجميعها فى سورة الإسراء .

ومعلوم تاريخياً أن فرعون أراد أن يبيد بنى إسرائيل أو على الأقل إبادة قيادتهم المتمثلة في موسى وهارون وأصحابيهما ليقضى على الحق والخير في الأرض ، وكذلك من المعلوم أن كفار قريش دبروا قتل النبي ﷺ في بيته وأحاطوه بفتيانهم ليلة الهجرة ، بعد أن ظنوا وتوهموا أن قتل النبي يفضي على دعوته ، فالاستفزاز إبليس بهذا الصوت تعبير عن ذروة الصراع بين الحزبين ، وأما في الموضع الأول الخاص بالإمكانات التي أعطاها الله تعالى لإبليس لأغواء البشر كذلك ، أى الاستفزاز بصوته فقد ذكر بعده الجلب عليهم بالجيشوش الراكبة أو المحمولة والراجلة على الأقدام ، وهكذا لم يرد الاستفزاز في هذه المواضع إلا من خلال الخبر عن أفعال محددة عدة تصدر من الشيطان وحزبه للقضاء على مصدر النور والهدى في الأرض ، وهي مرحلة يتناول فيها حزب الشيطان إلى القضاء على حزب الله وإستئصال المؤمنين والقضاء عليهم تماماً ، وهذه الأفعال تتم بصوت إبليس ، وهذا هو معنى الاستفزاز في المواضع الثلاثة ، وحيث أنه من المحال أن يكون المقصود « بصوته » هو ما يصدر عن حنجرته ومن فمه ، لأنه لا يصل إلى أسماع البشر كما أثبتنا هذا بالدليل آنفاً ، لزم أن يكون لقوله تعالى « بصوتك » دلالة أخرى يكون صوت إبليس هذا ، حسب هذه الدلالة ، مسموعاً عند الناس ، مؤثراً فيهم مستفزاً لهم ، حتى أنه يحرك به الجيشوش ويشارك إبليس به الناس في أموالهم وأولادهم ، فإذا تذكرنا أن إبليس قد نال النظرة والإمهال إلى يوم الوقت المعلوم ، وأن هذا الذي أطلق عليه رب العالمين اسم « صوتك » بضمير كاف الملكية للمخاطب يكون منسوباً لإبليس نسبة الاستحواذ والمثلية وليس نسبة الذاتية والخاصية والجوهرية لإبليس ، كما قال تعالى عن المنافقين في المدينة « إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » المجادلة / ١٩ « وحيث أن هذا الصوت لابد أن يكون من البشر حتى يسمع الناس ، فإنه يكون أول من إستحوذ عليه إبليس من أبناء آدم ليكون من حزبه ، بل ليكون القائد البشرى لحزب الشيطان البشرى ، كما أن إبليس القائد الجنى لحزب الشيطان الجنى ، ويصير

هذا الصوت بمثابة الزعيم لمملكة الشيطان فى عالم البشر وخليفته فيهم ونائبه عليهم .
ويترب على هذا كله ضرورة أن يكون صوت إبليس البشرى الذى هو أول من
استحوذ عليه من ذرية آدم ممهلاً مثله إلى يوم الوقت المعلوم ليتم بهما قضاء الله تعالى
بابتلاء الانس بالجن والجن بالانس . فليس من المتصور أن يكون إبليس منظرًا ممهلاً ،
ونائبه وصوته فى البشر غير ممهل ، لأن نسبة الصوت إليه نسبة الاستحواذ والمثلية باعتباره
أول وأهم وأخطر إمكانات الإضلال والغواية ، يقتضى له النظرة طيلة أجله الطويل المناظر
لأجل البشرية تقريباً . أى فكما تطاول إبليس فى إضلاله للناس حتى يجعلوه نداءً لرب
العالمين سبحانه وتعالى عن ذلك ، فطلب النظرة والاستمرار ، ومن ثم فقد لزمه صوت
مستمر معه فى بنى آدم تكون له النظرة والامهال أيضاً ليكونا معاً قيادة لها وحدة
الاهداف والغايات مع التنسيق بينهما فى الوسائل والمخططات والبروتوكولات .

أما الغاية الواحدة لهما فهي أن يجعل كلاهما نفسه معبوداً من الله عز وجل فى بنى
نوعه بإضلال أكبر عدد ممكن فيهم ، حتى يسووهما برب العالمين ، ويعبدوهما مع الله
تعالى أو من دونه ، فيصيرون إلى جهنم التى يختصمون معهما فيها ﴿ قالوا وهم فيها
يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا
المجرمون ﴾ « الشعراء / ٩٦ - ٩٩ » وعلى رأس هؤلاء المجرمين الذين زعموا
لأنفسهم الربوبية والإلهية إبليس الذى هو شيطان الجن الأول ، وصوته الذى هو شيطان
الانس الأول وكلاهما يتطاول ليكون معبوداً لحزبه من دون الله عز وجل ومن ثم فهما
اللذان أضلا ويضلا الانس والجن حتى يدخلونهم النار يوم الدين . هذان القائدان :
إبليس وصوته يشكلان هيئة واحدة للإضلال فى الأرض فهل ما جاء عن الدجال من
أخبار تتوافق مع كونه قريباً لإبليس الجنى فى قيادة الصراع ؟ .

الفصل الثامن

قابيل هو صوت إبليس

الأدلة علي أن صوته هو أول من استحوذ عليه من الانس :

يدل علي صحة هذا التفسير للصوت المنسوب لأبليس بخلاف ما ورد عن بعض المفسرين بأنه صوت الموسيقى والغناء ، أقول يدل علي صحة تفسيري هذا ما ورد في القرآن الكريم عن سؤال أهل النار عن الذين كانوا سبباً في أن يداركوا فيها ، عن هذا التساؤل ، وعن لعنة بعضهم بعضاً في النار ، إذ تتهم كل أمة الأخرى بأنها هي السبب في ضلالها لأنها سبقتها بالضلال لَمَّا اتبع اللاحقون السابقين قال تعالى ﴿ يا بني آدم إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتُوفُونَهُمْ قَالُوا : أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ، قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ، كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبُّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ : لِكُلِّ ضِعْفٍ ، وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ : فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ، إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ، لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ الاعراف / ٣٥ - ٤١

فانظر وتدبر قوله تعالى عن سؤال كل رسول أمته يوم القيامة ، لِمَ لَمْ تَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهِ وَأَصْرُوا عَلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ ﴾ أى هل يَنْفَعُونَكُمْ اليوم ؟ فيأتى رد قومه المشركين عليه : ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ومن ثم شهدوا وأقروا باستحقاقهم عذاب النار ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴾ وهذا معناه أن الحساب

ثم دخول النار يوم القيامة سيكون بترتيب ورود الأمم والأجيال فى الدنيا لأن قوله تعالى ﴿ فى أم قد خلت من قبلكم ﴾ أى الأمم الذين إنقضت أجيالهم فى الدنيا قبل مجيئكم إليها . فأسبقية دخول النار تكون للسابقين فى الدنيا بترتيب الأجيال والأمم ثم اللاحقين . وهذا بالنسبة لأم الجن وأم الانس سواء بسواء ، ومن ثم فالأمة التى تدخل تجدد فى طريقها وفى مقرها الأمة التى قبلها فى الزمان خلال أجل الحياة الدنيا ، وحيث أن الأمة اللاحقة تكون فى العادة مقلدة فى ضلالها للأمة السابقة عليها فإنها تحمّلها مسئولية الضلال أو الكفر الذى إتبعوه فىه ، فتلعنها ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ وتظل تتوالى الأمم على دخول النار حتى أم آخر الزمان ، أو جيل الاشرار الذى تقوم عليه الساعة ، وهو آخر أفواج النار ﴿ حتى إذا إداركوا فيها جميعاً ﴾ بدأ بعد إكتمال عدة أهل النار فيها البحث عن المجرمين الذين سنوا الضلال وابتدعوا الشرك أى أول من خرجوا عن الصراط المستقيم ، وسلكوا السبل الضالة ، لأنهم هم الذين يتحملون المسئولية الكبرى ، إذ هم الذين أضلوا أنفسهم وأضلوا غيرهم ولم يتلقوا الضلال من غيرهم ، بينما جميع الأجيال والأمم التالية على هذا الجيل الضال الأول ضللهم السابقون عليهم وأضلوا هم اللاحقين لهم ، ومن ثم يكون الجيل الأخير أو الأمة الأخيرة من أهل النار قد أضلهم السابقون ، ولم يضلوا هم غيرهم لأنهم ليس لهم لاحقون ، لكن هذه الأمة الأخيرة لا تلقى بالمسئولية التامة إلا على جيل أو على أمة الضلال الأولى ، ومن ثم ينتهى بحث أهل النار عن الذين أوردوهم فيها إلى أنهم الأمة الضالة الأولى ، وإن كان تأثيرها فيهم وتأثير كل أمة فى اللاحقين عليها لا يعفى كل جيل من المسئولية التى بها يستحق العذاب ، إلا أن حقدهم على الأولى يجعلهم يدعون الله عز وجل أن يضاعف للمجرمين الأوائل العذاب ﴿ قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ فالخطاب الموجه من الأمة الأخيرة إلى الأمة الأولى من أم أهل النار ينتهى بأن تتوجه الأمة الأخيرة لله عز وجل تدعوه أن يضاعف العذاب للمجرمين الأوائل ، ولكن نظراً

إلى أن الكل ضل وأضل فلكل ضعف فيأتيهم رد الله عز وجل ببلاغ ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ ولا يسكت أوائل المجرمين بل يردون على أواخرهم ﴿ وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ أى أن استحقاق العذاب الأليم العظيم فى النار ، إنما هو بسبب ما ارتكبنا جميعاً من أفعال اكتسبناها إرضاءً للهوى والشهوات وعبادة للذات ولغير الله عز وجل ، فما استحقوا العذاب إلا بالاستكبار عن عبادة الله ، أى إلا بالفسوق عن حدود العبودية ، والتطلع نحو مقام الألوهية ، ومن ثم كذبوا بآيات الله ، وكانوا بهذا الاستكبار على دين إبليس وملته وهؤلاء هم حزيه الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، قال تعالى معقباً بعد هذا التخاصم بين أهل النار ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلجَ الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غشاش وكذلك نجزي الظالمين ﴾ الاعراف / ٤٠ - ٤١

هذا بالنسبة لتخاصم أهل النار وبخثهم وتساؤلهم عن الأمة المتسببة فى إضلال جميع الأمم ، وقد انتهوا إلى أنها أولاهم .

ولكن ماذا عن البحث عن الافراد أو الفرد الأول الذى أضل الأمة الضالة الأولى فى الانس والجن ؟ ، يعلم كل الناس من جميع الملل والأديان والنحل أنه إبليس لعنه الله . ولما كان إبليس من الجن فإنه لا بد أن يتبادر إلى الذهن السؤال عن أول من كفر واستكبر عن عبادة الله من الإنس ، إذ يكون هو الذى سنَّ فى الناس الكفر وابتدع الفسق وعلم الذين اتبعوه اتباع الهوى والفجور والشرك بالفسوق عن حدود العبودية لله تعالى فيكون موضعه الإفسادى الإضلالى فى الانس كموضع إبليس فى الجن ، هذا ما يحتمه العقل .

فهل فى القرآن الكريم والسنة ما يشير إلى هذا المجرم الانسى الأول الذى يناظر إبليس الذى هو المجرم الجنى الأول ، ومن ثم يكون هو نظير إبليس ونده وصوته ؟

نعم ، قال تعالى عن تخاصم أهل النار وحقدهم على أول فرد جنى كفر من الجن وأول فرد إنسى كفر من الانس ﴿ فلنديقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذين كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ « فصلت / ٢٧ - ٢٩ » والمعنى أن الذين كفروا فى النار سيدعون الله أن يريهم إثنين ﴿ اللذين أضلانا ﴾ بصيغة المثنى ﴿ من الجن والانس ﴾ أى واحد منهما جنى وهو بلا شك إبليس والظاهر إنسى وهو بلا شك أول من استحوذ عليه إبليس من بنى آدم فصار الانس الذى ابتدع الكفر ، وأول من فسق عن أمر ربه ، فتبعه الآخرون من بنى نوعه .

لماذا سيدعون الله تعالى أن يريهما الضال الجنى الأول والضال الانسى الأول ١؟ لأن ضلال الانس والجن إنما هو تقليد لهما ، ومن ثم فهما اللذان أضلوا أهل النار جميعاً ، وبالتالي سيصير حقد أهل النار عليهما أشد من حقدهم وحنقهم على غيرهما فسيطلبون من الله هذا الطلب ليجعلوهما تحت أقدامهم فى النار ليكونا من الأسفلين .

إنها إذاً وحدة الهدف ووحدة العمل فى الدنيا ووحدة التخطيط ووحدة المصير فى الدنيا والآخرة : الإنظار فى الدنيا إلى يوم الوقت المعلوم ، ثم الخلود فى النار تحت أقدام أهلها .

قد علمنا الجنى منهما فمن ذا يكون ذلك الإنسى ؟

مما سبق عن هذا الصوت الابليسى ، يشترط لتعيين شخصيته وتحديد إسمه معرفة بعض الشروط أو الأحوال والصفات والخصائص التى تخصه دون غيره وهى : -

الأول : أن يكون آدمياً

الثانى : أن يكون أول من استحوذ عليه إبليس من الآدميين إستحواذاً تاماً كاملاً ، فلا رجعة له إلى التوبة والإيمان بالله عز وجل ، شأنه فى ذلك شأن إبليس والعياذ بالله

تعالى .

الثالث : أن يكون جوهر ضلاله وكفره هو جوهر ضلال وكفر إبليس ، وهو الاستكبار والفسوق عن حدود العبودية ، والتطلع إلى أن يكون إلهاً أى معبوداً من دون الله تعالى ، ثم السعى بين الناس لكي يؤلهوه ويعبدوه ، وهذا هو هدف إبليس وغايته العليا ، ومن ثم يتم العمل بينهما بتنسيق تام ، إذ لا يوحد العمل والوسائل إلا وحدة الغاية العليا

الرابع : : أن تقوم الأدلة الصريحة أو المضمرة أو الإشارية على أنه مُنظرٌ مثل إبليس أى حياته ممتدة إلى يوم الوقت المعلوم ، ومن ثم تكون نهايته معلومة باعتبارها أمانة من أمارات الساعة شأنه فى هذا شأن إبليس ، لأن يوم الوقت المعلوم هو يوم القيامة ، أو هو مرحلة من مراحله تسبق الساعة

الخامس : أن تقوم الأدلة على أنه القائد البشرى لحزب الشيطان فى الصراع بتنسيق وتعاون بينه وبين إبليس القائد الجنى ، فيثبت بهذه القيادة عداؤه الشديد للرسل والأنبياء من أولهم إلى خاتمهم ﷺ جميعاً ، ومن ثم يكون هو المفسد الأول والأكبر فى كل زمان ومكان ، أى على مدى التاريخ الإنسانى ، من أوله ، أى من عهد آدم عليه السلام ، إلى يوم الوقت المعلوم ، وبالتالي يكون هو قائد الإفساد الكبرى المعاصرة لبنى إسرائيل فى الأرض الذى حقق لهم بها العلو الكبير ، وحيث أنه من الثابت بالأثر أن الدابة ستقتل إبليس بعد خروجها من الأرض مع طلوع الشمس من مغربها ، وأن يوم القيامة يوم ممتد يمثل العصر الأخير من عصور البشرية ، فإن معنى يوم الوقت المعلوم يكون بنزول الآيات السماوية ، وهى الشمس من مغربها والدابة والدخان ، وهو وقت معلوم إذ ينغلق فيه باب التوبة وتتوقف فيه سنة الابتلاء ، فلا يكون لبقاء إبليس حكمة إذ جعله الله تعالى - كما اثبتنا من قبل - لتحقيق الابتلاء ، وبذلك تكون نهاية صوته معه أو قبله بقليل لأن إمهاله لنفس الحكمة .

السادس : حياة آدمى آلاف السنين أمر مخالف لسنن الحياة ومن ثم يكون حياة

صوت إبليس هذا بسنة خاصة ويلزم من هذا أن تكون حياته قائمة بأمر غيبى هو سر يخصه ويخص إبليس الذى استحوذ عليه .

السابع : هذا بالنسبة لحياته وزمن موته وكذلك الحال أيضاً بالنسبة لكيفيته إذ تقتضى هذه السنة الغيبية التى أعطاها الله عز وجل لإبليس ، لكى يحيا بها صوته معه إلى يوم الوقت المعلوم ، أن يكون إنتهاء هذه الحياة بسنة غيبية خاصة ، أى يكتنفها سر أو أمر خفى ، لا يعلمه الناس ، أو العلماء الذين يدرسون ظواهر وقوانين الحياة والموت بين الأحياء الأرضية بعامة وحياة البشر بخاصة ، ذلك أن الحقيقة الذاتية لصوت إبليس الآدمى هو حصوله على الامهال إلى يوم الدين أى إمتداد الحياة إلى يوم الوقت المعلوم ، وهذه الحقيقة التى تمكنه مع إبليس من تشكيل الطاغوت أى قيادة الشر الدائمة طيلة أجل الحياة الدنيا ، أقول : إن هذه الحقيقة التى جعلت حياته مخالفة لسنن الحياة لابد أن تجعل موته أيضاً مخالفاً لسنن الموت الحاكمة لموت الأحياء بعامة ولموت البشر بخاصة . فيكون موته بكيفية مخالفة لموت البشر ، وبوسيلة مخالفة لموت البشر لأنه يموت بسنة مخالفة لموتهم ، ذلك هو المسيح الدجال صوت إبليس الإنسى .

فمن ذا الإنسى الذى تجمعت فيه هذه الخصائص والصفات والأحوال ؟

إنه قابيل ابن آدم الأول قاتل أخيه والزانى بأخته أول من سن الفسوق والكفر من بنى آدم وإتبع إبليس ، وهو أول من إرتكب معصية مكفرة خسر بها نفسه ، ولم يعد له بعدها رجعة ولا توبة وإستمر بعدها فى العصيان وكانت هذه المعصية نتيجة إستكبار وفسوق عن مقتضيات العبودية ورغبة فى التعالى الوهمى للألوهية مثله فى ذلك مثل إبليس ، إنه قابيل قاتل أخيه هايل .

قال تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لنن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل

أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوء أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوء أخى فأصبح من النادمين ﴿ المائدة / ٢٧ - ٣١ ﴾ فقله تعالى لرسوله المصطفى الخاتم ﷺ واتل على امتك يا محمد ﴿ نبأ ابني آدم بالحق ﴾ فيه دليل على أن لهذا النبأ أثراً مباشراً على حياة أمته من خلال الصراع المستمر بين حزب الله الذي أعضاؤه هم أمته وبين حزب الشيطان الذي لهذا النبأ صلة وثيقة به .

وقوله تعالى ﴿ ابني آدم ﴾ أى أن كلا منهما كان ابناً مباشراً له وليس حفيداً ، وليس من الذرية ، وهذا ما قاله جمهور المفسرين وخالفهم الحسن البصرى فقال إنهما من بنى إسرائيل محتجاً بأن السياق عن بنى إسرائيل قبل (نبأ ابني آدم) وبعد ﴿ نبأ ابني آدم ﴾ عنهم أيضاً ، فورود نبئتهما فى وسط السياق عند الحسن دليل على أنهما من بنى إسرائيل لكن العلماء نقضوا قوله بما ورد عن نبأ القاتل لأخيه مع الغراب الذى علمه كيف يوارى سوء أخيه الأمر الذى يثبت بدلالة قطعية أن البشرية لم تكن تعرف سنة الدفن بعد ، حيث لم يكن قد حدث فيهم الموت أو القتل ، أما علم الأخ القاتل بالقتل فهذا ميسور من خلال صيد الحيوانات أو ذبح الأنعام ، ومن ثم لما هدد أخاه بالقتل قائلاً لــــه ﴿ لأقتلنك ﴾ كان لديه التصور الصحيح عن القتل من تجارب سابقة عن موت الحيوان وذبح الأنعام ، وحيث لا تدفن موتى الحيوانات فلم يدر قاييل ماذا يفعل بأخيه بعد أن قتله حتى علمه الغراب سنة الدفن . أما مناسبة ورود نبئتهما فى وسط السياق الذى يتحدث عن بنى إسرائيل فسنعرفها بإذن الله تعالى فيما بعد تفصيلاً ويكفى الآن أن نعلم أن هذا دليل على أن الذى يقود بنى إسرائيل فى الإفساد المعاصرة وعلوهم الكبير فى الأرض هو الدجال ملكهم وهذا يدل على أن قاييل هو الدجال ، ومن ثم تضمن السياق إشارة واضحة لهذه الحقيقة .

وأما تأويل قول الله سبحانه ﴿ بالحق ﴾ أى أن كل ما يقال عن هذا النبأ بخلاف ما سيرد فى السياق فهو غير صحيح ويكتنفه التحريف ، والذى سيرد هو الحق الخالص . ثم

بدأ السياق يقص نبأ ابني آدم بقوله تعالى ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ أى أن النبأ يبدأ عندما قرب كلا منهما قرباناً يتقرب به إلى الله عز وجل . فمبدأ القصة إذاً منافسة بين الأخوين فى التقرب إلى الله عز وجل ، ومن ثم يكون قبول قربان أحدهما ورفض الآخر دليل تكريم الله عز وجل لصاحب القربان المقبول وتفضيله وإصطفائه دون الآخر لنيل المطلب الذى تقربوا بالقربان من أجله .. وفى هذا عودة لنفس الموقف الابتلائى النفسى الذى اجتازه إبليس من قبل حين كرم الله تعالى عليه آدم لإظهار ما يخفيه فى نفسه من الدافع الباطنى الدفين الذى دفعه لمنافسة الملائكة فى تسبيح الله تعالى وتعظيمه وتقديسه وهو دافع الرغبة فى إعلاء الأنا الإبليسية بالاستكبار ، ولم يكن لوجه الله تعالى .

كذلك الأخوان إذ قربا قربانا ، كان أحدهما ابتغاء مرضاة الله تعالى ورضى بأمره أما الآخر فكان لغير مرضاته سبحانه . لقد وردت روايات تربط بين جريمة القتل الأولى فى تاريخ الانسانية بجريمة الزنا مع الأخت والمحارم بعامة فقتل قابيل لهابيل لم يكن مجرد جريمة قتل عادية كأي كبيرة من الكبائر يمكن لمرتكبها أن يتوب إلى الله تعالى منها ، لأن الدافع إليها كان هو نفس الدافع الذى دفع إبليس لمعصيته ، وهو الإستعلاء بالأنا المتمردة على مقتضيات العبودية النازعة نحو التأله .

وهذا لا يتعارض مع الروايات الواردة فى كتب التفسير عن محمد بن اسحق عن طائفة من أهل العلم عامة وعن ابن عباس وابن مسعود ان سبب النزاع بين الأخوين ، هذا الذى أدى إلى قتل الأخ لأخيه هو الاختلاف حول توأم قابيل الرضيئة الجميلة ، ومن ثم لما قتل قابيل هايل ليمنعه من الزواج بتوأمه عاش معها هو بعد ذلك ، وهى محرمة عليه ولا تحل له ، أى أنه اتخذ الزنا باخته سبيلاً لقضاء شهوته ومن ثم فإنه لما قتل أخاه عازماً على الإستمتاع بشقيقته مع علمه بأنها محرمة عليه لم يكن أمامه أدنى احتمال للتوبة والندم ، إذ لم يكن فى نفسه إلا الإصرار على المضى فيما أقدم عليه بغير رجعة يدل على هذا قوله تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ لقد صار فى عداد الخاسرين ، ومن هم الخاسرون ؟ قال تعالى ﴿ فاعبدوا

ما شنتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ﴿ الزمر / ١٥ ﴾ ، إذا لقد خسر قاييل نفسه وأهله يوم القيامة بمجرد قتل أخيه ، وعلة ذلك أن الجريمة لم تكن قتلاً فقط ، بل ولم تكن قتلاً ولا زنى بالأخت فحسب ، بل كانت كفراً فلم يكن قاييل مسلماً لله تعالى ولم يكن مؤمناً به عز وجل مثل أخيه هايل ، بل كانت ذاته إبليسية مستعلية نافرة من ذل العبودية لله عز وجل رافضة لشرعة ، ناشزة عن طاعته تكبراً وبطراً للحق المنزل من عند الله وغمطاً لحق أخيه . كانت هذه أحواله النفسية الدفينة يتعالى على أخيه بذاته وبشقيقته التوأم زاعماً أن أخاه هايل وأخت هايل التوأم دونهما هو وأخته التوأم ، وأصر على الزواج منها وإدعى أنه أحق بها وهذا هو الكفر المقابل للإيمان وكان لا بد من دليل سماوى على بطلان دعواه وصحة دعوى آدم عليه السلام الذى أخبره بما شرع الله لهم فى هذا الجيل من أحكام للزواج بتحليل الأخت غير التوأم وتحريم الأخت التوأم ، فكان الدليل هو القربان قال ابن كثير « وروى محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : أن آدم أمر ابنه قاييل أن ينكح أخته توامة هايل وأمر هايل أن ينكح أخته توامة قاييل ، فسلم لذلك هايل ورضى ، وأبى ذلك قاييل وكره تكراً عن هايل ، ورغب باخته عن هايل وقال : نحن من ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختى .

ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قاييل من أحسن الناس ، فُضِنَ بها على أخيه وأرادها لنفسه فقال له أبوه : لا يا بنى إنها لا تحل لك ، فأبى قاييل أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بنى قَرِّبْ قَرِباناً ويقرب أخوك هايل قريباناً فأيكما يُقبل قريبانه فهو أحق بها ، وكان قاييل على بذر الأرض وكان هايل على رعاية الماشية ، فقرب قاييل قمحاً ، وقرب هايل أبقاراً من أبقار غنمه ، وبعضهم يقول : قَرِّبَ بقرة ، فأرسل الله ناراً بيضاء فأكلت قريبان هايل وتركت قريبان قاييل ، وبذلك كان يقبل القريبان إذا قبله . رواه ابن جرير . ثم المشهور عند الجمهور أن الذى قَرَّبَ الشاه هو هايل ، وأن الذى قرب الطعام هو قاييل ، وأنه تقبل من هايل شاته حتى قال ابن عباس

وغيره : إنها الكبش الذى فدى الله عز وجل به الذبيح إسماعيل عليه السلام وهو مناسب والله أعلم ، انتهى كلام ابن كثير ، والشاهد الأول فى هذا النص الذى نحتاجه لإثبات كفر قاييل هو رفضه التحريم بلاغاً من أبيه آدم عليه السلام وهو بنى مُكَلِّم متعللاً بالدليل العقلى أو بالرأى فى مقابل الدليل النقلى الذى بلغه به آدم عليه السلام بقوله : هى أختى وأنا أحق بها ، فأمر آدم بأن يقربا قرباناً ليأتى الأمر الواضح الصريح بأن الذى يقبل الله تعالى قربانه هو الأحق بها وهى حلال له حرام على الآخر .

ولنا فى هذا النص لإثبات كفر قاييل الدفين ، قبل قتل أخيه ، بالأنا الأبلسية الفاسقة عن مقتضيات العبودية شاهدان :

الأول : رفض قاييل تحريم أخته التوأم عليه كما بلغه آدم عليه السلام الذى ما كان له أن يحرم الا ببلاغ منزل إليه من الله عز وجل ، وقد رفض متعللاً بالرأى الذى يسمونه « العقل » مع أنه ليس سوى الهوى قائلاً : هى أختى وأنا أحق بها . ورفض التحريم المبلغ به من آدم إنما هو رفض لنبوته ، وآدم عليه الصلاة والسلام نبي مكلم كما جاء فى الخبر عن النبي الخاتم ﷺ .

الثانى : لما أمر آدم بأن يقربا قرباناً ليأتى الحكم الواضح الصريح بأن الذى يقبل الله تعالى قربانه هو الأحق بها ، وهى حلال له محرمة على الآخر ، كان الهدف منه إظهار الكفر الدفين فى نفس قاييل ، ليس الكفر بنبوته أبيه آدم عليه السلام فحسب هذه المرة وإنما بالله عز وجل لأنه سيكون مخيراً - إذا لم يأت الحكم حسب هواه - بين قبول أمر الله تعالى مستسلاً مؤمناً بوجوب طاعته ، وبين رفضه والاستعلاء بهذا الرفض والإباء تماماً ، مثل ما كان من إبليس لعنه الله بإزاء الأمر بالسجود لآدم عليه السلام . وهذا هو ما حدث إذ تقبل الله قربان هايل ولم يُتَقَبَّل قربان قاييل ، ومن ثم جاء الحكم من الله تعالى بأن أخته التوأم الوضيئة محرمة عليه ، ولا تحل إلا لهايل ، فاختار قاييل بدافع الأنا المستعلية المستكبرة الكفر الذى صار هو السبيل الوحيد للإستمتاع باخته ، وحيث لا سبيل إلى ذلك مع وجود الأحق بها وهو هايل « قال : لأقتلك » استفزاز

له ، وهذا هو أول إستفزاز له ، يفضى إلى القتل من إبليس لبني آدم ، وقدم قابيل الحاقد التهديد على الفعل حتى يهيج أخاه فيتحرك للدفاع عن نفسه فيصير الفعل بينهما إقتتالاً وليس قتلاً ، ولكن هايل عليه السلام كان صالحاً عالماً بمقتضيات التقوى فرد عليه قائلاً بهدوء وبدون أدنى غضب أو هيجان ﴿ قال إنما يتقبل الله من المتقين لمن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ « المائدة / ٢٧ - ٢٨ » أى سأجعل يدي مغلولة فلا أحركها حتى تكون جريمتك عدوان خالص منك علىّ فأنجو من الأثم وتحمله وحدك ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ « المائدة / ٣٠ » وصدق هايل فغل يده عن أخيه رغم أنه كان أقوى منه جسداً كما وردت بهذا الروايات ، فماذا حدث ؟ قال تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ « المائدة / ٣١ » فتدبر قوله تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ بتشديد الواو بما يفيد مغالبة النفس الأمارة بالسوء لفطرته فيستبين لنا الصراع الباطنى فى صدر قابيل للإختيار بين الرغبة المحرمة فى الأخت التى لا سبيل إليها إلا بقتل الأخ مع التضحية بالآخرة ، وبين إشار الآخرة والتضحية بهذه الرغبة لقد كان أعنف صراع بين فجور نفسٍ وتقواها ومن ثم كان التردد ، لكن فجوره محق تقواه من نفسه ، وطوَّعت له نفسه القتل أى أجازته وحسنته ويسرته له بمجاهدة فطرته ومغالبتها .

ولكن أين دور إبليس من هذه الجريمة ؟ أليس هو الذى يعد ولا يعد الا غرورا ؟ فماذا كان وعده لقابيل مقابل قتل أخيه ؟ أن ينال أخته التى يشتهيها فقط ؟ كلا : لقد وعده بالنظرة والامهال والحياة الممتدة إلى يوم الوقت المعلوم ، ومن ثم كان المقابل مغرياً لقد أغراه بالدنيا مقابل الآخرة ، قال له : إذا كنت ستفقد جنة الآخرة التى سيدخلها المؤمنون بعد نهاية أجل الدنيا الطويل وبعد الموت ، فأنا أعطيك جنة الدنيا وأنجيك معى من الموت إلى يوم الوقت المعلوم ، وستكون صوتى الذى أتحدث به إلى بنى جنسك وأجعلهم يعبدونك معى فتكون إلهاً . ارفض العبودية كما رفضتها أنا لتكون إلهاً

. والسبيل إلى هذا أن تمسك باختك توأمك فأنت أحق بها ، خرجتما من رحم واحدة في بطن واحدة ، أنتما شيء وهابيل وأخته شيء آخر ، لستما سواء ، إنكما من ولادة الجنة ، والدليل ما أنتما عليه من وضاعة وجمال ، وما هما عليه من سمرة وحظ قليل من الجمال ، تمسك بها للنهاية ، وامنع أن يستمتع بها ولا تسمع لآدم ، إذ يحرمها عليك .

فرفض قاييل التحريم ورفض الزواج من توأم هابيل وكان هذا استدراجاً من إبليس له بالنفخ في نفسه لتطفوا الأنا الإبلسية فيه ، فيسلك نفس السبيل الذي سلكه هو من قبل وهو سبيل الأبلسة ، أى الطرد من رحمة الله تعالى .

فلما أمر آدم بتقريب القربان وثبت التحريم من الله عز وجل ، وسوس له بأن يتحدى أمر الله ويرفضه ليكون معه منظراً إلى يوم الوقت المعلوم لأن الله تعالى وعده بأن يكون له صوت فيهم ونائباً له عليهم ينال النظرة والإمهال مثله . فصار بذلك اختيار قاييل صعباً وابتلاؤه بالتخير بين أن يكون معبوداً من الذين يتبعونه من الناس إلى يوم الوقت المعلوم ، وبين أن يكون عبداً مسلماً لله عز وجل يعيش أجلاً قصيراً ثم يموت ليفوز بالجنة بعد البعث ، فاختار قاييل طاعة إبليس تلبية للأنا المستكبرة ولشهوته وأبى طاعة ربه فقتل وزنى ، فما كان ليقتل أخاه ويزنى بأخته نظير سنوات معدودة حتى ولو كانت الألف التى كان يعيشها الواحد منهم حينئذ .

- الأدلة على أن قاييل قتل وزنى مقابل النظرة والامهال

أولاً : ما سبق وأن عرضناه من تفسير لقوله تعالى ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ حيث إنتهينا إلى أن هذا الصوت هو أول من إستحوذ عليه الشيطان من بنى آدم ، ليكون خليفة له فيهم متحدثاً باسمه ، وأنه يلزم أن يكون صوت إبليس مستمراً معه طيلة أجله وهذا يثبت للصوت النظرة والامهال .

ثانياً : قوله تعالى عن قاييل بعد أن قتل أخاه مباشرة ﴿ فأصبح من الخاسرين ﴾ أى

مطروداً من رحمته تعالى طرداً أبدياً مثله فى ذلك مثل إبليس سواء بسواء ، وحيث أن القتل هو مما يجوز أن يتوب عنه القاتل بل تجوز التوبة عن الشرك والكفر ، إلا أن الخسران فى هذا الموضع يدل على أن كفر قاييل الدفين كان هو دافعه إلى القتل فقوله « فطوّعت له نفسه » فلو لم تكن نفسه كافرة مستعلية بالآنا الأبلسية ، لما قتل أخاه ، ليست هى التى طوّعت له قتل أخيه ؟ فهى إذن نفس كافرة قبل القتل ، لأن الآنا الإبلسية كانت قد فسقت عن حدود العبودية بالرغبة فى التمايز عن أخيه والتكبر عليه فبطل الحق المنزل من عند الله وغمط أخاه ، ذلك هو الكبر المعادل للتأله .

وقد أبان هذا الدفين النفسى عند قاييل وأظهره قوله لآدم مبرراً رفض التحريم فى رواية ابن اسحق « نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض » فاستعلى على أخيه بهذا الأصل الوجودى لنشأته هو وأخته ، كما استعلى إبليس أيضاً بأصله الوجودى النارى على آدم بأصله الوجودى الطينى . هذا الاستعلاء هو الذى مكّن إبليس أن يستحوذ عليه ليكون له صوتاً منظرّاً معه إلى يوم الوقت المعلوم . أما تفسير عبارة « ولادة الجنة وولادة الأرض » فى هذه الرواية ، فهى تشير إلى أن حواء حملت بقاييل وتوأمته فى الجنة قبل النزول إلى الأرض بعد أن بدت سواتهما بسبب الأكل من الشجرة ولم يكن هذا زنى منهما لأن الله تعالى قال له أنها زوجته فى قوله تعالى « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » البقرة / ٣٥ ، والإثم هو الأكل من الشجرة .

ثالثاً : قول هايل لقاييل « إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين » المائدة ، اختلف فيه المفسرون حول دلالة الإثم المضاف للمخاطب قاييل ، قال ابن عباس ومجاهد : أى بإثم قتلى وإثمك الذى عليك قبل ذلك . وقال آخرون : يعنى بذلك إني أريد أن تبوء بخطيئتي فتتحمل وزرها وإثمك فى قتلك إياي . والذى أراه والله تعالى أعلم هو أن قول هايل هذا يتضمن إشارة إلى أن الذى سيقدم عليه أخوة قاييل ليس إثمأ واحداً ، وإنما هما إثمَان : الأول هو قتل أخيه له وعبر عنه بقوله « بإثمي » أى إثم قتلى ، وهو اثم خالص لقاييل إذا فعله نظراً لأن

هايل عزم على أن لا يبسط يده له ويجعلها مغلوله إن أقدم أخوه على قتله ، فلا يكون الإثم بحال منسوباً لهايل بالمشاركة ، والثاني قوله « وإثمك » والمعنى وإثمك الثاني الذي ستزاوله بالزنى باثمتك ، وهو إثم ممتد لا رجعة فيه ، وسيكون به من الظالمين يعنى من المشركين ، لأن الظلم هو الشرك ، لأنه جحد الشرع المنزل ولم يقره ، ومن ثم يستحق به عذاب النار فى الآخرة ، فالحكم على قابيل بأنه من الخاسرين بمجرد القتل ، وبيان أخوه له بأنه سيكون من الظالمين المخلدin فى النار ، إن قتله ، يدل على أن فى الأمر اتفاق بين قابيل وإبليس يستحوذ بموجبه هذا الأخير على الأول ويصير أول جندي آدمى له كما يدل على سبق علم آدم وأبنائه عن هذه الحادثة التى يصير بها أحد أبنائه إلى الكفر منظرأ إلى آخر الدنيا .

رابعاً : ورد فى سفر التكوين نبأ ابنى آدم متضمناً التصريح بإمهال قابيل مطروداً على وجه الأرض (وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قابين وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب ، ثم عادت فولدت أخاه هايل ، وكان هايل راعياً للغنم ، وكان قابين عاملاً فى الأرض ، وحدث من بعد أيام أن قابين قدّم من أثمار الأرض قرباناً للرب . وقدّم هايل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها . فنظر الرب إلى هايل وقربانه ولكن إلى قابين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قابين جداً وسقط وجهه . فقال الرب لقابين لماذا إغتنظت ؟ ولماذا سقط وجهك ؟ إن أحسنت أفلا أرفع ؟! وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك إشتياقها وأنت تسود عليها .

وكلم قابين أخاه . وحدث إذ كانا فى الحقل أن قابين قام على هايل أخيه وقتله . فقال الرب لقابين أين هايل أخوك ؟ فقال لا أعلم . أحارس أنا لأخى ؟! (١) . فقال : ماذا فعلت صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض التى فتحت فاهها لتقبل دم أخيك من يدك ، متى عملت ، الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائهاً وهارباً تكون فى الأرض .

(١) لاحظ سوء الأدب فى الحديث مما يدل على أن هذا من تحريف أهل الكتاب لأن الله عز وجل لم يكلم قابيل كما يزعمون ؟

فقال قابين للرب ذنبى أعظم من أن يُحتمل . إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفى ، وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض ، فيكون كل من وجدنى يقتلنى . فقال له الرب : لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه . وجعل الرب لقابين علامة لكى لا يقتله كل من وجدته ، فخرج قابين من لدن الرب وسكن فى أرض نور شرقى عدن .

وعرف قابين امرأته فحبلت وولدت حنوك . وكان بينى مدينة فدعأ اسم المدينة كاسم ابنه حنوك ، وولد لحنوك عيراد وعيراد ولد محويائيل ، ومحويائيل ولد متوشائيل ، ومتوشائيل ولد لأمك ، واتخذ لأمك لنفسه إمرأتين اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة ، فولدت عادة يابال الذى كان أباً لساكنى الخيام ورعاة المواشى ، واسم أخيه يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار . وصلة أيضاً ولدت توبال قابين الضارب كل آلة من نحاس وحديد . وأخت نوبال قابين نعمة وقال لأمك لأمرأته عادة وصلة إسمعا قولاً يا إمرأتى لأمك . وإصغيا لكلامى . فأنى قتلت رجلاً لجرحى . وفتى لشدخى إنه ينتقم لقابين سبعة أضعاف . وأما للامك فسبعة وسبعين .

وعرف آدم امرأته أيضاً فولدت إينأ ودعت اسمه شيئاً قائلة لأن الله قد وضع لى نسلأ آخر عوضاً عن هايل لأن قابين قد قتله . ولشيث أيضاً ولد ابنا فدعا اسمه أنوش حيثشذ ابتدى أن يدعى بإسم الرب / سفر التكوين / ص ٤ / ع ١ - ٢٦ ،

وشاهدنا فى هذا النص الطويل الذى يدل على أن قابين نال النظرة والأمهال مع اللعنة الأبدية التى صار بها من الخاسرين قول الله عز وجل له (صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاهها لتقبل دم أخيك من يدك . متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائهاً وهارباً تكون فى الأرض) « التكوين / ص ٤ / ع ١١ - ١٢ » ولو صح هذا النص ، الذى سنجد له شواهد تؤيده فيما بعد فإن الزراعة تكون محرمة عليه لقوله (متى علمت الأرض لا تعود تعطيك قوتها) أما قوله له (تائهاً وهارباً تكون فى الأرض) أى شريداً دائماً غير مستقر لا عليها ولا فى

باطنها فكان رد قاييل (إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفي وأكون نائها وهارباً في الأرض) وليس في هذا النص ادنى تناقض بين قوله (قد طردتني عن وجه الأرض) وقوله (وأكون نائها وهارباً في الأرض) فـالعبارة الأولى تفيد أنه قد حُكم عليه أن لا يستقر على وجه الأرض أى على اليابسة ولم يعد صالحاً للزراعة التي تحتاج إلى استقرار . ، فيدخلها ويمر بها ويعيش فيها لكن ليس مستقراً تماماً مثل ما يتمكن الإنسان أن يعيش على الماء في سفينة أو جزيرة نائية صغيرة ، ولكن لا يكون مستقراً هادئاً بحياة مستمرة جيلاً بعد جيل تثمر حضارة نامية متطورة ، وأما قوله (وأكون نائها هارباً في الأرض) فهو غير قوله مطروداً عن وجه الأرض لأن مدلول في الأرض يختلف عن مدلول (عن وجه الأرض) إذ يفيد الأخير اليابسة بالضرورة لأنه لا يمكن لبشر أن يستقر بقدميه إلا على وجه اليابسة ، أما مدلول (في الأرض) فهو يفيد هروبه في الأرض من زحمة البشر أى الأرض المسكونة إلى غير وجه الأرض مثل البحار أو الجزر النائية المهجورة غير المسكونة يدل على هذا قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ (البقرة / ٣٠) فأثبت الله تعالى إستخلاف الإنسان في الأرض وليس على الأرض ثم ذكرت الملائكة إفساد الإنسان وسفك الدماء فيها بقولها ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ومعلوم أن فساد الإنسان يطول البحر والبر لقوله تعالى ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ (الروم / ٤١) فانظر إلى قوله تعالى ﴿ في البر والبحر ﴾ لتعلم أن هذا القول يتضمن إفساد الجو أيضاً لأن الجو فوق البر وفوق البحر وهو ما حدث في عصرنا هذا من فساد للبيئة براً وبحراً وجواً ومثلها قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (١٠ /) فقوله تعالى حملناهم في البر والبحر وليس على البر والبحر يفيد أنه في الجو أيضاً لأنه فوقهما .

وبناء على هذا يكون حياة قاييل هارباً تائهاً في الأرض أى بعيداً عن المسكونة منها ،
وبعيداً عن وجهها أى عن البر ، ومن ثم يكون أكثر وجوده في البحر ، لكن لا يمنعه
هذا من أن ينزل البر من غير استقرار فيه ويتوافق هذا مع ما جاء في حديث الجساسة
يقول الدجال (فأسير في الأرض)

أما الدليل على أن حياته هذه ستطول وتكون ممتدة إلى آخر الزمان لا يموت ولا يقتله
أحد ، فلقوله بعد ذلك (فيكون كل من وجدني يقتلني فقال له الرب لذلك كل من
قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه وجعل الرب لقابين علامة لكي لا يقتله كل من
وجده فخرج قابين من لدن الرب وسكن في أرض نود شرقي عدن) « تكوين / ص ٤
/ ع ١٥ - ١٦ » وهذا النص يكتنفه الغموض إذ يحتوى على دالتين متناقضتين : أنه
قابل للقتل لقوله (فيكون كل من وجدني يقتلني) أى يكون منبوذاً مباح الدم دائماً
وهو يفيد قابليته للقتل لقوله (وجعل الرب لقابين علامة لكي لا يقتله كل من
وجده) إذن هو غير قابل للقتل ؟ ولكن يمكن الجمع بينهما أن قاييل طلب هذه
العلامة التي تحميه من القتل فنالها ، كما طلب إبليس النظرة فنالها ، ويكون هذا دليلاً
على حصوله على الامهال الذي يجعله صالحاً لكي يكون صوتاً لأبليس في بنى نوعه .

أما مسكنه بعد ذلك في شرق عدن فهو مجاور للبحر الأحمر أو لخليج عمان وهذا
هو الأرجح ، لما سيرد بعد من الدليل على هذا ، إذ سترتبط حياته ووجوده بالبحر إلى
آخر الزمان ، كما دلت على هذا العبارات السابقة .

ماذا فعل قاييل بعد أن علم هذا المصير الممتد في الزمان المناظر لمصير إبليس ليس في
الزمان فقط ، بل وفي المكان أيضاً ؟ حيث من المعلوم والثابت بالنصوص الصحيحة أن
إبليس إتخذ عرشاً له في البحر على الماء وليس في اليابسة ، أى أن مصيره كان اللعنة
الموجبة للطرد أيضاً من على وجه الأرض هارباً تائهاً في الأرض فلجأ إلى البحر . فهل
صار لقاييل الذي أخذ النظرة مع اللعنة الأبدية مثل إبليس وجوداً دائماً مستقراً في البحر
ووجوداً مؤقتاً في البر بين الفينة والفينة ؟!

بعد أن خسر قابيل آخرته بسبب إخته الوضيئة زاول الإثم الثانى وهو العيش معها زانياً ، هذا الزنى البغيض النجس ، زنى المحارم ، وهو أخط ما يمكن أن يتسفل إليه بشر . فما دام قد غلبت عليه نفسه الإبليسية ، فأبلس أى فيثس من رحمة الله تعالى ولا رجاء له فى التوبة فليستمر وليوغل فى الفسوق والعصيان والكفر إرضاء لهواه وشهواته وطاعة لزميله إبليس ، ومن ثم تحول إلى شيطان مثله ، فصار فى الوجود الدنيوى شيطانان : الشيطان الجنى ، والشيطان الإنسى .

لقد إعتزل قابيل مجتمع أبيه آدم الطيب وعاش مع أخته زانيان وأنجبا كما جاء فى النص أنفاً حنوك وتوالت الذرية جيلاً بعد جيل ، ومن قابيل ومن ذريته ظهر عازفو العود والمزامير والآلات النحاسية ، وما يصاحب هذا من الغناء والرقص ، لقد ظهر من هذا المجتمع القايلى حزب الشيطان الذى سيعادى بقيادة مشتركة من إبليس وقابيل حزب الله أبناء آدم من شيث وإلى هذا يشير النص بعد ذلك بقوله (وعرف آدم عليه السلام امرأته أيضاً فولدت ابناً ودعت اسمه شيئاً قائلة لأن الله قد وضع لى نسلأ آخر عوضاً عن هايل ، لأن قابيل كان قد قتله ، ولشيث أيضاً ولد ابن فدعا اسمه أنوش حيثأ أبتدئ أن يدعى باسم الرب) والحق ان الدعاء باسم الرب عز وجل كان موجوداً منذ آدم وزوجه عليهما السلام ، وربما كان المقصود من العبارة أنه يبدء نسل شيث بدأ حزب الله تعالى فى النمو والزيادة ليقف أمام حزب الشيطان بقيادة ابليس / قابيل المستمرة إلى آخر الزمان ، تلك القيادة الموحدة التى تستحق اسم الطاغوت نسبة إلى طغيان الذات المستعلية المستكبرة ، الطغيان المزدوج الناتج عن توحد النفس الإبليسية الجنية بالنفس الإبليسية الإنسية .

فمن يكون هذا الذى حياته مستمرة إلى آخر الزمان ، ويستحق وصف الطاغوت مع إبليس غير المسيح الدجال ؟

فقابيل إذن هو المسيح الدجال .. والمسيح الدجال ليس إذاً سوى قابيل ، والأدلة على هذه الحقيقة هى موضوع الفصل القادم .

ولكن قبل أن تنتقل إلى هذا الفصل لنثبت هذا تفصيلاً ، نذكر أن الشروط والأحوال والخصائص السبع آنفة الذكر قد ثبتت مطابقتها على قاييل اللعين ، مما يثبت أنه صوت إبليس وبيان هذه السبع كالتالى :

١ - فهو آدمى .

٢ - وهو أول من كفر من بنى آدم كفراً بواحاً مع الإصرار عليه كإبليس ، فهو أول من إستحوذ عليه إبليس من بنى آدم .

٣ - وهو الذى نال النظرة والإمهال كما دلّ على هذا نص سفر التكوين ، وكما ستقدم على هذا أدلة من الكتاب والسنة فى الفصل القادم .

٤ - وهو الذى كفر إستكباراً فكان جوهر كفره ودافعه إليه هو الإستكبار ، شأنه فى هذا شأن إبليس ، ومن ثم فهو يسعى مع قرينه ونظيره إبليس إلى التآله حتى يعبدهما الإنس والجن من دون الله .

٥ - يبقى بعد هذا أن نسوق الأدلة على أنه المسيح الدجال الذى يشكل مع إبليس القيادة المتوحدة لحزب الشيطان وهى الطاغوت ، وهذا ما سنعرضه تفصيلاً فى فصول قادمة .

٦ - لا بد أن تكون حياته مخالفة لسنن الحياة البشرية ، كما أن حياة إبليس مخالفة لسنن الحياة الجنية ، ومن ثم تتطابق هذه الحقيقة مثل سوابقها على حقيقة المسيح الدجال وكونه صوت إبليس .

٧ - موته كذلك سيكون مخالفاً لسنن الموت البشرية وستأتى الأدلة عليه . هذه الحقائق السبع التى ثبتت لنا صحة بعضها فى هذا الفصل والتى سنثبت صحة البعض الباقي منها بإذن الله وعونه فى فصول لاحقة ، تجعل مطابقة هذه الشروط أو الأحوال والخصائص السبع على قاييل من ناحية وعلى صوت إبليس الذى هو المسيح الدجال كما سنرى من ناحية ، حججاً بالغة تثبت أن قاييل هو الدجال .

الفصل التاسع

الدجال من المنظرين
مثل إبليس الجتى

حياة الدجال وموته مخالفان لسنن الحياة والموت :

تعتبر شخصية الدجال أعقد الشخصيات في تاريخ البشرية كله ، لما تتضمنه من أخبار متناقضة وخصائص غريبة مخالفة لسنن الحياة والموت ، وأهداف متصادمة مع الطبيعة الآدمية وعداء لكل ما هو حق وخير بقصد هدمه وإستئصاله من الأرض بوسائل شريرة خبيثة تجعله نداً للشيطان الجنى في عدائه لبنى آدم ومناظراً له في خبثه وشره ، مما حدا ببعض العلماء أن يتساءلوا : هل المسيح الدجال إنس أو جان ؟ وهل هو من ذرية إبليس الجنى أو من ذرية آدم ؟ أو هو من ذرية إبليسية آدمية معاً ؟

قال ابن كثير في « النهاية » (وهو رجل من بنى آدم خلقه الله تعالى ليكون محنة للناس في آخر الزمان ، فيضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ، وما يضل به إلا الفاسقين) ولعل ابن كثير رحمه الله تعالى قد قدر أنه من ولد آدم إعتقاداً على ما رواه الامام أحمد والطبرانى والآجرى فى كتاب الشريعة (عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لقد أكل الطعام ومشى فى الأسواق » (يعنى الدجال) ومشيه فى الأسواق يبيع ويشترى يثبت أنه آدمى .

وروى الحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ألا إن كل نبى قد أنذر أمتة الدجال ، وإنه يومه هذا قد أكل الطعام .. »

فالذى يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق هو من بنى آدم بلا شك ، وكذا تدل الأحاديث التى جاءت فى وصفه على أنه بشر من ولد آدم

لكن كيف يكون المسيح الدجال من بنى آدم ، وقد ثبت أنه كان حياً يرزق قبل وأثناء العهد النبوى ؟ وأنه لا زال حياً يرزق حتى يأتى يوم خروجه العلنى كما دلت على هذا الأحاديث الصحيحة ١٢ وهذا يعنى أنه ظل حياً يرزق أكثر من أربعة عشر قرناً ، وهذا مخالف لسنن الحياة البشرية التى تدل على أن متوسط الأعمار تعد بعشرات السنين ،

وأن أطول المعمرين عمراً لا يصل إلى قرن ونصف القرن .

ويدل خبر الجساسة على أن الدجال كان موجوداً منذ ما قبل بعث النبي المصطفى الخاتم ﷺ ، هذا الخبر الذي رواه مسلم وأبو داود والطبراني في الكبير بأكثر من وجه ورواه الإمام أحمد وابن ماجه ورواه الترمذى بلفظ مختلف ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب . ولا بن حبان في صحيحه رواية لهذا الخبر أيضاً .

وكل هذه الروايات عن فاطمة بنت قيس لكن لخبر الجساسة روايتان أحدهما عن أبي هريرة رضي الله عنه والأخرى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

وأما خبر الجساسة بلفظ مسلم فهو كالتالى (عن أبي بريدة قال : حدثنى عامر بن شراحيل الشعبى أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال : حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لا تسنده إلى أحد غيره فقالت : لمن شئت لا فعلن فقلت لها : أجل ، حدثنى (فذكرت في تأييمها ^(١) عن زوجها ، واعتدادها عند ابن أم مكتوم) ثم قالت : فلما إنقضت عدتى سمعت نداء المنادى (فنادى رسول الله ﷺ) ينادى : الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ ، فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : « ليلزم كل إنسان مصلاه » ثم قال : « أتدرون لم جمعتكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين من لحم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ، ثم أرفأوا ^(٢) إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرب ^(٣) السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة

(١) أى موت زوجها عنها وقضاء مدة العدة بعد موته عند ابن أم مكتوم رضي الله عنه لأنه كان من أرحامها .

(٢) أى اتجهوا إليها لترسو سفينتهم عندها .

(٣) أى قوارب معدة بالسفينة ينزلون بها إلى الشواطئ .

الشعر ، فقالوا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة ، قالوا : وما الجساسة ؟ قالت :
أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سمّت
لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة . قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه
أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً ، وأشدّه وثاقاً ، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى
كعبيه بالحديد ، قلنا : ويلك ، ما أنت ؟

قال : قد قدرتم على خبري ، فأخبروني من أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ،
ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين إغتم ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا
إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أقربها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لا
يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا : ويلك ! ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة
قلنا : وما الجساسة ؟

قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك
سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقال : أخبروني عن نخل بيسان . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن
نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما أنه يوشك أن لا يثمر .

قال أخبروني عن بحيرة الطبرية ، قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها
ماء ؟ : قالوا : هي كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال : أخبروني عن
عين زغر قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها
بماء العين ؟ قلنا : نعم هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يشرب ، قال
: أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من
يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذاك ^(١) ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إن ذاك

(١) هذا سؤال منه للإستيثاق من صحة الإجابة بمعنى : أو قد حدث هذا فعلاً ؟

خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى ، إني أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان على كلتا هما كلما أردت أن أدخل واحدة (أو : واحد) منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قالت قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر : « هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة (يعنى : المدينة) ، ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ » فقال الناس : نعم « فإنه اعجبني حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن ، لا ، بل من قبل المشرق ما هو (وأوماً بيده إلى المشرق) قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ »

وما يمكن إستنباطه من خبر الجساسة برواية مسلم هذه عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها ما يلى : -

١ - أن تميم الدارى الذى شاهد الدجال وخاطبه كان نصرانياً قبل أن يسلم ومن ثم يغلب على الظن أنه كان قد سمع عن المسيح الدجال المذكور فى الإنجيل باسم المسيح الكاذب أو المسيح الضد ، سواء قبل أن يشاهده فى دير الجزيرة أو بعد أن شاهده ، وربما كان هذا هو الدافع الذى جعله يقص خبره على رسول الله ﷺ بعد أن بايع وأسلم للمطابقة بين خبره فى الوحي الأخير المنزل على النبي المصطفى الخاتم ﷺ وخبره فى الإنجيل مع مطابقة الخبرين لما رآه وسمعه منه .

٢ - أيد رسول الله ﷺ كل ما أخبر به تميم الدارى على لسان الدجال ، وبصفة خاصة الخبر الذى كان قد أخبر الصحابة عنه من قبل وهو تحريم مكة وطيبة عليه ، فلا يدخلهما ، وهو الخبر الذى أفرحه ﷺ حتى أنه لم ينم القيلولة كعادته وأحب أن يذكره للصحابة .

٣ - الدجال كان موثقاً بالسلاسل الحديدية القوية لمنع من الخروج من هذا المكان والإنطلاق والسير فى الأرض .

٤ - أخبرتهم الجساسة أن الرجل المقيد فى الدير لخبرهم بالأشواق . ثم ظهر بعد ذلك من أسئلته أنه كان يستفسر عن أحداث تهمة ويرتقبها هي :

أ - استفسر عن توقف نخل ييسان عن الإثمار ، فلما علم أنه لا زال يثمر قال : يوشك أن لا يثمر ، أى أنه يريد ألا يثمر ، وهذا ما يهيمه ، أو على الأقل ما كان يرتقبه ويتمنى حدوثه .

ب - واستفسر عن ذهاب مياه بحيرة طبرية ، ثم عقب بقوله يوشك ماؤها أن يذهب ، وهذا ما يرتقبه ويتمناه ويهيمه أيضاً .

ج - وكذلك الحال بالنسبة لماء عين زغر .

د - وأما الاستفسار الأخير له ، وهو عن أخبار النبي الخاتم ﷺ ، وقد ظهر حقه عليه وكراهيته له بقوله عنه (أخبرونى عن نبي الأميين ما فعل ؟) مع أن الدجال يعلم أنه ، وإن كان النبي ﷺ قد بعثه الله من الأميين وفى الأميين أى العرب ، إلا أنه مبعوث للناس كافة بل للعالمين كافة إنساً وجنأ إلى قيام الساعة ، فلما علم أن العرب بدأوا يدخلون فى دين الله تعالى (قال : قد كان ذاك ؟ إن ذلك خير لهم أن يطيعوه) كل هذه الاستفسارات تدل على أن الدجال كان يعلم حينئذ أن خروجه سيكون مع وقوع هذه الأحداث التى كان يرتقبها ، لأن السجين لا يهيمه أمر مثل موعد الإفراج عنه .

ويدل على أن هجرة النبي وانتصار دعوته ﷺ أراحت الدجال نفسياً من حيث أنه الحدث الذى يسبق خروجه من قيده قوله تعقيباً عليه (قد كان ذاك ، ذاك خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى ، إني أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج) أى بعد أن سمع عن إنتصار الاسلام فى الجزيرة ، وإقبال العرب على الدخول فى دين الله تعالى ، ومعنى أنه يوشك أن يؤذن له فى الخروج ، أى من قيده ومن الدير ، فيسير

فى الأرض مفسداً ليعلّو .

حتى يكون له أتباع وجنود أشرار يسيطر بهم على كل العواصم ويدخلها بما عدا مكة والمدينة ، وسيكون خروجه الأول من الدير فى سنة نضوب ماء طبريه وعين زغر وتوقف نخل بيسان عن الإنمار .

هـ - أخبرهم أنه المسيح ولم يقل المسيح الدجال ، وهذا أمر طبيعى ، لأن الكاذب الشرير لا يصف نفسه بذلك ، وإنما هو يزعم أنه المسيح ، وأما وصف الدجال فقد اتفق عليه رسول الله ﷺ بإسمه الذى أطلقه هو - أى الدجال - على نفسه ، والذى سيطلقه على نفسه عند إعلانه عن نفسه ربا للعالمين . كما أن إسمه فى الإنجيل المسيح الكاذب للتمييز بينه وبين المسيح الحق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام .

و - قول الدجال (وإننى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج ، فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها) يتضمن عدة حقائق :

أولها : أنه يعلم أنه على وشك أن يؤذن له فى الخروج ، وفى هذا دليل على أنه كمن يقضى مدة سجن محدودة ، إذا هى إنقضت أتى الأمر بالافراج عنه . وهو ما يرتقبه ويحسب له ، وما سأل ما سأل من الأسئلة التى إستفسر بها ، إلا ليعلم ما بقى من مدة سجنه .

ثانياً : إرتباط قرب خروجه بانتصار الإسلام فى الجزيرة ودخول العرب فيه أفواجاً يثبت الصلة الوثيقة بين سجنه وبين مبعث النبى المصطفى الخاتم ﷺ ، بل الصلة الوثيقة بين هذا السجن وبين مولده ﷺ وحياته ، بدليل قوله بعد إستماعه خبر إنتصاره على أعدائه (أنه يوشك أن يؤذن له فى الخروج) ، وقد أثبت بعض العلماء هذه الصلة وفسروا سجنه بأنه كرامة للنبى المصطفى الخاتم ﷺ ، والأرجح - علاوة على هذا التعليل - أنه قد حكم عليه بهذا السجن القاسى حماية أيضاً للنبى ﷺ منه ، لأنه العدو الأول للدود للنبوة والأنبياء والرسل ، فكيف يكون عداؤه لأمامهم وخاتمهم عليهم

جميعاً الصلاة والسلام ، وبخاصة أنه ، أى الدجال ، كان على علم بمدى الخير والنور والرحمة التى ستعم كثيراً من الناس والشعوب بيعت المصطفى ﷺ ، ومن ثم كان هذا سيدفعه لايقاع الضرر به ﷺ ، وبخاصة أنه كان على علم سابق بمكان وزمان مولده ، فحمّاه الله تعالى منه بتقييده فى هذا الدير النائى لانفاذ قدره ومشيتته سبحانه بيعته ﷺ وتبليغ رسالته وهو سبحانه القائل له ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ المائدة / ٦٧ ، أى أنه سبحانه يحميه ويمنعه من الناس حتى يبلغ رسالته .

فَمَنْ مِنَْ الناس سوى المسيح الدجال يمكن أن يشكل خطراً على حياة الرسل بعامة وحياة رسول الله الخاتم بخاصة ﷺ وعليهم جميعاً ١٢ الإجابة : لا أحد أبداً مثل الدجال فى هذا الخطر لا أحد .

ومن ثم لزم أن يقيد هذا الخبيث فى السلاسل الحديدية حتى آخر العهد النبوى فى المدينة ، ومن ثم لما أظهر الله دينه وصار نبيه فى منعة وقوة بين صحابته ، أذن للدجال بالخروج ، فقال رسول الله ﷺ لصحابته يوم خروجه من قيده (ألا إن كل نبي قد أُنذر قومه الدجال ، وإنه يومه هذا قد أكل الطعام ومشى فى الأسواق) وقد كان هذا اليوم هو اليوم الذى خرج فيه من قيوده وأصبح يسير فى الأرض .

قوله (أسير فى الأرض) يفيد أن الدجال ليس له أن يستقر فى بلد ، ويزعم أنه من مواليدها ، وأنه من أهل هذا البلد ، وليس له أن يسكن داراً كما هو شأن كل آدمي ، إذ أن وضعه الخاص وغايته النهائية التى يسعى بدأب إليها تحتم عليه أن يسير دوماً فى الأرض ، وهذا هو قوله (فأسير فى الأرض) ذلك هو الوجود الدجالى الخاص ، كما سنثبت هذا من بعد .

ثالثاً : حاول الدجال بما قاله عن نفسه أن يلبس المعنى على تميم الدارى والذين معه ، فأوهم بعبارته أنه سيخرج من الكهف ، ويسير فى الأرض أربعين يوماً مالكاً لها

هابطاً في كل قرية ، أى إلى كل عاصمة أو مدينة عظيمة ما عدا مكة والمدينة ، ومن ثم يفهم من قوله هذا أن هذا الخروج من سجنه وقيده سيكون خروجه النهائي الذى يعلن فيه عن نفسه فى آخر الزمان .

وقد جاء هذا الإيهام والمغالطة والتلبيس منه فى قوله (وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هببتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاها) ومكمن التلبيس أن القارئ أو السامع يظن أن الخروج الذى سيؤذن له به هو الخروج الذى يسير به فى الأرض خلال أربعين ليلة فيهبط المدن والعواصم غير مكة والمدينة ، والحقيقة أنهما خروجان وليسا خروجاً واحداً .

الأول : من الدير الذى رآه أهل السفينة مسلسلاً فيه ، وقد حدث فى آخر العهد النبوى كما علمنا من الحديث ويظل يسير فى الأرض مفسداً بهدف العلو من خلال بنى إسرائيل الذين إتخذهم بطانة له ، كما سنرى وهذه المرحلة تستمر عشرات القرون وصلت حتى اليوم إلى قرابة أربعة عشر قرناً .

الثانى : هو خروجه من خلف الأقنعة والأستار التى يعمل من خلفها وظهوره للأعين وإعلانه عن شخصه فى الإعلام بأنواعه بعد سيطرته على الأرض كلها وهذه المرحلة هى التى تستغرق أربعين ليلة منذ ظهوره للأعين إلى نهايتها ، وهى لا تتحقق إلا بعد أن . من يستقبله من الاتباع فى كل مدينة وعاصمة عدا مكة والمدينة .

فستان بين خروجه الأول من الدير الذى يستمر غير ظاهر مئات السنين وبين خروجه الثانى للأعين الذى يستغرق أربعين ليلة ، وإن لم يكن الأول على طوله سوى تمهيداً وإعداداً للأخير رغم قصره .

لكن هذه العبارة وما غلفها من تلبيس أدى إلى إعتقاد خاطئ عند عامة المسلمين ، وعند كثير من علمائهم ، بأن الدجال لا زال مقيداً فى الأصفاد الحديدية داخل الدير الذى بهذه الجزيرة النائية حتى اليوم ، وإلى ما بعد اليوم إلى أن يحين موعد ظهوره ،

مسيطرًا على الأرض ، هابطاً كل قرية ، وهو خطأ فادح يكشفه ويصححه الحديث الصحيح الذى أثبت له أنه خرج وأكل ومشى فى الأسواق منذ آخر العهد النبوى ^(١) ، ومع هذا فهو لم يظهر للأعين بعد .

رابعاً : يدل هذا الحديث على أن الدجال يعلم كثيراً عن الأحداث المستقبلية فى الصراع الذى بينه وبين الأمة الإسلامية باعتبارها حزب الله فى الصراع ، وأنه يعلم أن زمن خروجه المعلن عن نفسه هو أربعين ليلة فقط ، كما يدل على أن لديه علماً مسبقاً ببعث النبى الخاتم ومراحل سيرته ، وليس مصدر هذا العلم عنده خفياً ، إذ أن كل هذا مسجل ومكتوب فى الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء من قبل ، وفى هذا كله دليل على معاصرته لبعض هؤلاء الرسل والأنبياء وقراءته لهذه الكتب ، بل لكل الرسل ولجميع الكتب كما سنرى هذا بعد بإذنه وتوفيقه .

خامساً : قول النبى ﷺ عن الدجال (ألا إنه فى بحر الشام) أى البحر الأبيض المتوسط (أو بحر اليمن) أى البحر الأحمر (هل هو إشارة إلى هذه الجزيرة التى كان مصفداً فيها بالاغلال ؟ أم إشارة إلى خروجه الأخير النهائى ؟ ثم قوله بعد ذلك (لا بل من قبل المشرق ما هو) (وأرمأ بيده إلى المشرق) هل هو أيضاً إشارة إلى موضع الجزيرة ، أم هو إشارة إلى مواضع خروجه العلنى النهائى ؟

هو إشارة وتصريح بخروجه النهائى وذلك ما سنعلمه بعد بإذن الله تعالى عند الحديث عن خروجه النهائى .

سادساً : لماذا حدّد الدجال مدة خروجه النهائى الذى يهبط فيه العواصم بأربعين ليلة ؟ وماذا يحدث له بعد هذه الأربعين ؟ ولماذا لم يستطرد فى ذكر ما سيحدث له أو يحدث منه بعد تلك الأربعين ؟

الإجابة على هذا السؤال هى أن هذه الأربعين ليلة هى الأربعين الأخيرة له فى حياته

(١) وقد دلت على خطأ هذا القول فى الجزء الأول بأدلة عقلية ونقلية أيضاً .

الطويلة الممتدة عبر القرون التي لا يعلم عددها إلا الله عز وجل ومن ثم لم يذكر ما يحدث له ومنه في نهاية هذه الأربعين ، لأن أحداً من الأحياء لا يحب أن يتحدث عن يوم موته وكيفيته موته وترقب موته ، وهذا هو الذي إمتنع عن ذكره الدجال بالرغم من أنه يعلمه ، ولأن هذا الحدث يكشف للمستمع أو القارئ أنه المسيح الكاذب إذ سيضطر إلى التصريح بأنه سَيُقْتَل على يد المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، ومن ثم سيذكر المسيح الحق مما يكشف أنه المسيح الكاذب لكنه أشار ضمناً إلى أنه المسيح الباطل الكافر عندما صرح بأنّ ملكاً يقف على كل نقب من أنقاب مكة المكرمة والمدينة المنورة أي كل نفق ومدخل من مداخلها ويده السيف صلتا يمنعه من دخولهما ، فما كانت الملائكة تمنع عن الحرمين الشريفين إلا كافراً نجساً ، فهذا اعتراف ضمنى منه بأنه المسيح الكافر النجس ، وإن لم يصرح هو بهذا لقوله عن نفسه (إني أنا المسيح) ، وهذا هو ما سيزعمه للناس عند خروجه الأخير إذ سيزعم أنه المسيح نزل إليهم من السماء.

سابعاً : أما خبر مقتل الدجال على يد سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام فقد ورد في عدة أحاديث صحيحة مطولة وقصيرة ستعرض لها فيما بعد ، وإنما نكتفي الآن بذكر ما هو مختصر منها ، وما هو صحيح ليس به ضعف للدلالة على أن نهاية الدجال وموته ستكون في نهاية الأربعين ليلة بيد المسيح الحق عيسى بن مريم عليه السلام بعد نزوله من السماء .

جاء في الحديث الطويل الذي رواه مسلم والإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه ، ورواه الترمذى وقال فيه (هذا حديث غريب حسن صحيح) أقول : جاء ما يلي بعد كلام عن أعمال الدجال خلال الأربعين ليلة (.. فينما هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين ^(١) ، واضعاً كفيه على

(١) أى رداً من نوع خاص فضفاضين

أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه يباب لد ، فيقتله ، ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم عن درجاتهم فى الجنة) إلى آخر الحديث . وباب لد الذى سيقتل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام عنده الدجال هو مطار اللد فى شمال تل أبيب ، لأن أبواب المدن والدول هى اليوم مطاراتها وموانئها ، والخلاصة أن الدجال حى يرزق منذ قرون عديدة وسيظل حياً يرزق إلى أن ينزل المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام ويقتله فى نهاية الأربعين التى هى نهاية حياته الطويلة ، هذا حق تقرره نصوص الوحي الصحيحة رغم أنه آدمى وليس من أصل جنى أو ملائكى ، وقد أدى هذا ببعض إلى تكذيب أخبار الدجال ، وبالبعض الآخر إلى التصديق بها ، ولكن بإثبات طبيعة جنية شيطانية له من قبل طبيعة إبليس والجن المعمرين لمئات السنين .

وليس الحق مع هؤلاء ولا أولئك ، والذى عليه جمهور علماء الإسلام من أهل السنة والجماعة هو أن الدجال آدمى معمر وحي يرزق قروناً عديدة بمقتضى مشيئة إلهية حكيمة بإبتلاء الناس به ، ومن ثم ففى حياته جانب غيبى إمتدت حياته بمقتضى هذا الجانب عشرات ، بل ربما ، مئات القرون ، خرقاً بإذن الله لسنن الحياة والموت بالنسبة للبشر ويدل على هذا ما يلى :

١ - جاء فى حديث الآيات العشر أن خروج الدجال وظهوره العلنى الأخير هو إحدى آيات الساعة العشر ، وحيث أن هذه الآيات العشر - حسب شرحنا للحديث فى الجزء الأول والثانى من هذه الموسوعة - هى أحداث خارقة للسنن ، فما هو الخارق للسنن فى خروج الدجال وهو آدمى ، إلا أن يكون هذا الخارق هو حياته الممتدة مئات أو آلاف السنين مختفياً سائراً فى الأرض غير مستقر فيها ، فإذا علم الناس أمره صار عجباً وآية .

٢ - من كانت حياته ممتدة هكذا فهو غير قابل للموت ودواعيه ، كما أنه غير قابل

للقتل من أى آدمى آخر ، إلا على يد الذى أعدّه الله عز وجل لهذه المهمة ، وهو عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، أما بالنسبة لدواعى الموت فهى عوارض الشيخوخة ، وهذه لا يصاب بها ، بدليل ما ورد فى وصف رسول الله ﷺ للدجال يوم خروجه العلتى ، وكان مما وصفه به أنه شاب وهذا فى الحديث الذى رواه مسلم والإمام أحمد وابن ماجه والترمذى وقال هذا حديث غريب حسن صحيح (عن النواس بن سمعان الكلابى رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات عذاة) فذكر الحديث بطوله ، وجاء فيه (إنه شاب جعد قطط عينه طافيه) ولفظ مسلم (إنه شاب قطط عينه طافيه ..) فما دلالة كونه شاباً عند ظهوره للناس ، إلا أنه غير قابل للإصابة بالشيخوخة وظواهرها وأعراضها وأمراضها وضعفها ١٩ وكل هذه الخصائص البشرية مقدمات مؤدية للموت ، ومن ثم دل هذا على عدم خضوعه لسنة البشر فى الحياة ، الأمر الذى يفسر أنه آية من الآيات العشر ، ومن ثم وجب على كل مسلم يؤمن بالقرآن والسنة أن يصدق بحياة الدجال الممتدة عشرات وربما مئات القرون .

٣ - وإذا كان الأمر كذلك فهو إذاً غير خاضع للقتل ، وهو حدوث الموت بسبب الإصابة المتلفة لعضو من الأعضاء الرئيسية التى يتوقف استمرار الحياة على سلامتها وأدائها لوظيفتها .

فإذا لم يكن الدجال قابلاً للموت بالشيخوخة ، فهل يجوز موته بالقتل ١٩

الاجابة : نعم يجوز موته بالقتل ، ولكن بيد مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، وليس بيد غيره .

والدليل على هذا ما رواه الإمام أحمد ومسلم ، واللفظ هنا لمسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فممرنا بصبيان فيهم ابن صياد ،

(١) عن اتحاد الجماعة للشيخ عبد العزيز التويجى مجلد ٢ ص ٣٤٩ وقال (رواه الحارث بن أسامة مرسلاً

قال البوصيرى : رواه ثقات)

ففر الصبيان وجلس ابن صياد فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك ، فقال له النبي ﷺ : « تربت يداك ، أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : لا ، بل تشهد أنى رسول الله ؟ فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ذرنى يا رسول الله حتى أقتله . فقال رسول الله ﷺ : « إن يكن الذى ترى فلن تستطيع قتله » وذلك لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يرى أن ابن صياد هذا هو المسيح الدجال .

(وعن عروة قال : لما سمع رسول الله ﷺ بابن صياد ، قام إليه فى أصحابه فقالت أمه : يلعب مع الصبيان قال : فدعى فقال له رسول الله ﷺ : « أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « آمنت بالله ورسله » فقال : قد خبأت خبيثاً ، فما هو ؟ قال : دخ . قال : اخسأ . فقال : « انظر ما ترى ؟ قال : أرى إعصاراً وعرشاً على الماء . فقال : « لبس عليه » فقال عمر : ألا أقتله يا رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، إن يكن هو الدجال ، فلا تسلط على قتله ، وإن لم يكن الدجال ، فلا يحل قتله)^(١) وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ كان يشك أن ابن صياد هذا الذى كان صبيّاً يافعاً حينئذ هو الدجال فسأله هذه الأسئلة تحقيقاً لهذا الاحتمال ، فلم يترجح عنده وظل الأمر عنده إحتمالياً ، وكان هذا الاحتمال قد ترجح بالإيجاب فى نفس عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستأذن رسول الله ﷺ أن يقتله ليريح الأمة والبشرية من شره وفتنته . فلم يأذن له رسول الله ﷺ مبيناً الحكمة من منع قتله ، وهى أنه فى حالة أن يكون هو الدجال فلن يسلط على قتله أحد من الصحابة لا عمر ولا غيره ، وفى حالة أنه ليس هو فلا يحل قتله .

بل إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يجزم بأن ابن صياد هو الدجال الأمر الذى حاول بسببه قتله ، ودليل هذا ما رواه الشيخان وأبو داود (عن محمد بن المنكدر قال رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحلف بالله أن ابن صائد الدجال ، فقلت : أتخلف بالله ؟ قال : إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلا ينكره النبي ﷺ) ولكن ما منعه النبي ﷺ من قتل ابن صياد إلا لأن الدجال لا ولن يقتله إلا

عيسى عليه الصلاة والسلام وهذا ما رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث جابر رضى الله عنهما الذى جاء فيه (أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إئذن لى فأقتله يا رسول الله (أى ابن صياد) فقال رسول الله ﷺ : إن يكن هو فلست صاحبه ، إنما صاحبه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام .) كذلك روى أبو داود الطيالسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لم يسلط على قتل الدجال إلا عيسى بن مريم عليه السلام ، وإن كان إسناد هذا الحديث ضعيفاً إلا أن حديث جابر الصحيح يقويه .

والشاهد من هذه الأحاديث الصحيحة أن الدجال غير قابل للموت ، كما أنه غير قابل للموت بالشيخوخة وأمراضها ، اللهم إلا بالقتل بيد عيسى عليه الصلاة والسلام . ومن ثم يثبت هذا لنا أنه يحيا بسنة مخالفة لحياة عامة البشر .

٤ - وما دام الأمر كذلك بالنسبة لحياته فلا بد أن يكون موته بسنة مخالفة لموت البشر أيضاً ، تطابقاً مع إعتبار خروجه آية من الآيات العشر التى تكون بين يدي الساعة ، وذلك لأن هذا الخروج سيتم له بعد عشرات ، بل ربما - كما سنعلم بعد - مئات القرون أى منذ مولده إلى قتله .

فهل موته أيضاً مخالف للسنن التى يموت بحسبها البشر ؟

نعم بدليل الحديث الذى رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح على شرط الشيخين ورواه الحاكم مختصراً وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى عنه فى تلخيصه : على شرط مسلم ، ولفظ الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم .. إلى أن يقول : .. فينطلقون فإذا هم بعيسى بن مريم ﷺ فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم يا روح الله ، فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم ، فإذا صلى صلاة الصبح ، خرجوا إليه قال : فحين يراه الكذاب ، ينمات كما ينمات الملح فى الماء ، فيمشى إليه فيقتله ، حتى إن الشجر والحجر ينادى : يا روح الله ، هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله

.. (الحديث وفي حديث النواس بن سمعان الذى رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وقد سبق ذكره وهو حديث طويل عن المسيح الدجال جاء فيه قول رسول الله ﷺ عن نزول عيسى عليه السلام) .. إذ بعث الله المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قَطَرٌ وإذا رفعه تخدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب له فيقتله .. (الحديث .

وجاء فى حديث أبى رافع الذى رواه ابن ماجه وابن خزيمة (... فيصلى بهم إمامهم ، فإذا انصرف ، قال عيسى عليه السلام : إفتحوا الباب ، فيفتح ، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هارباً ويقول عيسى عليه السلام : إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله فيهزم الله اليهود ..) والشاهد الذى نريده من هذه الأحاديث عن مقتل الدجال هو ذوبان الدجال إذا نظر إلى المسيح عليه السلام كذوبان الملح فى الماء ، وموت الكافر إذا أدركه نفس المسيح عليه السلام بهذا النفس الذى يصل مداه إلى منتهى نظر المسيح عليه السلام ، وذوبان الدجال كذوبان الملح فى الماء معناه أن حجم جسده يتضاءل ويصغر وينكمش ، لأن الملح لا يذوب فى الماء دفعة واحدة وإنما يكون باختفائه فى الماء رويداً رويداً ، ومن ثم يتضاءل حجم الملح فى الماء رويداً رويداً حتى يختفى ، ومن ثم يشعر الدجال بقرب نهايته عن طريق هذا التضاؤل التدريجى فيهرب من أمام المسيح عليه الصلاة والسلام لكن المسيح عليه الصلاة والسلام يصبر على مطاردته وقتله بحربة بيده ليثبت للناس موته بعد أن يريهم دمه فى حربته كما ورد فى رواية أخرى ، وتنتهى فتنته ويطل زعمه بأنه الله ، وهذا يثبت أن موت الدجال بسنة مخالفة لسنة موت البشر ، كما أن حياته بسنة مخالفة لسنة حياة البشر وهذه الحقيقة هامة للكشف عن حقيقة الدجال وشخصيته كما سرى هذا بعد بإذن الله تعالى ، وهذه الحياة المخالفة لسنة حياة البشر والموت المخالف لسنة موت البشر

استتبع أعمالاً للدجال مخالفة أيضاً للسنن الحاكمة لفاعلية الناس .

فمن يا ترى هو هذا الشخص وما هي حقيقة أمره ؟

وإذا كان من الثابت لدينا الآن بنصوص الوحي الصحيحة قطعية الدلالة أنه حيٌ يرزق منذ قرون ، وسيظل كذلك حتى تأتي نهايته على يد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بعد نزوله ، فإنه يتحتم علينا الآن طرح هذه الأسئلة الهامة ، التي بدون العلم بالاجابة عنها ، يصعب بل يستحيل الكشف عن شخصيته وحقيقة أمره ، هذه الاسئلة هي :

متى بدأت حياة الدجال ؟ ، وأين كان مولده ؟ ومن هو أبوه ؟ ومن هي أمه ؟ ومن أى قوم هو ؟ وما سر حياته الطويلة الممتدة ؟ هذه الأسئلة هي موضوع أو مواضيع الفصول التالية بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه .

الفصل العاشر

قابيل هو المسيح الدجال

الأدلة علي أن المسيح الدجال هو قاييل :

الدليل الأول : ما ثبت لنا من أن قاييل : قد صار مطروداً على وجه الأرض شأنه في هذا شأن إبليس ، خاسراً لآخرته ملعوناً مطروداً من رحمة الله يائساً منها ومن ثم تحول لقيادة الشر في الناس .

الدليل الثاني : أنه هو الذي صار صوت إبليس وخليفة ونائب للطاغوت في الصراع التاريخي بين حزبه وحزب الله عز وجل .

الدليل الثالث : أنه صار بالتالي ممهلاً إلى آخر الزمان مثله في هذا مثل إبليس إذ يشكلان معاً قيادة لحزب الشيطان موحدة الغاية ، وهذه القيادة الموحدة هي الطاغوت كما سنفصل هذا بعد بإذن الله تعالى وعونه

الدليل الرابع : وجوده في عصر آدم على رأس قبيلته التي صارت قبيلة قاييل وابتداعهم الموسيقى والغناء والرقص والخمر واستحلال الزنا وحياته معهم حياة أشبه بحياة العجر المعزولين المنبوذين من آدم وبنى وذريته ، ولعلمهم هم أصل العجر في الأرض .

الدليل الخامس : وجوده معاصراً وعدواً لكل نبي داعياً للشرك والشر والكفر بدءاً من عصر نوح وفي حياته عليه السلام فكان عدواً لنوح محارباً لدعوة التوحيد التي جاء بها كما نفهم هذا بوضوح من الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ مسمىً هذا العدو لنوح ولكل نبي باسم المسيح الدجال فيما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن الوداك قال قال لي أبو سعيد هل يقر الخوارج بالدجال ؟ فقلت : لا فقال : قال رسول الله ﷺ : إني خاتم ألف نبي وأكثر ما بُعث نبي يُتَّبَع ، إلا قد حذر أمتي الدجال ، وإني قد بُيِّنَ لي من أمره ما لم يُبَيَّنْ لأحد ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، وعينه اليمنى عوراء جاحظة ولا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري ، معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن (١)

(١) إتحاف الجماعة للتجويز ج ٣ / ص ٤٣

وشاهدنا في هذا الحديث الشريف قوله ﷺ (إني خاتم ألف نبي وأكثر ما بعث نبي يتبع إلا قد حذر أمته الدجال) فقوله « وأكثر » لما ورد في الحديث الصحيح « أن عدة الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ونيف » ، ولكن إقتصر في هذا الحديث على ذكر ألف وأكثر لقوله (ما من نبي يتبع) أى يؤمن به أتباع يخشى عليهم من فتنة الدجال فيحذرهم منه ، أما النبي الذي لم يتبعه أحد فلن يحذر من الدجال أحد بطبيعة الحال لأنه من الذي ورد عن الأنبياء أن النبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد والنبي يأتي ومعه واحد والنبي يأتي ويتبعه اثنان والنبي يأتي ويتبعه رهط أى ثلاثة وهكذا . وهذا دليل على أنه ما من نبي إلا حذر قومه الدجال ابتداء من أول الرسل نوح ، ويقوى هذا الحديث ما رواه البزار والطبراني عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما من نبي إلا وقد حذر أمته الدجال ، وأنا أحذركم الدجال ، إنه أعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه الكاتب وغير الكاتب معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار (١)

ويؤكد هذا ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه ، إنه أعور وإنه يجىء معه بمثال الجنة والنار ، فالتى يقول أنها الجنة هي النار ، وإنى إنذركم به كما أنذر به نوح قومه) (٢) هذا الحديث المتفق عليه الذى جاء فى آخره إنبأؤه ﷺ بأن نوحاً أنذره قومه . وهذا فى حديث يحمل أعلى درجات الصحة لأنه متفق عليه .

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال (ألا إنه لم يكن نبي قبلى إلا قد حذر الدجال أمته ، هو أعور عينه اليسرى ..) إلى آخر الحديث . فتدبر فى هذا الحديث الأخير وفى الأحاديث السابقة صيغة الحصر والاستغراق الكلى (لم يكن نبي قبلى إلا قد حذر الدجال أمته) وقوله ﷺ (ما من نبي إلا وقد حذر أمته الدجال ...) وقوله ﷺ (ما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمته الدجال) وقوله ﷺ وإنى

(١) عن أئمة الجماعة وقد ذكر الشيخ تعليق الذهبى على هذا الحديث وقوله : وإسناده صحيح ج ٣ / ٤٣

(٢) متفق عليه

أنذركم به كما أنذر به نوح قومه) وكما التشبيهية تقتضى التماثل بين إنذار نوح قومه وإنذار النبی الخاتم ﷺ وهذا يفيد وجوده .

والسؤال الآن هل حذر نوح ومن بعده من الأنبياء حتى سيدنا محمد ﷺ أمهم الدجال من غير أن يكون ثم خطر على أمهم منه ؟

كلا والله فإن الأنبياء لا يحذرون من أوهام بل يحذرون من خطر حقيقى يهدد أمهم ومن ثم لقد كان المسيح الدجال موجوداً إذاً فى عهد نوح . وكان موجوداً فى عهد كل نبى حذر قومه منه ومن ثم يكون هو المقصود بقوله تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ إن لم يكن بالدلالة المباشرة الخاصة فبالدلالة العامة وإن لم يكن بالدلالة الصريحة فبالإشارة .

وكان موجوداً فى عهد رسول الله ﷺ منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ، وظل موجوداً فى الأرض حتى أيامنا هذه وسيظل حياً يرزق حتى يحين موعد ظهوره العلنى للأعيان مدعياً أنه رب العالمين ، كما أخبر بهذا الصادق المصدق خاتم الأنبياء صلى الله عليهم جميعاً وسلم بعامة وعليه بخاصة .

لقد أخبر رسول الله ﷺ صحابته فى الحديث المشهور بخبر الجساسة الذى أخبر به تميم الدارى الذى رواه مسلم وأبو دارد والطبرانى وغيرهم عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها وملخص هذا الحديث الطويل هو أن تميم الدارى كان رجلاً من أهل فلسطين ضلت بهم سفينتهم فى البحر متجهة نحو المشرق بعد أن كانت أمام اليمن وبعد سيرها نحو المشرق لمدة شهر رست قرب جزيرة نائية منعزلة فأنزلوا قواربهم إلى الجزيرة طلباً للماء العذب ، فإذا بهم يواجهون على شاطئها كائناً غريباً منتصباً على قدمية يكسر جسمه كله الشعر من أمام وخلف فسألوها ؟ فقالت إنها الجساسة ، وقادتهم إلى مغارة فى الجزيرة فإذا بهم أمام رجل عظيم الخلقة مسلسل بسلاسل من حديد وأجابه ثم قال لهم (وإنى مخبركم عنى إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة

وطيبة فهما محرمتان على كلتيهما كلما أردت أن أدخل واحدة (أو واحداً) منهما
إستقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة
يحرسونها) إلى آخر الحديث

وشاهدنا على ما نريد أن نقرره من هذا الحديث هو أن تميم الدارى الصحابى الذى
بايع النبى ﷺ رأى الدجال مسلسلاً بأمر عينه . وأن النبى ﷺ صدقه وأيده فى هذا حتى
أنه ﷺ هو الذى روى للصحابة ما سمعه منه ، وأن الدجال شهد على نفسه بأنه ممنوع
من دخول المدينة ومكة ، وأنه على وشك الخروج لیسیر فى الأرض ويدخل العواصم عدا
مكة والمدينة ، فهل خرج الدجال من هذه المغارة وغادر الجزيرة النائية . ؟

نعم : لقد حدث هذا فى العهد النبوى المدنى حسب ما ورد فى حديث حذيفة عن
النبى ﷺ قوله عن الدجال (والذى نفسى بيده هو اليوم أكل وشرب ومشى فى
الأسواق) (١) كما أخبر هو - أى الدجال - عن نفسه أنه يوشك أن يخرج ، أى بعد
زمن قصير من رؤية تميم الدارى له ، وقد خرج كما أخبر بذلك النبى ﷺ ليستأنف
رحلة الإفساد والتضليل وإثارة الفتن فى أمة رسول الله ﷺ بإعتبارها الأمة الكتابية صاحبة
الرسالة الأخيرة التى يتمثل فيها حزب الله ، وهى الأمة التى سيخرج فى آخر عهدها ،
معلنأ عن شخصه . ، بادياً للأعين ، زاعماً أنه رب العالمين ، داخلاً العواصم جميعاً ما
عدا مكة والمدينة والقدس التى سيحاصر فيها المؤمنین بقيادة المهدي فائح أوربا ، حتى
ينزل المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام ويقتله فى يوم الوقت المعلوم ، وكل هذا
قد تواترت به الأخبار والآثار والأحاديث النبوية الصحيحة حتى صارت فتنته من المعلوم
من الدين بالضرورة ، لا يجحده إلا جاهل قد لا يعذر بجهله أو كافر .

فهل ظهر الدجال لأعين الناس من أصبهان يتبعه سبعون ألفاً من اليهود عليهم
الطيالسة معلنأ أنه رب العالمين لتطأ قدمه هروقاته وأتباعه من اليهود وغيرهم عواصم
الدنيا ما عدا المدن المقدمة الثلاث ؟

لا يخفى على أحد أن الإجابة بالنفى . إذ لم يحدث هذا بعد ، وإن كانت أحداث

الدنيا فى نهاية القرن العشرين الميلادى المتميزة بظهور حكومة عالمية ومؤسسات دولية تحكم الدول وتحول حكامها وسلطينها إلى ما يشبه الموظفين أو الولاة من قبل هذه الحكومة العالمية الخفية ، أقول وإن كانت هذه الأحداث ، لما هو معلوم لكل عاقل اليوم ، تنبى بقرب خروجه العلنى الذى جاءت أخباره فى أحاديث متواترة ، ومن ثم يمكن القول أنه خرج خروجه الأول الخفى ، هذا الخروج المتمثل فيما يشبه خيال الظل الذى يحرك الأحداث ويديرها من خلف ستار ، حتى صار العقلاء المثقفون من المؤمنين بالله وباليوم الآخر ويكتب الله وسنة رسوله ﷺ وسلم يسلمون بوجوده هذا الخفى ، بعد إن كان كثير منهم ينكرونه .

هو إذا يعيش حياً يرزق فى الأرض متنقلاً تائهاً شريداً غير مستقر على وجهها منذ قرون كثيرة طويلة ، بعد أن إنفك من سلاسله فى الغار وخرج وأكل وشرب ومشى فى الأسواق ، وما هذا إلا لأنه الآدمى انتظر المهمل الذى تتدفع النفس الخبيثة لإبليس الجنى بنفسه ، بجسده البشرى فتنتج عن هذا الاتحاد أو الحلول النجس الشرير ما ورد ذكره مراراً فى الذكر الحكيم باسم الطاغوت .

فماذا يكون هذا المسمى بالطاغوت ؟

وما الفرق بينه وبين المسمى بالشیطان ؟

وماذا يكون مدلول الجبت ؟

وما هى صلة كل واحد من هذا الثلاث النجس بالآخرين ؟

الإجابة على هذه الأسئلة الهامة الخطيرة فى الفصل التالى بإذن الله تعالى وتوفيقه وبحوله وقوته وحده .

الفصل الحادى عشر

الشيطان رأسّ لعالم شياطين
والطاغوت رأسّ لعالم طواغيت

تمهيد :

ورد لفظ الطاغوت في القرآن الكريم ثمان مرات وقد فسر المفسرون هذا اللفظ بالشيطان أحياناً ، وبالكاهن أحياناً ، وسادن الصنم أحياناً ، وكل شرع أو حكم يخالف شرع الله وحكمه أحياناً أخرى .

ومما يزيد الاختلاف حول تفسير الطاغوت أنه ورد في القرآن الكريم مذكراً ومؤنثاً ومفرداً وجمعاً كما سنرى بعد .

ولكى نصل إلى حقيقة الطاغوت التي تبدو طلسمًا أو لغزاً مطلسم بسبب ما يكتنفه من الغموض الشديد ، يستلزم هذا منا العلم بمعاني الألفاظ : الشيطان ، إبليس ، الطاغوت لغوياً ثم العلم بمفهوم كل منها باعتبارها مصطلحات قرآنية ذات مدلول شرعي خاص .

وهذا ما سنحاول إدراكه في هذا الفصل .

دلالة لفظ « الشيطان » وما يصدق عليه في القرآن الكريم :

قال ابن فارس في معجمه (« شطن » الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد : يقال : شَطَنَتُ الدارَ تَشْطُنُ شَطُونًا إِذَا غَرَبَتْ) أى إذا بعدت فاختلفت (ويقال بشر شَطُونُ أى بعيدة القعر) ثم يقول ابن فارس (وأما الشيطان فقال قوم : هو من هذا الباب والنون فيه أصلية فَسُمِّيَ بذلك لبعده عن الحق وتمرده ، وذلك أن كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان) وحسب هذا القول تكون النون في لفظ الشيطان أصلية ويستشهد ابن فارس على هذا الرأي بقول أمية :

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ وَرَمَاهُ فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ

والبيت في وصف سليمان عليه السلام وتسخيره للجن والشياطين ، قال ابن فارس تعليقاً على هذا البيت (أفلا تراه بناءً على فاعل وجعل النون فيه أصلية ؟ فيكون الشيطان على هذا القول بوزن فَيْعَالِ)

والرأى الآخر يقول (أن النون زائدة على فعلان وأنه من شَاطَ) وأصلها (شَطَّ) قال فيه ابن فارس : الشين والطاء أصلان صحيحان : أحدهما البعد ، والآخر يدل على الميل) أما البعد فهو المعنى المشترك بين شَطَّ وشطن وأما الميل فهو يخص المذهب القائل بأن الشيطان من شط وأن النون زائدة ومن مشتقات هذا الأصل قولهم : (أَشَطَّ فلان في السَّوم) أى فى تقدير ثمن سلعة (إذا أبعد وأتى الشَّطط ، وهو مجاوزة القدر . قال جل ثناؤه ﴿ ولا تشطط ﴾ وأما الميل فالميل فى الحكم ويجوز أن ينقل إلى هذا الباب الاحتجاج بقوله تعالى (ولا تشطط أى لا تمل . يقال شَطَّ وأشَطَّ ، وهو الجور والميل فى الحكم) (١)

ومن ثم فإن لفظ الشيطان يدل على كل من بعد عن رحمة الله تعالى بسبب بعده هو عن الحق ومجاوزته الحد فى المعصية ، ومثل هذا لا يكون عاصياً لله عز وجل بجهالة ، بل يكون إماماً من أئمة الكفر والدعوة إلى الفسوق عن أمر الله عز وجل . فلفظ أو اسم شيطان يصدق على كل داعى للكفر وكل مضلل للناس ومزئ للشر سواء أكان إنسياً أم جنياً ، لكنه إذا أطلق بدون تحديد أو تعيين لإنسى أو جنى بعينه ، فإن الذهن ينصرف عند سماعه إلى إبليس الجنى لأنه أول من كفر ودعى للكفر ولأنه زعيم شياطين الجن .

أما إذا نظرنا إليه باعتباره لفظاً كلياً حسب تعبير المناطقه أو من ألفاظ العموم حسب تعبير الأصوليين ، وباعتباره اسم جنس عند اللغويين ، فإنه يصدق على كل دعاة الضلالة وكل من يزئ الشر بزخرف القول من الجن والإنس على حد سواء قال تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ (١١٢ / الانعام) وقال تعالى فى وصف الشيطان : ﴿ الوساس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾ فكل

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادتى شط وشطن مجلد ٣ ص ١٦٥ ، ١٨٣

من يزين الشر مؤسوساً في ذهن ووعي البشر أو الجن وكل إنسى يزينه بالقول ويدعو إليه بالكتابة والإعلام وبالفن ، هذا وذاك شيطان من الجنة والناس .

- مفهوم الطاغوت وما يصدق عليه في القرآن الكريم :

قال ابن فارس (« طغى » : الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس ، وهو مجاوزة الحد : يقال هو طاغ وطغى السيل إذا جاء بماء كثير قال الله تعالى « إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية » (١١ / الحاقة) يريد ، والله أعلم ، خروجه عن المقدار . وطغى البحر : هاجت أمواجه ، وطغى الدم : تَبَيَّغَ . قال الخليل : الطغيان والطفوان لغة . والفعل منه طغيت وطغوت^(١) .

وقال الفيروز أبادي في قاموسه (طَغَى كَرَضِي طَغِيّاً وَطُغِيَاناً بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ : جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر وأسرف في المعاصي والظلم . والماء إرتفع ، والدم تَبَيَّغَ ، والبقرة صاحت .. والطاغية الجبار والأحمق المتكبر والصاعقة وملك الروم وطغا يطغو طغواً وطغواناً بضمها كطغى يطغى . وَالطُّغَوَى الإِسْم « كَذِبَتْ ثُمُودُ بِطُغَوَاهَا » (١١ / الشمس) والطاغوت اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام ، وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب للواحد والجمع فلُغُوتٌ من طغوت جمعها طواغيت وطواغ وطواغيت حتى بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف وأطغاه جعله طاغياً^(٢) .

الطاغوت ليس هو الشيطان وحده :

والآن بعد التعريف اللغوي للفظي الشيطان والطاغوت ، يبرز أمام أذهاننا هذا السؤال : هل اللفظان بمعنى واحد وبمدلول واحد أو بمفهوم واحد وبما يصدق واحد أى هل يصدقان على مسمى واحد ؟

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادتي شط وشطن مجلد ٣ ص ١٦٥ ، ١٨٣

(٢) الفيروز أبادي / القاموس المحيط مجلد ٤ ص ٣٥٦

وبتعبير آخر هل إسم الشيطان يتطابق بالكلية مع إسم الطاغوت فلا يكون ثم فرق بين الإسمين في « المفهوم » وفي « الماصدق » بحيث يمكن أن يحل أحدهما محل أو في موضع الآخر ؟!

الإجابة القطعية ولا أقول الراجعة هي : لا والأدلة علي هذا القطع بالنفي هي :

الدليل الأول :

القرآن الكريم وكلماته مصطلحات علمية على أعلى درجة من الدقة المعجزة فليس فيه إسمان مترادفان أو متطابقان بمعنى وبمدلول واحد و « بما صدق » واحد وذلك لتعارض هذا مع البيان والبلاغة والوضوح ، وحاشا لله عز وجل أن يكون في كتابه هذا الخلو من الدقة وهذه المخالفة لقواعد البلاغة والبيان .

إن المذهب الراجح عند اللغويين أنه لا مرادفات متطابقة تطابقاً تاماً في اللغة العربية كما برهن على هذا المذهب أبو هلال العسكري في كتابه « الفروق اللغوية » فأتى بأكثر المترادفات أو ما يتوهم البعض بأنها مترادفات متطابقة ووضح الفروق التي بينها وأثبت أنها غير متطابقة ، وعلى هذا فالطاغوت ليس لفظاً أو إسماً للشيطان أو مرادفاً له ، وإنما هما إسمان متغايران لكل منهما دلالة الخاصة وما صدقه الخاص ، وإن كان ثمّ توافق بينهما في بعض عناصر مفهوم كل منهما .

الدليل الثاني :

ما سبق أن أثبتناه من فرق لغوي بين الأصل شطن والأصل طغى إذ الأول من البعد مع الميل والثاني من مجاوزة الحد وهي تفيد المبالغة الزائدة في الميل عن الحق والبعد في الضلال كمّاً وكيفاً .

فليس الشيطان هو الطاغوت وليس الطاغوت هو الشيطان ، إذ لا بد أن يكون الطاغوت أمراً مغايراً للشيطان ، وأن يكون الشيطان أمراً مغايراً للطاغوت ، إذ المغايرة قائمة في

المصدق كما أنها قائمة في المفهوم ، رغم الصلة الوثيقة بينهما في المفهوم والمصدق
كما سترى بعد بإذن الله تعالى .

الدليل الثالث :

ورد اسم الطاغوت في ثمانية مواضع في القرآن الكريم في حين أن اسم الشيطان
بصيغة المفرد قد ورد سبعين مرة وهذا الاختلاف العددي بينهما في حد ذاته ينفي أنهما
لمسمى واحد ويؤكد المغايرة بين مدلولي الإسمين .

ونكتفي هنا بذكر موضع واحد ورد فيه ذكر الإسمين وهو قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا
يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء
الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ النساء / ٧٦ ، فالغاية العليا لجهاد المؤمنين
ولقتالهم للذين كفروا هي ابتغاء وجه الله تعالى وإقامة سبيله أي شريعته في واقع الحياة
والذين كفروا جعلوا لله تعالى نداً يقاتلون في سبيله وهو الطاغوت الذي له شريعته وله
منهجه الذي يرسمه لحياتهم حتى أنهم إرتضوا هذه الشريعة وأحبوا هذا المنهج ومن ثم
يقاتلون المؤمنين في سبيله ، لأن المؤمنين يريدون أن يقيموا شريعة الله ومنهجه
والكافرون يريدون أن يحافظوا على منهج الطاغوت وشريعته ، ومن ثم يقاتلون المؤمنين
لمنعهم من إقامة شريعة الله عز وجل فالكافرون يقاتلون المؤمنين في سبيل الطاغوت بهذا
المعنى أيضاً .

ولكن جاء الأمر الإلهي في الآية للمؤمنين تحريضاً لهم على قتال الكافرين الذين
عندما ينفذون الأمر الصادر لهم بقتال المؤمنين لا ينفذون أمراً صادراً لهم مباشرة من
الطاغوت ، لأنه يكون صادراً إليهم من الشيطان ، أي أنهم لا يتلقون أوامر من
الطاغوت ، وإنما يتلقونها من الشيطان ومن ثم فهم وإن كانوا يؤمنون بالطاغوت
ويقاتلون في سبيله وإقامة ما يشرعه لهم ، إلا أنهم لا يتلقون التشريعات والتعليمات
والأنظمة والخطط الإفسادية الكفرية ، وكذلك الأمر بالقتال من الطاغوت مباشرة ، وإنما
من الشيطان ومن ثم فهم أولياء الشيطان ، لأن ولي غيره هو الذي ينفذ أمر غيره له ، أو

ينفذ طلب غيره منه ، لأنه هو الذى أمره ، ومن ثم فإن الشيطان هو حلقة الوصل بين الطاغوت وبين الكافرين ، وتعبير آخر الشيطان هو رسول الطاغوت إليهم المبلغ شريعته وتعليماته وقائد الكافرين للتنفيذ لأوامره ، ومن ثم نسب قتال الكافرين لسبيل الطاغوت ونسب طاعتهم المباشرة للشيطان ، فصاروا بها أولياءه .

وهذا يفيد أن الطاغوت هو قمة الهرم الإدارى فى مملكة الكفر والظلمات ، وأن الشيطان دونه فى المرتبة والدرجة ، وهذا يصدق على الشيطان الجنى الأول إبليس وعلى الشيطان الإنسانى الأول قابيل أى الدجال فالنتيجة المؤكدة من هذه الأدلة الثلاثة أن الطاغوت غير الشيطان ، وأن الطاغوت أعلى من الشيطان رتبة فى البناء الإدارى الهرمى لمملكة الشر ، وإن كان أهل هذه المملكة جميعاً فى أسفل سافلين . ومصير هذا الطاغوت فى جهنم أسفل سافلين تحت أقدام أهلها أجمعين .

الدليل الرابع :

ورود إسم الطاغوت فى القرآن الكريم بالتأنيث قال تعالى ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأناابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد ﴾ « الزمر / ١٧ » وورد أيضاً اسم الطاغوت بالتذكير قال تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ « النساء / ٦٠ » وذلك لأن من معانى الطاغوت حكمه ومنهاج حياته وأنظمتها وأمره الذى يتحاكم إليه الكافرون والمقصود بالطاغوت هنا حكمه وأمره فجاء مذكراً .

أما بالنسبة للآية الأولى التى تثبت أن المؤمن هو الذى يتجنب عبادة الطاغوت وحيث أن المعبود فى الشئ ذاته والمطاع أمره والذات مؤنثة والأمر والحكم مذكر فقد جاء الطاغوت فى آية الزمر بالتأنيث وورد فى آية النساء بالتذكير فدل التأنيث على أن المعبود فى الطاغوت ذاته ودل التذكير على أن التحاكم إلى الطاغوت أى إلى حكمه وأمره وشرعه .

أما الشيطان فلم يرد إلا بالتذكير حتى فى موضع ذكر عبادته قال تعالى ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ يس / ٦٠ ، ودليل التذكير فى موضع النهى عن عبادته هنا قوله تعالى ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ فالشيطان يأتى بالتذكير حتى فى موضع النهى عن عبادته أما الطاغوت فيأتى بالتأنيث وهذا دليل على أنهما ذاتان متغايرتان وليسا موجوداً واحداً .

أقوال المفسرين فيمن أو فيما يصدق عليه إسم الطاغوت :

لخص لنا الفيروز أباى أقوالهم فى هؤلاء الذين رأى المفسرون إطلاق اسم الطاغوت عليهم بقوله ﴿ والطاغوت اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام ، وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب للواحد والجمع فَلَغُوتٌ من طغوت جمعها طواغيت وطواغ وطواغ والجبت حى بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف . وأطفاه جعله طاغياً) ونلاحظ هنا إعتبار الشيطان طاغوتاً وبصفة عامة كل رأس ضلال ، وكذلك كعب بن الأشرف ، وهو أحد زعماء اليهود الذين عادوا رسول الله ﷺ وخانوا عهده أما وصف حى بن أخطب اليهودى بأنه جبت فسنعود إليه عند الكلام عن الجبت .

بيد أن الذى سيكشف لنا بعض الحقائق الخفية عن الطاغوت هو إطلاق اسمه على الكاهن واللات والعزى بخاصة ، وعلى سائر الأصنام المعبودة التى لها سدنة وطقوس بعامة ، فلماذا اللات والعزى من الطواغيت ؟ الإجابة لأنها جسم مادى من الحجر تتلبس به شيطانة من الجن ، كتب السيوطى فى تفسير قوله تعالى ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ﴾ (النساء / ١١٧) أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن أبى حاتم عن أبى بن كعب رضى الله عنه ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثاً ﴾ قال : مع كل صنم جنية ، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن أبى مالك فى قوله إن يدعون من دونه إلا إناثاً قال اللات والعزى ومئات كلها مؤنث (٢)

(١) الفيروز أباى / القاموس المحيط مجلد ٤ ص ٣٥٦

(٢) السيوطى / الدر المنثور / ج ٢ ص ٢٤٥

فإذا علمنا أن لكل صنم سادن يخدمه ويدعو إليه ويقرب له القرابين المقدمة من المشركين تأكد لنا أن عبادة الأصنام عمل طاغوتي لأنه مشترك بين شيطانة جنية وبين شيطان إنسى هو الكاهن أو السادن .

وليس الشيطان أو الشيطانة مع اللات والعزى فقط بل مع كل صنم ، قال السيوطي (وأخرج عبد بن حميد عن الكلبي أن ابن عباس كان يقرأ هذا الحرف ﴿ إن يدعون من دونه إلا أنى ، وإن يدعون إلا شيطانا مريدا ﴾ قال مع كل صنم شيطانة .. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان ﴿ إن يدعون من دونه إلا شيطانا ﴾ يعنى إبليس .. وأخرج سفيان ﴿ وإن يدعون إلا شيطانا ﴾ قال ليس من صنم إلا فيه شيطان ^(١) فوجود الأصنام وكل ما يدور حولها من شركيات إنما هو عمل طاغوتي ، وليس شيطانياً فقط ، لأنه عمل مشترك بين شيطانة الصنم الجنية وبين السادن أو الكاهن القائم على الصنم من البشر ، فيحدثان معاً خوارق يخدعان بها الناس فيصدقوا بربوبيتها وألوهيتها ويدعونها من دون الله عز وجل ، فليس دعاؤهم إذاً للصنم الحجرى وإنما هو للشيطان . وكذلك الكاهن أو المنجم طاغوت لأن عمله ليس جنياً فقط وليس إنسياً فقط بل هو عمل مشترك بينهما فالطواغيت هم شياطين الإنس والجن ، فإذا اجتمع شيطان الجن وتلبس أو توحد مع شيطان الإنس فإن شغلهم معاً وآثار هذا الشغل والشر أو الضلال الناتج عنه هو طاغوت من الطواغيت المتعددة ، ومن ثم قالوا عن اللات طاغوت والعزى طاغوت والكاهن الذى يتلقى من الجنى ويتعاون معه على معرفة أخبار الغد من الكلمة التى يستمعها من السماء طاغوت ، والساحر المستخدم للشيطان أو للشياطين فى السحر طاغوت ، أما الطاغوت المعروف بالآلف واللام فهو توحد إبليس شيطان الجن الأول مع الدجال قايل الذى يكون اسمه فى آخر الزمان المسيح الدجال وما تنتجه هذه الأنا الإبلسية الدجالية المستعلية المستكبرة من شرور وضلالات وظلامات ومن قوانين وعادات

(١) المصدر السابق الجزء الثانى ص ٢٤٥

وأنظمة وقرارات وبروتوكولات إفسادية كلها طاغوتية نابعة من نبع الشر فى الحياة الدنيا
أورد السيوطى فى الدر المنثور ما أخرجه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر
وابن أبى حاتم عن يزيد الرقاشى فى قوله « شهاب ثاقب » قال : إن الجنى يجرى
فيسترق فإذا سرق السمع فرمى بالشهاب قال للذى يليه كان كذا كذا (وفى الحديث
الذى سألوا فيه رسول الله ما بال الكهان قال : كذابون قالوا : ولكن الرجل منهم يقول
الكلمة فيصيب قال إنها كلمة حق يخطفها من الجنى ويضيف إليها مائة كذبة) .
ومن ثم أطلقوا على الكاهن من كهنة اليهود أو النصارى طاغوت لأن عمله ليس
إنسياً فقط وإنما هو بالإشتراك مع شيطان جنى .

ومن المعلوم تاريخياً أن عمل الكاهن عند اليهود لم يكن يقتصر على الإخبار بالغيب
فقط ، بل كان بمثابة حكم يلجأون إليه فى الخصومات ليقتضى فيها ، ومن ثم فهو
باعتباره حاكماً أو قاضياً بأمر الطاغوت وحكمه وشرعه يصدق عليه اسم الطاغوت .

والذى يهمنا من تعريفه هنا للطاغوت ، ما أورده من أقوال المفسرين بأنه اللات
والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال وما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب
للواحد ، وهذا كله صحيح إذا وردت الكلمة منكراً « طاغوت » وجمعها طاغوت ،
كقولنا شيطان فيكون اسم جنس بمعنى الكثرة والجمع أو اسم عام يصدق على كثرة ،
أما إذا قلنا « الشيطان » معرفة بالألف واللام ، فإنه بمقتضى العهد الذهبى ينصرف إلى
واحد بعينه هو إبليس لأن ألف ولام التعريف توجب التعيين ، وهو هنا للعهد الذهبى ،
ومن ثم سميت عند النحاة بتعريف العهد الذهبى .

لما غلب على الأذهان أن الشيطان المعروف هو إبليس الجنى فى حال إطلاق اللفظ
وعدم تخصيصه فى السياق بغيره .

وإذا صح أن الصنم طاغوت والشيطان طاغوت والكاهن طاغوت وفيلسوف الضلالة
طاغوت ، وهكذا ما دام اللفظ نكرة ، فإنه لا بد أن يكون لاسم (الطاغوت) المعروف

بالألف واللام فى القرآن الكريم مدلول آخر ، إذ يلزم فى حالة التعريف أن يكون له « ما صدق » خاص به ، أى يكون له مسمى غير مسمى طاغوت النكرة كما أن الشيطان المعروف بالألف واللام يصدق على إبليس الجنى بإعتباره الشيطان الجنى الأول كما يصدق على الدجال أوقايل بإعتباره الشيطان الإنسى الأول .

وفى هذه الحالة يكون مسمى اسم طاغوت بالصياغة المنكرة غير مسمى لفظ الطاغوت المعروف

من الذي يحكم الآخر ؟ ومن الذي يخضع الآخر لحكمه ؟ ! -

والسؤال بتعبير أكثر صراحة : من فيهما يقبل أن يكون عبداً للآخر ؟

بما لا شك فيه أن تحوّل قابيل من حزب الله إلى حزب الشيطان بعد قتل أخيه وإستحلال توأمة ، ووصوله نفسياً إلى حالة إبليس إذ جمعت بينهما الإبلسة فصار قابيل قريباً لأبليس الجنى وصار إبليس الجنى قريباً له . فتكوّن منهما معا أول هيئة من الأبالسة فى تاريخ مملكة الشر ، ومع توقع النمو الكمى والكيفى المطردين ، ومع الزيادة المطردة فى أعداد البشر والجن ، ومع توحيد الغاية العليا لكل منهما فى عالمه وبين بنى نوعه وهى الإضلال ، فقد بدا واضحاً ضرورة التعاون بينهما على الإثم والعدوان وتعميم الشر بين الجن والإنس ، وحيث قد علم إبليس الجنى من الله عز وجل أنه سيكون له صوت فيهم أى ممثل له فى بنى آدم ، وسيكون بإمكانه مع هذا الصوت إستفزاز من يستطيع منهم وسيشكل بهذا الصوت أيضاً جيوشاً راکبة وراجلة يحاربان بها المؤمنين . فإن هذا كله يؤدى إلى بروز حقيقة هامة مؤكدة وهى ضرورة وصولهما إلى صياغة ما لقيادة ثنائية منهما ، بالرغم من أن الكبير الذى فى صدر كل منهما يجعل قيام هذه القيادة أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً . لأن نزعة كل واحد منهما إلى الإستكبار والإستعلاء تلك التى جعلته يرفض الطاعة والخضوع لخالقه سبحانه أولى بأن تمنعه من الخضوع لمخلوق مثله .

إذ كيف تكون الطاعة من إبليس الجنى لهذا الإبلis الإنسى وقد أبى السجود لأبيه ؟ وبالمثل كيف تكون الطاعة من إبليس الإنسى للجنى وهو ابن آدم عليه السلام الذى كرمه الله تعالى وأمر الملائكة والجن بالسجود له .

إن هاتين النفسين النافرتين عن الطاعة للغير بسبب نزعة الإستكبار ، جعلتا من قيام تعاون منظم مستمر بينهما بقيادة واحدة أمراً مستحيلاً ، إذ هى ممكنة فقط فى حالة خضوع وطاعة أحدهما للآخر ، لأن القيادة لأثنين أو أكثر لابد أن تكون قيادة فردية فمنّ منهما قبل أن يطيع الآخر ؟! ومنّ منهما قبل أن يخضع للآخر ؟! لم يحدث هذا ، ولن يحدث على الإطلاق ، للأسباب التى سبق ذكرها . ومن ثم لم يبق أمامهما إلا الوصول إلى شكل من القيادة يصبح لكل منهما بمقتضاه من السلطة والسيادة فيه بقدر سلطة وسيادة الآخر ، وفى نفس الوقت يكون كل واحد منهما خاضعاً لهذه القيادة بنفس قدر خضوع الآخر ، فإذا كان لابد من عنصر الطاعة والاستجابة والخضوع فى هذه الهيئة القيادية المقترحة فلا مناص من أن يكون خضوع كل واحد منهما وطاعته واستجابته - وإن شئت فقل عبوديته - لهذه الهيئة متساوياً مساواة تامة بل ومطلقة لخضوع الآخر ، ومن ثم تصبح هذه القيادة الموحدة منهما هى الإله المعبود المطاع من كل منهما بنفس القدر من العبودية والطاعة من كل واحد منهما أيضاً ، وبهذه الكيفية يكون كل واحد منهما غير خاضع أو عابد للآخر ، وفى نفس الوقت يكون كل واحد منهما مساهماً فى هذه القيادة بنفس قدر مساهمة الآخر . أما عبودية كل واحد منهما لهذه القيادة فهى عبودية لكليهما معاً ، وحيث أنها عبودية وطاعة أو التزام مطلق بطاعة كل واحد منهما للقيادة المتوحدة ، فإن كل واحد منهما فى الحقيقة والواقع لا يكون عابداً إلا لنفسه .

فهل يمكن أن تقوم مثل هذه القيادة الموحدة من إثنين ؟ وما ضرورة قيام قيادة مشتركة أو حتى موحدة منهما ؟

إن كل واحد منهما عنده ما ليس عند الآخر من الإمكانيات التى تعتبر ضرورية لقيام

قيادة لمملكة الشر . أما الذى عند إبليس الإنسانى فهو علم الأسماء ، الذى ورثه عن أبيه آدم وهو مقوم الخلافة الأول ، وبه تقوم العلوم والصناعات والحضارات . وأما عند الآخر الجنى فهو ما تتميز به طبيعة الجن من الإختفاء ومن إمكانيات التأثير الخفى فى عقول البشر بالوسوسة وفى نفوسهم بالإيعاز بالشر والمعصية وقلوبهم بالتشكيك والتغريب ومن ثم صار لكل منهما إحتياجه للآخر بنفس القدر .

إن الإنسان والجن يشتركان فى عدة خصائص ويختلفان فى أخرى . أما التى يشتركان فيها فهى أن كل واحد منهما كائن مبتلى وممتحن فى هذه الحياة الدنيا ، ومن ثم صار لكل واحد منهما قلباً وسمعا وبصرا . ولكل واحد منهما شهوة يستمتع بها ، وينجب أولاده وذريته الذين يخلفونه من بعده . ولكل واحد منهما طعامه وشرابه الذاتى وملبسه ومسكنه ، وهكذا .

أما الدليل على الأسماع والأبصار والقلوب عند كل نوع منهما فهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ (الاعراف / ١٧٩) .

أما الدليل على أن لهم شهوة مثل بنى آدم فهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ﴾ (الانعام / ١٢٨) .

وأما الدليل على أن الجن كالإنس يريد مختار تحقيقاً للإبتلاء فهو قوله تعالى : حاكياً مقالة الجن عن أنفسهم ﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا ﴾ (الجن / ١١) وما أصبحوا طرائق إلا بالاختيار .

ومن ثم صار منهم المؤمنون ومنهم الكافرون أصحاب العقائد والملل المختلفة الضالة

مثلهم فى ذلك مثل الإنسان ، هذه الموافقات بين هذين النوعين جعلت إمكانية التوحد بينهما قائمة ، أما الذى جعل هذا التوحد مطلباً حقيقياً واقعياً ممكناً فهو إختلاف كثافة مادة الجن المخلوق من نار عن كثافة مادة الإنس المخلوق من طين ، ومن ثم أمكن للمخلوق الأقل كثافة أن تتخلل خلاياه وأعضاؤه خلايا وأعضاء المخلوق الأكثر كثافة ، فكل منهما من ذكر وأنثى ، وكل منهما يملك نفس الأعضاء التى عند الآخر ، ومن ثم يمكن للجنى منهما أن يتوحد مع الإنسانى إذ تتخلل خلايا مخه خلايا مخ الإنسانى وخلايا قلبه خلايا قلب الإنسانى وخلايا سمعه وبصره خلايا سمع وبصر الإنسانى ، فإذا تم هذا صاراً كائناً واحداً بعقل واحد وقلب واحد وفقه واحد وسمع واحد وبصر واحد ، وكل جهاز منهما مضاعف ونزعة الإستكبار والشر مضاعفة ، ومن ثم صاراً ذاتاً واحدة طاغية بل طاغوتية .

ولكن ، أليس تتخلل إبليس الجنى قرينه الإنسانى وتلبسه به دليلاً على خضوع الإنسانى للجنى وسيطرة الجنى على الإنسانى ، ومن ثم لا يصير للإنسانى نفس سلطة وحقوق الجنى ، ومن ثم يخرق هذا مبدأ المساواة المطلقة بينهما ؟ وهل وافق قايل ابن آدم الأول على أن يلبسه أو يمسه أو يتخلله أو يسكنه إبليس الجنى ، وفى هذا ما فيه من الخضوع ؟!

لرد هذا الاعتراض نقول : إن تلبس شخص جنى بشخص إنسانى بعامة غير توحد هذا بالإبليس الجنى بقرينه الإبليسى الإنسانى ، إذ يمكن أن يتم بينهما هذا التلبس بسبيلين .

الأول : أن يكون هذا إغتصاباً أى رغم أنف الشخص الإنسانى فيكون هذا عدواناً من الجنى على الإنسانى ، ومن ثم يصبح الإنسانى فى هذه الحالة خاضعاً للجنى ، عندما يتلبس هذا الأخير بالأول فإن شخصية ووعى الإنسان تنعدمان ، وهذا هو الذى وصفه الله عز وجل بقوله : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (البقرة / ٢٧٥)

أما السبيل الثانى فهو أشبه ما يكون بالزواج الذى يتم بين الذكر والأنثى بموافقة وإختيار حر لكل منهما ، ومن ثم تقوم بينهما العلاقة الزوجية على أساس الندية فى

الحقوق والواجبات الإنسانية وفي حالة توحد إبليس الجنى بإبليس الإنسى فهو حالة تتم بموافقة الإثنين ، فلا إغتصاب أو عدوان فيها لأحد الطرفين على الآخر ، ومن ثم فليس فى هذه الحالة خضوع من أحدهما للآخر أو سيطرة أحدهما على الآخر ، لأنها تقوم بينهما باختيارهما وعلى أساس الندية المطلقة بينهما .

فحالة التوحد التى بينهما يتم فيها تفاعل عقلاهما فيصيرا عقلاً واحداً وفكراً واحداً ، ويندمج فيها قلباهما فيصيرا إرادة واحدة وينتج عنها خططا للشر متفق عليها يرضى بها كل واحد منهما ، بعد الانفصال ، ويعمل بأقصى جهده لتحقيقها . وفى حالة التوحد الطاغوتية هذه يصير السمعان سمعاً واحداً والبصران بصرأ واحداً . فهى حالة مخالفة لحال المسوس من الجن ، إذ تغيب شخصية وإرادة الإنسى المعتدى عليه ، كما لو احتل مجرم بيت غيره وطرده منه .

لكن الحال الطاغوتية لا نقول أنها تزوج بين ذاتين إنسية وجنية فحسب ، بل هى حالة توحد إذ تصير الذاتان ذاتا واحدة .

ومن ثم يكون الناتج من الفكر المدمر والتشريع الخبيث والخطط الشريرة طاغوتاً خارجاً من طاغوت فكل إبليس جنى يتحد بإبليس أنسى فهو طاغوت ، والعمل الناتج عن هذه الذات الموحدة طاغوت ، وأول الطواغيت ورأس الطواغيت جميعاً هو الطاغوت المتولد من توحد الشيطان الإنسى الأول قابيل مع الشيطان الجنى الأول إبليس والذى يوحدهما ويفرقهما أمران ولهذا ما أن يتم توحدهما حتى ينفران ويفترقا ، فالتوحد حالة مؤقتة وليست دائمة فهذان الأمران عيناها .. يُفرقان كما يوحدان بينهما ، .. يوحدان ويفرقان بينهما .. كيف هذا ؟

هذا يتضح لنا إذا علمنا أن الأمرين هما : وحدة المنطلق والغاية بينهما أولاً ، ثم اختلاف خلقة كل منهما وطبيعته عن الآخر ثانياً .

أما الأول وهو منطلق كل واحد منهما وهو الفسوق عن مقتضيات العبودية إستكباراً

وإستعلاء ، ومن ثم فغاية كل واحد منهما أن يكون معبوداً من غيره . أى أن الغاية هى التآله . وهذا المنطلق وهذه الغاية يُوحِّدان بينهما معا ويفرقان بينهما معا ، أما عن تعليل التباعد والتفريق بينهما ، فلأن الذات المستكبرة المتألهة ترفض الخضوع لغيرها وتأبى طاعة غيرها ، لأنه إذا كان كل واحد منهما قد قبل اللعنة الأبدية بسبب هذا الإستكبار فعصى الله عز وجل الذى خلقه ، فكيف يطيع غيره ، وعلى هذا فمن المؤكد بل من المحتم أن تكون هذه الغاية مُنفَرة لكل منهما من الآخر ومباعدة بين كل منهما وبين الآخر ، وبالتالي مُفرقة بين كل منهما وبين الآخر . وهذا يعنى أن كلاهما لا بد أن يعيش مستقلاً عن الآخر متخذاً لنفسه من الوسائل ما يتمكن بها من إضلال قبيله أى أفراد نوعه لكى يخرجهم من النور إلى الظلمات ، حتى يعبدوه من دون الله عز وجل .

ولكن كل واحد منهما يحتاج إلى إمكانات الآخر التى ليست عنده لكى يضل قبيل الآخر ، فإبليس الجنى يريد عقلاً إنسانياً بما فيه من كنز علم الأسماء ، ولساناً بشرياً يكلم به البشر وأعضاءاً ، بشرية يستفز بها البشر ويحرك بها جيوش البشر ضد المؤمنين منهم ، وقايل إبليس البشرى يريد الإستعانة بالنفس الجنية الخفية وبجيوش من الجن لكى يضل بها البشر من خلال الأعمال الخفية لهؤلاء الشياطين من الجن وعلى رأسها السحر والكهانة والعرافة والأصنام ، وعلى هذا ، إذا صح القول بأن وحدة الغاية لكل منهما أى الرغبة فى التآله قد فرقت بينهما ، فإنه يصح القول أيضاً بأن حاجة كل منهما إلى الوسائل التى عند الآخر لتحقيق هذه الغاية قد وحدت بينهما ، ومن ثم لزم من هذا وذاك أن يكون لكل منهما ذاته المستقلة عن الآخر ، ولكن يكون لهما حال يتوحدان فيها . فصار كل واحد منهما : هو الشيطان الأول فى قبيله متألهاً بين أتباعه حالة إفتراقه عن الآخر وإستقلاله بذاته ، وفى نفس الوقت إقتضى تحقيق هذه الغاية نوعاً من وحدة الفكر والتدبير والتخطيط ، وكل هذا لا يتم إلا بتبادل الوسائل والإمكانات والتعاون الوثيق على الإثم والعدوان . هذه الحالة التى يتم من خلالها هذا ، بل العمل المشترك ، هى حالة توحد لهاتين الذاتين الخبيثتين .

أما الأمر الثانى الذى يفرق بينهما ويوحد بينهما معاً أيضاً ، فهو إختلاف نوع كل منهما عن الآخر ، وأن أحدهما مخلوق من نار وهو إبليس الذى هو من الجن ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ الكهف / ٥٠ ، فإبليس لم يكن من نوع الملائكة لحظة واحدة ، وإنما كان من الجن المخلوقين من نار ، أو من مارج من نار ، بيد أنه كان موجوداً بينهم لما صدر لهم الأمر بالسجود لآدم عليه السلام ، وأما آدم فهو مخلوق من طين كما هو معلوم من الدين بالضرورة . ومن ثم فلكل منهما خلقته المختلفة وجلبته المختلفة وطبيعته المختلفة وكشافته المختلفة وجسده المختلف . هذا الإختلاف والتباين بين كل منهما هو فى حد ذاته مُفرّق بينهما ومباعد بينهما ، لأنه من المعلوم أن إختلاف الطبيعة والطبع ينفر بين المختلفين ، والعكس صحيح ، لقد علل إبليس رفض السجود لآدم بأن أصل خلقته أى النار خير من أصل خلقة آدم عليه الصلاة والسلام ، أى أنه استعلى بناريته على طينية آدم عليه السلام ، فهو مستكبر على آدم مستعلى عليه غير مقرر له بهذه الأفضلية ، ومن ثم يكون إختلاف الأصل لكل منهما مفرق بينهما منذ التجربة الإبتلائية الأولى فى عالم الإبتلاء ، وكذا قابيل الذى قتل أخاه وعاش مع أخته زانياً ، ما فعل هذا إلا إستكباراً ورغبة فى النظرة مع التآله ، فكيف يخضع بعد هذا لإبليس الجنى ؟

وكيف يقبل قابيل ابن آدم الذى كرمه الله تعالى على سائر خلقه وعلى الجن بخمس وهى : (١) سواه بيديه ، (٢) ونفخ فيه من روحه ، (٣) وعلمه الأسماء (٤) وأسجد له الملائكة ، (٥) وأسكنه الجنة ، أقول : كيف يقبل قابيل وهو بلا شك قد علم هذه المكرمات الخمس أن يسجد لإبليس ويطيعه وينضوى تحت قيادته وسلطانه ؟!

وإذا كان قابيل قد استكبر واستعلى على أخيه هايل ورفض الزواج من توأم هايل وأستأثر بتوأمته هو مضحياً بأخوته معرضاً ذاته للخلود فى جهنم والعياذ بالله بحجة أنه خير هو توأمته من هايل وتوأمته ، لأن قابيل وتوأمته من حمل الجنة ، وهايل وتوأمته

من حمل الأرض ، مدعياً أنهما إينا السماء الأمر الذى جعله يستكبر ويستعلى بذاته على أخيه ، ومن ثم يفسق عن مقتضيات العبودية ، فهل يقبل بعد هذا كله أن يخضع لإبليس ؟! بالقطع لا . كما أن إبليس يرفض بالقطع أن يخضع لقاييل ، بعد أن خسر ذاته لرفض السجود لأبيه آدم عليه الصلاة والسلام ، إذ كيف يأبى السجود للأب ويقبل السجود لإبنه ؟ أو على الأقل طاعته ؟! وهكذا يثبت لنا أن طبيعة كل واحد منهما هي العامل الثانى القوى للتفريق بينهما وللتباعد بينهما . ومن ثم فمن المحتم أن يكون كل واحد منهما فى ذاته مستكبراً متألهاً وبالتالى مستقلاً عن الآخر بمقتضى اختلاف أصل وخلقة وجبلة وطبيعة كل واحد منهما عن الآخر ، وبمقتضى نزعة الاستكبار من كل منهما .

ولكن نفس هذا الاختلاف فى أصل الخلقة هو الذى يمكنهما من حالة التوحد بين هاتين الذاتين الخبيثتين المستعليتين ليصيرا ذاتاً واحدة لها غاية واحدة تخطط لها من خلال المزج بين وسائل عالم الجن وعالم الإنس ، أى أن حاجة كل منهما للآخر لتحقيق غايته وحدث بينهما ، كما فرقت أيضاً ، فكيف يتم هذا التوحد ؟! وكيف يكون الاختلاف بينهما فى أصل الخلقة هو الذى أتاح لهما التوحد فى ذات واحدة ؟! تماماً كما أن وحدة الغاية فرقت ووحدت بينهما أيضاً ؟!

لما صار من المحال أن يكون أحدهما خاضعاً للآخر مطيعاً له ، لم يكن أمامهما من سبيل لتكوين قيادة موحدة للشر مع رفض خضوع أحدهما للآخر ، إلا بأن يكون لكل منهما نصيب من سلطان هذه القيادة ، يساوى نصيب الآخر تماماً ، أى خمسون فى المائة لكل منهما ، وهذا هو المحال فى تشكيل أى هيئة قيادية جماعية ، فى أى مجال من مجالات الحياة الإنسانية أو الجنية ، إذ لا بد حسب سنن الله تعالى فى المجتمعات أن تنتهى السلطة فى يد فرد واحد . أما السلطة الجماعية أو الشائبة التى تقوم على الندية التامة أو المطلقة ، فهى من الأمور المحالة التى لا يمكن أن تنجح فى تنفيذ أبسط الأهداف لما هو معلوم وثابت عن حتمية الاختلاف ، ومن ثم يستحيل قيام تعاون وعمل

مشترك لمثل هذه القيادة الثنائية إذا كان كل عضو في القيادة في حالة إفتراق واستقلال ذاتي عن الآخر ، إلا إذا قبل أحدهما الخضوع للآخر والتسليم له بحق الطاعة ، وفي هذه الحالة تصبح القيادة فردية ، وليست ثنائية ، فليس من سبيل لقيام قيادة ثنائية على أساس الندية والمساواة المطلقة بينهما إلا في حالة واحدة فقط وهي حالة توحد الذاتين في ذات واحدة وهكذا فإن إختلاف أصل الخلقة والجبلية والطبيعة أتاح لهما ، ليس تكوين قيادة ثنائية للشر لأنها مستحيلة ، وإنما أتاح لهما هذا الإختلاف تكوين قيادة واحدة ، إذ يصيرا بالتوحد ذاتا جنية حالة بالذات الإنسانية أو متدرعة بها ، أو ذاتاً إنسية ملبوسة بالجنية ومتحدة بها . فذات إبليس الشيطانية الجنية تتخلل وتتحد بالذات الشيطانية الناسوتية فيصيرا ذاتاً واحدة ، بالعقل والقلب والجسد ، وأساس هذا التوحد بينهما هو إرادة الإستكبار ، ونزعة الإستعلاء ، فهو توحد نفسين وإرادتين في نفس واحدة وإرادة واحدة ، وليس كما قد يتوهم البعض أنه تلبس نفس جنية بجسد إنسان مما يعرف بالمس . لأن هذه الحالة تغيب فيها نفس الأدمى عن جسده ووعيه ويستخدم الجنى جسد الملبوس وعقله ولسانه فيتحدث به ويفصح به عن ذاته هو . أما في حالة الطاغوت فهو حلول الشيطان الجنى بالشيطان الإنسى أى حلول نفس الأول بنفس الثاني وعقل الأول بعقل الثاني وقلب الأول بقلب الثاني وجسد الأول بجسد الثاني وامتزاجهما حتى ينتج عنهما نفساً ثالثة لا هي نفس شيطانية جنية ، ولا هي نفس شيطانية إنسية ، وإنما هي نفس ثالثة يتضاعف فيها الشر والخبث ويطغى الكفر وتلك هي النفس الطاغوتية ، فالحلول هنا أو الاتحاد في حالة الطاغوت هو حلول نفس بنفس وعقل بعقل وقلب بقلب وسمع بسمع وبصر ببصر وجسد بجسد ، وليس حلول نفس بجسد كما هي حالة الملبوس ، ولذلك فهو توحد ذات جنية بذات إنسية وليس حلولاً ، ومن ثم يكون تفسير الحديث الشريف (إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم) أكثر تطابقاً على الدجال قابيل حين يتحد به إبليس فينتج عنهما الطاغوت الرئيس الأسفل ، وإن كان هذا يصدق على طواغيت صغرى كثيرة . ومن ثم قال (ابن آدم)

الذى هو قابيل بخاصة ، وإن كان يصدق بعامة على غيره من أبناء آدم المتوحدين بالشياطين ، الذين هم صفار الطواغيت أو الطواغيت الصغيرة .

ولكى نقرب للذهن تصور هذه الحالة الغيبية الخاصة جداً ، نقول إن تفاعل عنصرين كيميائيين مثل الكلور والهيدروجين واتحادهما ينتج عنه مادة ثالثة مخالفة لكل من العنصرين المكونين ، حيث أن ذرة كلور إذا تفاعلت مع ذرة هيدروجين ينتج عن هذا الاتحاد أو التوحيد ، جزئى من حامض الهيدروكلوريك وهذا معناه أن العنصرين يصيرا عنصراً ثالثاً مخالفاً لكل واحد منهما .

كذلك الذات الإبليسية الجنية حين تتحد بالذات الإبليسية الإنسية ، يصيرا ذاتاً ثالثة مختلفة عن الإثنين الإبليسيين ، إذ يصيرا ذاتاً واحدة طاغوتية ناتجة أو متولدة عن حلول الصوت الجنى بنظيره الآدمى والعقل الجنى بنظيره الآدمى والجسد الجنى بنظيره الآدمى ، أى حلول كل ما عند الجنى بنظيره عند الآدمى فيتولد عن هذا الحلول وحدة وجود ذاتية هى الطاغوت .

فلا يصح أن تسمى هذه النفس الناتجة عن هذا التوحد نفساً إبليسية ، ولا شيطانية لمغايرتها لكل من النفس الشيطانية أو الإبليسية الجنية والنفس الإبليسية أو الشيطانية الإنسية ، ومن ثم ولأن الناتج عن توحدتهما نفس مختلفة مغايرة لكل منهما لزم أن تحمل اسماً مختلفاً مغايراً لاسم الشيطان ، الذى هو مشتق من شطن ، ولإسم إبليس الذى أبلس من الرحمة ، واللذان هما إسمان وصفيان لإبليس وقابيل بمقتضى كفرهما أى بعدهما عن الحق ويأسهما من رحمة الله تعالى ، وحيث النفس الناتجة عن إتحادهما يتضاعف فيها الشر والخبث ، إذ ليس المتولد عن توحدتهما مجرد مجموع الذاتين بل زائد عنهما بكثير ، لذا صار الإسم الأنسب لهذه الذات هو الطاغوت ، الذى هو غلو وشطط فى الطغيان ، فالطاغوت إسم يطلق على كل نفس إبليسية جنية تدخل فى وحدة وجودية مع نفس شيطانية إنسية ، بغرض أن تكون معبودة من الإنس والجن

من دون الله تعالى ، ومن ثم تفريخ الشر والضلال والفساد والأذى لكل المؤمنين أى
المتتمين لحزب الله عز وجل .

عالم من الطواغيت متميز عن عالم الشياطين جنأ وإنساً :

وحيث أن شياطين الجن كثيرون ، وشياطين الإنس كثيرون ، فإنه من الطبيعى أن
يحدث مثل هذا الإمتزاج والتوحد بين كثير من أولئك وكثير من هؤلاء ومن ثم ينتج
عن هذه الإلتحادات طواغيت كثيرة وهذا يفسره قول الله عز وجل ﴿ ومن يعش عن ذكر
الرحمن نُقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ « الزخرف / ٣٦ » يجرى منه مجرى الدم
وهو قرين لأن القرين يحمل صفة الندية لقرينه ، وهذا هو الذى يتيح التوحد بينهما
بنسبة خمسين فى المائة لكل منهما أى دون أن تطفى إحداهما على الأخرى .

يؤكد هذا الذى نقول ما ورد عن تفسير الطاغوت وتعريفه عند السلف بأنه الكاهن
لأن الكاهن يتعامل مع شيطان جنى يتلقى منه الأخبار التى يخطفونها عن طريق إستراق
السمع من السماء وكذلك الساحر الذى يأتى بسحره من خلال (أساليب خاصة
يتعامل بها مع الجن أو مع واحد من الجن) يكون قريناً مصاحباً له مدى حياته ،
وكذلك العراف وسادن الصنم وغير هؤلاء ممن يستخدمون الشياطين ويعوذون بهم قال
تعال حاكياً لنا مقالة الجن الذين أسلموا لما سمعوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن الكريم :
﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ « الجن / ٦ »
وقال تعالى ﴿ ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ﴾ « مريم / ٨٣ »
وقال تعالى عن تنازع القرين الكافر مع قرينه يوم الدين ﴿ وقال قرينه هذا ما لدى
عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلهاً
آخر فآلقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد
قال لا تختصموا لى وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لى وما أنا بظلام
للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ؟ ﴾ « ق / ٢٣ - ٣٠ »
فقرين الضلال الجنى الذى يحاول أن يتبرأ من قرينه الإنسى العتيد والذى هو أيضاً كفار

عنيد هو هذا الشيطان الإنسى الذى كانت نفسه تتوحد به ، أى بهذا القرين الشيطاني الجنى ليصيرا طاغوتاً من الطواغيت الكثيرة المفسدة فى الأرض ، ومن الطبيعى أن تكون حالة التوحد مؤقتة ، يعود بعدها كل إلى شيطانيته المستقلة ، أو إبليسيته الخاصة .

وهذا يفسر قول الله عز وجل : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ « الأنعام / ١١٢ » ، إذ يفصح لنا قوله تعالى ﴿ يوحى بعضهم إلى بعض .. ﴾ عن وجود حلقة وسطى بين هؤلاء وأولئك تنسق بين العالمين ، هى الطاغوت ، تلك الحلقة التى يتحقق بها التعاون وتبادل الأفكار والمذاهب والأخبار والخطط والبرتوكولات والأشعار والأعمال الفنية المزخرفة : نحتاً وتصويراً وتشكيلاً وتأليفاً وتمثيلاً وكله قول مزخرف يغررون به الإنس والجن إفتراء وكذباً لإخراجهم من عبادة الله وحده إلى عبادة الطاغوت ، أى من النور إلى الظلمات . والسؤال الذى يجيب عليه هذا التفسير المقدم للنفس الطاغوتية هو : كيف يوحى شيطان الإنس لشيطان الجن أو شيطان الجن لشيطان الإنس زخرف القول ؟ أو السؤال بصيغة أخرى : كيف يكون الإتصال والتبادل والتعاون والوحى بينهما ؟ إذا علمنا أن الوحى هو إعلام خفى تبين لنا أنه لا بد من سبيل أو حالة تتيح لكل منهما أن يوحى إلى الآخر ، وأن يلقي الآخر ويتلقى من الآخر ، وليس من سبيل لذلك إلا النفس الطاغوتية الناتجة عن إتحاد النفسين والعقلين والقلبين ، هذا الإتحاد الذى يتولد عنه التوحد بين الشيطانين اللذين يصيرا طاغوتاً ، لأن اختلاف كثافة الجسدين يتيح تداخلهما الإرادى فيتولد عن الإتحاد النفسى العقلى الجسدى ، ذاتاً طاغوتية واحدة فكل شيطان جنى حين يتحد بشيطان إنسى يتولد عن هذا التوحد طاغوت ، لكن كل واحد منهما حين يفترق مستقلاً عن الآخر مرة أخرى يعود شيطاناً كما كان ، وحيث أن الشيطان المعروف بالألف واللام يصدق على إثنين أحدهما إنسى والآخر جنى ، وكلاهما رأس الشياطين فى بنى جنسه أو فى قبيله ، فإن إبليس رأس شياطين الجن يكون قريباً أيضاً لقائيل الذى هو رأس شياطين الإنس ، ويكون

التوحد بين نفسيهما الشيطانيتين للنديّة التي بينهما ، ولأن هذه النفس الشيطانية الإنسية هي خليفة الطاغوت في عالم الإنس الذي يتكلم باسمه فيهم ، وينفذ ما يتولد عنه من مخططات شريرة إنسانية ، وكذلك النفس الشيطانية الجنية إبليس هو خليفة الطاغوت المنفذ لمخططاته في عالم الجن لذا يصح القول بأن الشيطانين إبليس والدجال يصيرا حالة توحدهما الطاغوت معروفاً بالألف واللام ، لأنه إذا كان توحد شيطان جنى بشيطان أنسى ينتج عنه طاغوتاً من الطواغيت الصغار ، فإن توحد الشيطان الجنى إبليس بالشيطان الإنسى قابيل أو الدجال ينتج عنه الطاغوت أى رأس الطواغيت كلها ، أما فى حالة إستقلال كل واحد منهما عن قرينه فإنه يعود شيطاناً ، هذا الشيطان الإنسى وذاك الشيطان الجنى ، هذه القيادة المتوحدة ليست جنية إبليسية فقط ، وليست بشرية دجالية فقط ، وإنما هي مزيج متفاعل متولد منهما على أثر هذا التفاعل أى الطاغوت ، فهو إذاً خميرة الشر فى الوجود ، فالطاغوت ليست الشيطان الجنى الإبليسى فقط ، وليست الشيطان البشرى الدجالي فقط ، وإنما هي الذات المتولدة عن وحدة وجود بينهما ، ولفظ الطاغوت هو إسم جامع لذاتهما المتوحدة ، وإسم لشغلها الإجرامى المضل للجن وللإنس على حد سواء، واسم للمؤسسات والقوى والجيش الخاضعة لها المنفذة لأهدافها .

هذا هو مفهوم الطاغوت معروفاً بالألف واللام إذ لا يصدق إلا على الذات الدجالية البشرية حين توحدتها مع النفس الإبليسية الجنية ، أو بتعبير آخر حين تتدرع الذات الإبليسية الجنية الخبيثة بالجسد والعقل وبالنفس الدجالية القابلية البشرية الشريرة .

فالطاغوت ليس أحدهما منفرداً بذاته فى عالمه ، إذ يكون كل واحد منهما ، حين الاستقلال والتباعد بينهما ، إما الشيطان الجنى إبليس الذى هو خليفة ونائب الطاغوت فى عالم الجن ، وإما الشيطان الإنسى قابيل أى الدجال الذى هو خليفة ونائب الطاغوت فى عالم الإنس ، ومن ثم فالطاغوت هو الاسم الذى يصدق عليهما معاً حالة توحدتهما فى ذات واحدة هي المشرعة لكل الشر والفساد والكفر فى هذه الحياة الدنيا وفى حالة

الافتراق يكون إبليس خليفة الطاغوت فى الجن والدجال خليفته فى الإنس ، والخليفة منفذ فقط ، بدلالة أن الطاغوت صيغة مبالغة فى الطغيان ، وهى أعلى وأقوى من الدلالة على مصدر الشر ونبع الكفر من دلالة اسم الشيطان على هذا المصدر ، لأن كلاً من الشيطانين الجنى والإنسى أى إبليس والدجال ، يستقيان من الطاغوت ، وذلك لأن الشر النابع من كل منهما على حدة أقل من الشر النابع منهما متوحدتين فى ذات الطاغوت كما أن الشر الصادر من الشيطان : سواء الإنسى أو الجنى ، هو شر تنفيذى . أما الشر النابع من الطاغوت فهو تشريعى تخطيطى وتنظيمى وتنظيرى عقدى ، فالنفس الطاغوتية هى نبع الشر الأول أو المصدر الأول الأصل للشر والكفر إذ هى التى تفيض بالكفر والضلال والشرك والإلحاد والخبث والإجرام على شيطانى الجن والإنس ، وعن طريقهما وتنفيذهما كل فى عالمه ، يتحقق الشر ويعم الخبث ، فالطاغوت هو عقل الشر الأول ونبع الكفر الأساسى فى الوجود الإبتلاى . ومن ثم تكون السلطة العليا لمملكة الشر وعالم الظلمات متمثلة فى هذا الثلاث النجس : إبليس الجن والدجال إبليس الإنس ثم الطاغوت الذى يتولد عن تفاعل الطبيعة الجنية النارية بالناسوتية الطينية ، فهم ثلاث ذوات : إثنان فى واحد ،، وواحد متولد من إمتزاج أو تفاعل الإثنين ، أبوين وابن وولادة ، وتلك هى حقيقة وأصل عقائد التثليث فى الأرض على مدار تاريخ البشرية كله ، بل هى أيضاً أصل وحقيقة وتتحقق عقائد الحلول والإتحاد ووحدة الوجود كما سنرى .

وهكذا تحققت وتتحقق بين إبليس والدجال المساواة والتندية لأن حاجة كل منهما إلى الآخر متكافئة ومتساوية كحاجة القرين إلى قرينه ، أى أن الموحد بينهما هو المصلحة ، فالطاغوت متولد من السلوك المصلحى والنفعى ، ومن ثم فأخلاق المصلحة والمنفعة من شريعته ، وحيث أن كلاً من إبليس والدجال خليفة للطاغوت فى عالمه ، والطاغوت ليس إلا هما متوحدتين ، فإن كل واحد منهما يكون معبوداً متألهاً فى بنى جنسه وقبيله بالأصالة لنفسه وبالوكالة فيهم عن قرينه أى حاكماً لهم بالنيابة عن الآخر ، فما عبد المشركون الكافرون من دون الله تعالى إلا الشيطان الإنسى والجنى متحدين بل متوحدتين

، أى الطاغوت ، سواء أكان هؤلاء المشركون الكافرون فى الجن أم كانوا من الإنس وبذلك صار الدجال صوت إبليس فى الإنس وإبليس صوت الدجال من الجن ، وهذا تفسير قوله تعالى لإبليس « واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً »

أى مَنْ استطعت من بنى آدم فكان هو إبليس البشرى الرئيس أى الدجال قابيل .
فلا معنى للطاغوت سوى هذه الأنا الإبليلية المتلبسة بالمتزجة الذائبة بل المتوحدة فى الأنا القابلية البشرية . فهى الذات المستعلية المستكبرة إستعلاء وإستكباراً مضاعفاً طاغياً ففاض منها الإلحاد والشر فيضاناً وشرعت الرذيلة والجريمة والمنكر وقننتها ، وعملت وتعمل على ترسيخها ، حتى تقضى على آخر ذرة خير بين الإنس والجن ، تلك هى الطاغوت أما الشيطان الجنى ونده أو قرينه الشيطان الإنسى فكل واحد منهما مجرد نائب أو خليفة للطاغوت فى عالمه يقتصر دوره على تنفيذ المخططات أو البرتوكولات والتشريعات الصادرة إلى كل منهما من هذه الذات النجسة الخبيثة ، وهذا فارق جوهري بين مدلول اسم الطاغوت ومدلول اسم الشيطان فى المفهوم والمصادق والوظيفة ، وكذلك فى الرتبة ، إذ يعلو الطاغوت الذى عمله التشريع والأمر على الشيطان الإبليسى جنأ وإنساً الذى عمله قاصر على الطاعة للطاغوت وتنفيذ أمره فالطاغوت رب للشيطانين الرئيسين كل واحد منهما عبد له ومكلف منه . وإن كان هذا الطاغوت ليس سوى كلاهما متحدين .

الفصل الثاني عشر

الطاغوت هو الذي يلد ويولد وهو أصل
عقائد الحلول والتثليث ووحدة الوجود

حقيقة الطاغوت وصلته بالشيطان :

علمنا أن الدجال أو إبليس الإنسى هو صوت الطاغوت فى عالم البشر كما أن إبليس هو صوت الطاغوت فى عالم الجن ، وهما يسعيان بتنسيق من خلال الطاغوت ليصل إلى إحكام قبضته على هذا العالم ، ومن ثم يخرج مظهراً نفسه للناس زاعماً أنه ربهم وأنه ملكهم وأنه إلههم . ومن ثم يكون الدجال و إبليس صاحبي غاية واحدة منطلقة من نفسيهما المستعليتين المستكبرتين نحو التآله ، وتعبيد الإنس والجن لهما من دون الله تعالى ، فصارا منذ بدء الخليقة زعيما لمملكة الشر ، ومن ثم يكون من الخطأ قصر اسم الطاغوت على أى واحد منهما دون الآخر ، أو إعتبار الطاغوت أحدهما مستقلاً عن الآخر ، لأن كل واحد منهما تمتلأ ذاته الشيطانية الإبلسية بنفس القدر الذى عند الآخر من الإستعلاء والإستكبار والكفر بنفس القدر من الشر الذى عند الآخر ، وب نفس قوة نزعة التآله التى فى نفس الآخر .

ولذا فهما متساويان مساواة تامة فى هذه الأمور الشيطانية الإبلسية ، ومن ثم فكل واحد منهما ليس مجرد شيطان من شياطين الإنس والجن ، إذ أن كل واحد منهما رأس لشياطين بنى نوعه وقبيله ، وحيث أن إسم إبليس اسم وصفى ، وليس إسماً علمياً ، لأنه مشتق من أبلس أى يئس أو من الإبلأس أى اليأس ، وهو حال الشيطان الذى استحق بفعله اللعنة الأبدية التى هى طرد ابدى من رحمة الله لا رجاء له بعدها فى التوبة ، أى أنها حكم نهائى للخسران الأبدى ، وحيث أن هذا هو ما آل إليه حال قابيل لقوله تعالى ﴿ ... فأصبح من الخاسرين ﴾ « المائدة / ٣٠ » ، وهو حال كثير من السحرة والكهان والطغاة من رؤوس الأديان الشركية والملل الكفرية ، فإن قابيل اللعين يصح أن نطلق عليه الإبلس الإنسى وكذلك كل من يتعامل تعاملأ مباشراً مع شياطين الجن من الإنس وكل رؤوس الكفر والفساد ممن آل حالهم إلى اليأس واستحقوا اللعنة الأبدية التى قطعت عليهم طريق العودة إلى الله عز وجل هم جميعاً أبالسة .

ومن ثم فليس كل الشياطين أبالسة ، وإن كان كل الأبالسة شياطين ، لأن بعض

الشياطين قابل للتوبة وللمعودة إلى الحق ، كما هو حال شيطان رسول الله ﷺ الذى دعاه رسول الله ﷺ إلى الاسلام ، فأسلم وصار صحابياً من صحابة رسول الله ﷺ الجنيين . ومن ثم نقول أن كل شيطان كافر وليس كل كافر شيطانياً لأن الشيطان جندى أو موظف فى مملكة الشر ، وليس الكافر هكذا بالضرورة ، وكل إبليس شيطان ، وليس كل شيطان إبليساً ، وكل طاغوت إبليسان متوحدان ، وليس كل إبليسين منفردين طاغوتاً ، إذ لا يكونان كذلك إلا بالتوحد فالمؤمنون بالله الكافرون بالطاغوت هم خلفاء الرحمن فى الأرض وهم نوعان : مؤمنو الإنس ومؤمنو الجن ، والكافرون بالله تعالى المؤمنون بالطاغوت ، هم جمهور مملكة الشر للأرض وهم نوعان أيضاً : كفرة الإنس وكفرة الجن .

والشياطين هم الجنود والموظفون فى دولة مملكة الشر وهم نوعان : شياطين الإنس وشياطين الجن ، وأبالسة هم رجال الدولة والأعوان المخلصون لمملكة الشر الموكولة إليهم الأعمال والوظائف الطاغوتية ، وهم أيضاً بالضرورة نوعان : أبالسة الجن وأبالسة الإنس والطواغيت هم حلقات الإتصال بين شياطين الجن وشياطين الإنس ، ومن خلالهم يتم الوحي من هؤلاء لأولئك ومن أولئك لهؤلاء ، فينتقل الشر بين الجانبين ويتم التعاون بينهما على الإثم والعدوان لإخراج الجن والإنس من النور إلى الظلمات ، وعلى قمة مملكة الشر الطاغوت الرئيس الأسفل ، وهو الذى يتولد من لحظات التوحد بين الإبلis الجنى الرئيس الذى أبى السجود لآدم عليه السلام ، والإبلis الانسى الرئيس الذى قتل أخاه واستحل أخته المحرمة عليه ، ثم إذا إفترقا مرة أخرى ، عاد كل واحد منهما رسولا إلى بنى نوعه الأبالسة من قبل الطاغوت الرئيس بما تم الاتفاق عليه من خطط إفسادية لتقوم مجامع الأبالسة بوضع القوانين والقرارات والآليات التى يصدرونها إلى الشياطين لتنفيذها .

هذا هو الهرم الإدارى لمملكة الشر الذى تنتهى قمته بالإبلisين الرئيسين ينبثق منهما الطاغوت الرئيس ، فالسلطة النهائية لمملكة الشر هى لهذا الثالث ، ومن ثم نجد

أن المعبود في أكثر الملل الإلحادية والكفرية والشركية والوثنية والكتابية المحرفة ثلاثة يزعمون أنهم في واحد ، أو واحد يقولون أنه ثلاثة .

وهي عقيدة قديمة قد ظهرت في عقيدة أوزوريس وإيزيس والهندوكية التي ينتهي هرم الآلهة عندهم إلى ثلاثة ثم في النصرانية بمذاهبها المختلفة.

وحتى عقيدة الحلول المنحرفة عند الصوفية ما هي إلا حلول النفس الإبليسية الجنية في النفس الإبليسية الإنسية أي أنها عبادة للطاغوت . فمن قول الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإن أبصرتني أبصرتــه وإن أبصرتــه أبصرتنا

فالروحان هما النفسان الإبليسيتان الجنية والإنسية أي نفسه هو في بدنه هو ثم نفس شيطانه في نفسه وبدنه ، فهذا ثالث ، والبيت الثاني يثبت ما أطلقت عليه حالة التوحد لأنهما ذاتاً واحدة ، فإذا رأيت الواحد منهما رأيت الكل .

وكذلك قلنا أن الطاغوت هو المشرع ، فهو رب إذا ، ومن ثم يكون كل إبليس منفصل عنها ملزم بتنفيذ ما تم تشريعه في عالمه ، فهو عبد حين يكون منفرداً بذاته مستقلاً ، وهو رب حين يكون متوحداً في الطاغوت ، وهما حالتا الجمع الطاغوتية والفرق الإبليسية ، وهذا هو بعينه مذهب ابن عربي صاحب وحدة الوجود ، فباعتبار الطاغوت هو المشرع فهو رب ، وباعتبار كل إبليس منهما بعد التفرق ملزماً بطاعة وتنفيذ ما تم الإتفاق عليه وتشريعه ، فكل منهما عبد ، فالعبد هو الإبليس حالة الانفصال أو التفرق ، والرب هو هو بعينه في الحلول ووحدة الذات ، أي في حالة الجمع والتوحد وهذا هو البيت المنسوب لابن عربي

الرب عبد والعبد رب يا ليت شعري مَنْ المكلف ؟
إن قلتَ عبد فذاك رب وإن قلت رب فأني مكلف

وهذا هو التفسير الوحيد المقبول لغة وعقلاً لهذين البيتين ، إذ يصعب إن لم يكن من المستحيل تفسيرها بغير ما هدانا الله تعالى إليه من تفسير لسر الطاغوت المتوحد أو المتولد عن الإبلisiin ، والإبليسان المنفلتان أو المتولدان عن الطاغوت ، وكذا يستحيل تفسير عقائد الحلول الصوفية والحلول النصرانية والتثليث ووحدة الوجود الإلحادية عند البوذية والكونفوشيوسية والهندوكية وعند أصحابها ممن ينتسبون للتصوف الإسلامى إلا من خلال الحقيقة الطاغوتية الإبلisسية توحدًا بالجمع واستقلالًا بالانفلاق ، إذ هذا كله ليس إلا وصفاً وشرحاً لحالتى الطاغوت والإبلisiin جمعاً وانفلاقاً مع نسبة هذا كذباً وزوراً وبهتاناً إلى الله عز وجل وتنزهه وتقدس وتعالى عن ذلك كله علواً كبيراً .

وبهذا يخدع الطاغوت الناس ويجعلهم يعبدونه بالوصف مستتراً تحت اسم الحق واسم الله عز وجل ، وإن كان قد حل شئ فى شئ فهو القرين الجنى بقرينه الانسى مع الإيهام بأنه الأله عز وجل خداعاً وتضليلاً ، هذا إن لم يكن هو عالماً بهذا شريكاً معه فى الإضلال . وهذا كله من قبيل توعد الشيطان بنى آدم بقوله لله عز وجل : ﴿ قَالَ : فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْخَالِصِينَ ﴾ « ص / ٨٢ - ٨٣ » ، وبقولـه ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ « الأعراف / ١٦ - ١٧ » .

والسؤال : كيف يأتى الأبالسة الناس عن أيمانهم إلا أن يكون هذا باسم الدين والإيمان بالله تعالى ، فى حين أنه لا يأتى إلا بالكفر فيخدع من يريد الإيمان بأن يجعله يعبد الطاغوت وهو يحسب أنه يعبد الله تعالى ، فمذاهب الحلول ووحدة الوجود فى التصوف الإسلامى التى لها نظير عند صوفية الهند والبوذية والنصارى ، ما هى إلا مذاهب طاغوتية تلك التى تجعل العبد هو الرب جمعاً بالتوحد والحلول ، والرب هو الرب استقلالاً بالتفرق والانفلاق فليس من نبع للشر أسبق من الفلق الذى هو شر ما خُلِقَ .

أما رب العالمين خالق كل شيء سبحانه فهو أجل وأعظم وأكبر من أن يحل بذاته في شيء من خلقه حتى ولا في سمواته فإله أكبر ، كما أنه سبحانه أجل وأقدس من أن يحل فيه شيء من خلقه ، كيف ؟ ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات يمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ الزمر / ٦٧ ، ؟ فإله أكبر ، ويطويها كطي الكتاب ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾ الأنبياء / ١٠٤ ، كيف ؟ و ﴿ إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ يونس / ٤ ، ؟؟ فإله أكبر ، كيف ؟ وهو القائل سبحانه ﴿ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ غافر / ٥٧ ، وكيف يحل سبحانه بعد مخلوق له من الناس حتى ولو كان نبياً طاهراً مثل عيسى بن مريم عليهما السلام ، والسموات والأرض وهن بعض خلقه مطويات يمينه وهن أكبر من خلق الناس جميعاً ؟ الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ..

لا حلول ولا توحيد وجود إلا بين مخلوق ومخلوق ، ولا يصح هذا ولا يتم إلا بين جنى من نار يتخلل إنسياً من طين ، لأن الجنى أقل كثافة من الإنسى ، ولا يكون هذا إلا بين إبليس يلدان بتوحيدهما طاغوتاً . فسبحان الله عما يقولون ، وتعالى الله عما يشركون علواً كبيراً .

كيف يحل الخالق سبحانه بالمخلوق ، وهو الذى لما تجلّى للجبل أقل من قيد أنملة جعله دكاً وخرّ موسى صعباً ، ولم يكن هذا من تجلّى الخالق سبحانه على موسى عليه السلام ، ولكن مما أصاب الجبل ؟ ثم يخرج على الدنيا من يقول : إن الله ثالث ثلاثة . كفر والله كفراً بواحاً ، ومن يقول : إن الله يحل فيه ، وما في جبهته غير الله ، أو من يقول : سبحانه ما أعظم شأنى ، كفر والله كفراً بواحاً . وثالثة الأثافي هي قول القائل : الرب عبد والعبد رب . كفر والله كفراً بواحاً ، ولو أولوا هذه الأقوال بأى تأويل من التأويلات ، لأنها جميعاً ليست إلا أحوالاً للطاغوت ينسبون لها عز وجل .

وليس بموحد من لم يكفر بالطاغوت ، فما بال الذى يؤمن به وصفاً ويطلق عليه

اسم الجلالة . الله

يؤكد هذا التفسير للطاغوت ويثبت سبة صفات الطاعوت لله تعالى كذباً وزوراً وبهتاناً قوله تعالى ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ، بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ﴾ « الأعام / ١١٠ - ١٠١ »

لأن وصف الإله بأنه يلد كذباً وبهتاناً ونسبة الولد إليه ، إنما هو وصف بأحوال وبصفات الطاغوت ، ومن ثم فإن من يعبد إلهاً بهذا الوصف لا يعبد فى الواقع إلا الطاغوت ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ « الصافات / ١٨٠ » وقال تعالى ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون ﴾ « الصافات / ١٥٩ »

الطاغوت يلد ويولد :

لقد علمنا أن الشيطان إما أن يكون إنسياً وإما أن يكون جنياً ، ومن ثم فإنه يكون من الخطأ تأويل إسم الشيطان فى بعض الآيات الوارد فيها بالشيطان الجنى فحسب ، ما دام قد ثبت وجود عالم من شياطين الإنس لهم ملك وقائد وزعيم يتخذونه رباً وإلهاً ، بجانب عالم من شياطين الجن لهم ملك وقائد وزعيم يتخذونه رباً وإلهاً ، وعلى هذا يكون من الخطأ قصر اسم الشيطان على الجنى منهما فقط ، وهو الخطأ الشائع الذى يقع فيه كثير من الناس وكثير من المفسرين ، إذ ينصرف الذهن بمجرد سماع لفظ الشيطان إلى الجنى ، بالرغم من أن القرآن الكريم قد نصّ صراحة فى أكثر من موضع على وجود عالمين للشياطين ، وليس عالماً واحداً هما شياطين الجن والانس . منها قوله تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ « الأنعام / ١١٢ » ومنها قوله تعالى ﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾ « سورة الناس » فالوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس

إما أن يكون من الجنة أى جنياً ، وإما أن يكون من الناس أى إنسياً ، فهما إذن عالمان من الشياطين الموسوسين الخناسين فى صدور آدميين فلكل عالم رئيس يتخذونه ملكاً وإلهاً ورباً . وهما عالمان متآزران متعاونان على الإثم والعدوان ومحاربان للمتعاونين على البر والتقوى ، بدليل قوله تعالى فى الآية الأولى « يوحى بعضهم إلى بعض » وبدليل قوله تعالى أيضاً « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطمعهم إنكم لمشركون » الأنعام / ١٢١ ، وأيضاً بدليل قوله تعالى « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » الزخرف / ٣٦ .

وبين العالمين حلقات إتصال كثيرة يتم من خلالها تبادل التعليمات والخطط والأفكار والتنسيق بينهم فى التنفيذ ، وكل هذا يتم من خلال وحي بعضهم إلى بعض هذه الحلقات الوسطى اسم الواحد منها « طاغوت » وجمعها « طواغيت » وكل طاغوت من عالم الطواغيت هو متولد عن توحيد ذات شيطانية إبليسية جنية بذات شيطانية إبليسية إنسية توحداً يتم على فترات مؤقتة ، هى المدة الزمنية لحالة الإتصال بينهما ، التى تتمحى وتنعدم فيها الذات الفردية لكل منهما فى المتوحدة ، فالمتوحدة أى الذات الطاغوتية مولودة من الإثنين ، والإثنتان والدتان لها . فإذا ما إنتهت فترة التوحيد وعاد كل واحد إلى فرديته ذاتا شيطانية إبليسية كما كان ، وهكذا ، ومن ثم تصبحان بالتالى متولدتان من الطاغوت بطفح من الشر يتمثل فيما تحمله كل ذات إبليسية كل منهما من خطط وتشريعات وأعمال طاغوتية تلقته من الذات الطاغوتية ، فالذات الطاغوتية أشبه ببئر المجارى وكل ذات إبليسية أشبه بمجرى يخرج منه ، وتولد ماء المجارى النجس من بئر المجارى سواء الجنية أو الإنسية أشبه ما تكون بطفح من هذا البئر من جهة يسير فى مجرى من ناحية والآخر يسير فى الناحية الأخرى ، بقصد إفساد الحياة ، فتكون كل ذات منها مولودة من الذات الطاغوتية ، فالطاغوت ابن مولود من الشيطانين الابليسين بعملية الإمتزاج والجمع ، وهما ابنان مولودان منه بالانفلاق ، ومن ثم يكون هذا الثالث حين توحيده مركب من إثنين ، أتاح له إختلاف طبيعة أصل

مادتي تكوين كل منهما أى النار والطين ، أتاح إمتزاجهما وتوحدتهما ، كما ذكرنا من قبل ، ومن ثم أصبح للمخلوق المبتلى أى الانس والجن ستة أحوال :

الحال الأول : وهو حال الفطرة الموحدة التى يولد عليها أبناء الإنس والجن ، وهذه تستمر مع المولود منهما حتى سن الرشد والتكليف والاختيار وبعد هذا إما أن يثبت قلبه على فطرته وإما أن ينحرف عنها .

الحال الثانى : أما الحال الثانى فهو حال المؤمنين بالله واحداً لا شريك له الكافرين بالآلهة المزيفة الباطلة وهؤلاء هم حزب الله عز وجل .

الحال الثالث : وهو حال الذين تحولوا عن فطرتهم فأشركوا وكفروا بالله تعالى واتخذوا إلهاً غيره . وربما سواه . وهؤلاء هم حزب الشيطان المعادى والمتصارع مع حزب الله ، لكن منه أتباع مضللون عليهم جنود وحراس من الشياطين ، هؤلاء الأتباع الكافرون قابلون للعودة إلى التوحيد والإيمان والإسلام بالتوبة ، وقابليتهم للعودة أقوى من قابلية الشياطين الذين هم أهل الحال الرابع .

الحال الرابع : ينقسم حزب الشيطان إلى أتباع مضللين وجنود من الشياطين الداعين إلى الكفر ، لأن مجتمع الكفر ليس كل أعضائه شياطين ، إذ الجمهور والعامه المضللون منهم كفار ومشركون مضللون مخدوعون بفعل الشياطين الذين يحجبون عنهم الحق ويموهون الحقيقة . ومن ثم فالشيطنة هى الحالة الرابعة فى هذا التقسيم لأن الشيطان هو الجندى فى جيش دولة الشيطنة ، ومن ثم فكثير منهم مخدوعون مضللون ، وبالتالي فبعضهم قابل للإيمان والعودة لفطرته ، إذا ظهرت له الحقيقة مثل ما حدث من الشيطان المسلط على رسول الله ﷺ الذى أسلم وآمن وصار صحابياً ، وعلى هذا تكون هذه الدولة مكونة من هؤلاء الجنود الشياطين على اختلاف رتبهم ، والذين هم خاضعون ومحكومون بالزعماء أصحاب السلطات فيها والذين ليسوا شياطين عاديين ، إذ هم الأبالسة .

الحال الخامس : الأبالسة وهم الملأ الأعلى فى الدولة الشيطانية الحكام والقضاة
والمنفذون من القيادات العليا والوزراء وجميعهم من الأبالسة ، وإختلاف الأبالسة عن
الشياطين ليس فى مرتبة السلطة فقط وإنما فى أن الحال النفسى الخاص للأبالسة هو
أنهم ليسوا قابلين للتوبة أو للرجوع إلى الحق والإيمان بالله تعالى والكفر بالطاغوت ،
لأن الإبلis هو الشيطان الذى بعد كثيراً جداً عن الحق حتى صار يائساً قانطاً من
رحمة الله ، شأنه فى هذا شأن إبليس الأول ، فليس إبليس هو الشيطان الأول فقط الذى
أبى أن يسجد لآدم لأن هذا الاسم : « إبليس » وصفى وليس علّماً لأن الفعل
أبلس أى يش من رحمة الله وقنط من عفوه ، هذا الفعل المشتق منه إسم إبليس يجعل
هذا الاسم وصفاً صحيحاً لكل من يش من رحمة الله وعفوه ، ومن ثم فكل من يصل
إلى هذه الحال القلبية الخامسة للكائنات الإبتلائية المغالية فى الكفر والمسرفة فى الشر
فهو إبليس ، ليس الجنى منها فقط بل الإنسى كذلك : أقول من يصل إلى هذه الحال
يصبح إبليساً ، ومن ثم يمكن القول بأن الجن ينقسمون إلى مؤمنين وكفرة وينقسم
البشر إلى مؤمنين وكفرة ، وكما ينبثق من كفر الجن شياطين ، كذلك ينبثق من
كفرة الانس شياطين ، هم دعاة الكفر وجنود الضلالة ، وكما ينبثق من شياطين الجن
أبالسة ، ينبثق من شياطين الانس أبالسة أيضاً ، هم زعماء وقادة ومشروعو ومخططو حزب
الشيطان ، وهم القيادة العليا لهذا الحزب ، وهم الذين غير قابلين للعودة إلى فطرتهم
الموحدة ، بعد أن تدمرت تماماً ، فصاروا غير قابلين للتوبة اليائسين من رحمة الله تعالى
، هؤلاء الأبالسة الجنيين هم قادة حزب الشيطان الجنى ، والأبالسة البشريين هم قادة
حزب الشيطان الإنسى الذين يحاربون حزب الله فى عالمى الجن والانس على حد سواء.

الحالة السادسة : وعلى هذا فلا بد أن يقوم التنسيق بين أبالسة كل من العالمين
الجنى والإنسى فى حربهم ضد حزب الله فى عالمى الجن والانس ، هذا التنسيق يفترض
بالضرورة حلقات وسطى على جميع درجات السلم الإدارى الهرمى لمملكة الشر ، هذه
الحلقات الوسطى هى المتمثلة فى عالم من الطواغيت على رأسهم الطاغوت الأول ،

فكل إبليس جنى يتوحد بقرينه الإبلis الإنسى ينتج عنهما طاغوتٌ فى عالم الطواغيت ، ويتوحد الإبلis الجنى الأول الذى أبى السجود لآدم عليه السلام الذى هو رب الأبالسة والشياطين وملكهم ، بإبليس الإنس الأول الذى قتل أخاه واستحل أخته وهو رب أبالسة الانس وملكهم والهمهم ، هذا التوحد النجس بينهما هو الذى يتولد منه الطاغوت الأول رب عالم الطواغيت وملكهم والهمهم ، فهو ربهم لأنه المشرع لهم ، وهو ملكهم لأنه المصرف لأموارهم والمخطط لتنفيذ الأهداف والتشريعات المحققة لها ، وهو إلههم لأن الذين دونه من الطواغيت والأبالسة والشياطين والكفرة والمشركين يعبدونه من دون الله عز وجل .

وكما سبق أن وضعنا ، فإن الإبلis الإنسى الأول والإبلis الجنى الأول حين يتوحدان يلدان الطاغوت الرئيس الأول ، فهو ثالثهم ، فإذا انفلقا إلى إبليسين مرة أخرى صارا كمن ولداهم الطاغوت ، فكل منهما مولود منه بالإنفلاق أو الانفصام ، ومن ثم فهو يلد ، وهو مولود منهما أيضاً ، وما تم هذا التوحد ، إلا لأنه الشكل الوحيد الذى يمكن أن تقوم به بينهما قيادة ثنائية تكون السلطة فيها متساوية مساواة تامة بينهما ، لأن كل واحد منهما كفؤ للآخر وند له ، كما أن الطاغوت كفؤ لهما متوحدين ، ومن ثم ما عبد المثلثون إبتداء من عبادة أزوريس فى التاريخ المصرى القديم ثم البوذية والهندوسية ومن ثم الصورة الأخيرة للتثليث الكاثوليكي إلا هذا الطاغوت الذى يلد ويولد ، وكل واحد من الإبليسين كفؤ للآخر ، ومن ثم أمر الله عز وجل نبيه الكريم قائلاً له ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ « سورة الصمد » لأن هذه السورة المعادلة لثلاث القرآن ، المتضمنة للتوحيد الإسلامى كله ، تثبت ضلال جميع الذين يعبدون الطاغوت فى صورة ثالث يلد ويولد ، وله ما يكافئه ، وينفلق أى ينقسم إلى اثنين متكافئين ، فالسورة إذا تنزه وتقدس الله عز وجل عن هذه الخصائص الطاغوتية ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ فهو أحدى الذات سبحانه ليس فى ذاته عز وجل تركيب كما هو الحال بالنسبة للطاغوت ، وهو عز وجل صمد فلا يحل فيه شئ

من خلقه ، ولا يتحد هو عز وجل بشئ من مخلوقاته ، لأنه عز وجل الخالق وكل ما سواه مخلوق وعبد له ، ومن ثم فهو سبحانه لم يلد ، ولم يولد ، كما هو الحال بالنسبة للثالوث الطاغوتي ، وكما هو الحال بالنسبة لكل حي يتولد من إثنين أو يلد غيره ، واحداً أو أكثر ، وما تقرره هذه السورة هو البراءة من الإيمان بالطاغوت إذ أنه لا يوجد في الكون كله كفؤ له سبحانه ، لأن كل ما سواه في الوجود من خلقه سبحانه ، فلا ند ولا شبيه ولا كفؤ له عز وجل ، بخلاف شأن هذا الثالوث الطاغوتي المعبود بالباطل من دون الله ، إذ هو يكافئ إبليس ، والإبليس يكافئانه ، كما يكافئ كل واحد منهما الآخر ، ومن يعبد الذي له كفؤ فهو مشرك والذي يعبد ثلاثة هو مشرك ، ومن ثم لا نجاة من هذا الوقوع في عبادة هذا الطاغوت الذي هو وحده المتأله بالباطل ، إلا بالتوحيد الذي شعاره لا إله إلا الله ، وعقيدته قل هو الله أحد ، وغايته الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله عز وجل وحده .

ومن ثم تتضمن سورة الصمدية الكفر بالطاغوت الذي يلد ويولد وله كفؤ ، وليس إحدى الذات بالإضافة إلى ما تتضمنه من تصريح بالإيمان بالله تعالى وحده . وحيث قد علمنا الطاغوت إثنان يتوحدان في ذات واحدة هي نبع الشرفي العالم ثم تنفلق إلى إثنين مرة أخرى ، ليعود كل إبليس منهما إلى عالمه حاملاً خطط الشر والفساد والإضلال ، فإن هذا التوحد والانفلاق يتم بأمر الله تعالى ومشيتته الكونية لإبتلاء الإنس والجن ومن ثم فهو سبحانه رب كل شئ الذي بعزته وإذنه سبحانه يتم هذا كله .

ومن ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يستعيذ بالله تعالى رب هذه الذات المتوحدة والمنفلقة على التوالي الطافحة بالشر والفساد ، فقال له ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ « سورة الفلق » وسميت السورة باسم الفلق لأن هذا هو أخطر فلق في العالم يعقبه طفح الشر والفساد والاضلال ، والأمر بالاستعاذة بالله تعالى الذي هو خالق إبليس وربهما في حالة انفصالهما وربهما في حالة توحدتهما في الطاغوت الذي

عندما ينفلق ويعود كل إبليس إلى عالمه ، فإنه يعود حاملاً لخطط الشر وعلى رأسها السحر ، ومن أخطر أساليب الشر النابع من الطاغوت المحمولة بالإبليس المنفلق عنه الغاسق إذا وقب وهو الذى يحل فى الموضع ليلاً فجأة ، ويغيب نهاراً وهم الأبالسة والشياطين حين يحلون بعالم الإنس فيعيشون فساداً بالنظرة الأرضية والمس الشيطاني واللبس الجنى وغير ذلك مما يؤذى به الشياطين الإنس وكذلك من أخطر أساليب الطاغوت المنفلق التفاتات فى العقد ، وهو من أخطر أساليب السحر الذى يتم بالتعاون بين إبليس وإنسى وإبليس جنى .

والاستعاذة به إستعاذة من كل أساليب السحر وأنواعها لأن الإستعاذة من الأخطر إستعاذة مما هو دونه ، وهو من عمل الطاغوت كما علمنا ، لأن الإبليس الجنى هو الذى يلقنه ، ويعلمه للإبليس الإنسى ثم يتعاونان فى إتمام تأثيره الشرير .

﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ لأن الحاسد ليس هو الذى يصيب بالعين فقط ، بل هو الذى يحقق ويتمنى زوال النعمة ، ثم هو يسعى بالكيد لأزالتها عن المحسود بجميع الأساليب ، ومنها عين العائن التى تضر المصاب بشكل غيبى ، وهذا كله من فعل الطواغيت والأبالسة فى بنى البشر ، فسورة الفلق إستعاذة بالله تعالى لكى لا يصاب المستعيز من شرور الطاغوت .

وكذلك لا يتم التوحيد الإسلامى إلا بالاستعاذة بالله عز وجل الذى هو رب الناس ملك الناس إله الناس الواحد الذى لا شريك له فى ربوبيته ولا فى ملكه ولا فى ألوهية .

الاستعاذة به سبحانه تكون من الطاغوت الذى يدعو الناس إلى أن يتخذوه ربا وملكاً وإلهاً لهم ، ومن ثم يوسوس له هذا الوسواس الخناس الإنسى منهم والجنى لتحويلهم عن عبادة الله تعالى وحده إلى عبادة الطاغوت الذى عندما سيخرج فى خرجته الأخيرة من أصفهان سيزعم أنه رب الناس وملك الناس وإله الناس ، ومن ثم أمر الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ بأن يستعيز بالله من هذا الطاغوت الإبليسى الجنى الإنسى مكذباً زعمه الربوبية ورافضاً إدعائه الألوهية ومتحدياً ملكيته الباطلة ابوهمية للعالم ، والتى لن تدوم

أكثر من أربعين يوماً يصبح بعدها هباءاً منثوراً في الدنيا وتحت أقدام أهل الجحيم أى في
أسفل سافلين في الآخرة .

الفصل الثالث عشر

مواضع ذكر الطاعات في القرآن الكريم

تدبر آيات القرآن الوارد فيها ذكر الطاغوت :

بعد أن عرضنا لأقوال اللغويين والمفسرين في الطاغوت ، وبعد أن عرضنا حقيقته ، نأتى إلى السياقات القرآنية الوارد فيها ذكره لتدبرها كما أمرنا ربنا عز وجل آملين في عونه ومدده سبحانه وتعالى استكمالاً لفضح أمره الخفى وكشف سره الدفين ، لقد ورد إسم : الطاغوت فى ثمانية مواضع فى القرآن الكريم نستعرضها تباعاً :

الموضع الأول : وهو قوله تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ البقرة / ٢٥٧ ، الآية الأولى تعرف الذين آمنوا بأنهم الذين يكفرون بالطاغوت أولاً ، ومن ثم لا يؤمنون إلا بالله تعالى رباً وإلهاً واحداً . فجاء الكفر بالطاغوت عنصراً أولاً سابقاً فى فعل الإيمان بالله واحداً لا شريك له . تماماً كما جاء نفى الألوهية عن كل ما سوى الله سابقاً على إثباتها له وحده فى شهادة الإسلام : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ فكان النفى فى الشهادة منصباً على الآلهة الباطلة الذين يعبدهم المشركون أى على المتألهين من البشر والكواكب والكهان وكل معبود من دون الله عز وجل .

لكن هذه المعبودات كثيرة متعددة ، فهى طواغيت جمع طاغوت بالنكرة ، والمذكور فى الآية الطاغوت معرفاً ، كما أنها جميعاً ليست معبودة عند المشركين لذاتها ، إذ يوجد دائماً مَنْ يختفى خلفها وتكون الطاعة له ، ومن ثم يكون هو المعبود المطاع واقعياً من دون الله تعالى بالباطل ، أى هو المطاع وليس الشمس أو البقر أو الصنم ، وهذا المعبود بالباطل فى الواقع هو الذى تَطَلَّع إلى أن يعبدته الناس ويؤلهونه ، وعلمنا أنه أول كفر الجن إبليس ، وهو أيضاً نظيره البشرى أول كفر الإنس قابيل الذى هو الدجال ، وعلمنا أن المشركين فى النار سيخاطبون من عبدوهم من دون الله تعالى قائلين ﴿ تالله إن كنا لفى ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين / ٩٨ / الشعراء ﴾ وشهد الله

عليهم بأنهم يعدلون بربهم غيره من خلقه فقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذى خلق
السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾
« الأنعام / ١٠ » أى يعدلون به غيره من مخلوقاته ، وقال تعالى عن الكفار أيضاً ﴿ .. ولا
تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾
« الأنعام / ١٥٠ » يتخذون بعض خلقه آلهة يعدلون بها ربهم أى يسوونها بربهم .

وعلمنا من سورة « يس » قول الله عز وجل يوم القيامة لكل الكفرة والمشركين
الذين عبدوا الأصنام والعجول والبقر والشمس وفرعون والكاهن والبرلمان المشرع لغير ما
أنزل الله عز وجل ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا
الشیطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً
كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾ « يس / ٥٩ - ٦٢ » فالمعبود بالباطل فى الواقع هذا
الذى يعدلونه ويسوونه برب العالمين سبحانه هو الشيطان . فهل معنى قوله تعالى ﴿ فمن
يكفر بالطاغوت) وقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت .. هو نفس
معنى العبارة والذين كفروا أولياؤهم الشيطان ؟ بالقطع لا ، بدليل أن آية سورة « يس
» تثبت أن الكافرين لم يعبدوا إلا الشيطان فى حين أن آيات أخرى تثبت عبادتهم
للشمس والكواكب والحكام المتألهين والأصنام والعجل وغير ذلك مما يثبت به الواقع
البشرى أيضاً ، وهذه كلها معبودات باطلة مختلفة ومتغايرة وليسوا معبوداً واحداً ، ومن
ثم يكون الشيطان مغايراً للطاغوت أى أن عين الطاغوت ليست هى عين الشيطان ، وإن
كانت عبادة العجل وفرعون والصنم هى عبادة للشيطان ، لأنه طاعة له ، كذلك عبادة
الطاغوت طاعة للشيطان لأنه هو الذى أمر بها ، وإن كانا ذاتين مختلفتين ، وفى آية
سورة البقرة بيان لعقيدة الذين كفروا بعامه ، إذ يجمعهم على اختلاف مللهم ونحلهم
إتخاذهم نداً لله تعالى يساوونه به عز وجل فيؤمنون به بدلاً من الإيمان بالله تعالى ،
وحيث أن الإيمان لا ينصرف إلا على التصديق بأمر غيبى فإن شأن الطاغوت لا بد أن
يكون غيبياً أيضاً ليس على الإنس وحدهم ، ولكن على الجن أيضاً ، ومن ثم فليس

الطاغوت هو شيطان الجن الأول إبليس ، كما أنه ليس شيطان الإنس الأول الدجال . ، لأن الشيطان الجنى أى إبليس ليس غيباً على الجن ، كما أن قابيل شيطان الإنس الأول لم يكن عيباً بالنسبة لأبنائه وقبيلته وشعبه لأنه آدمى . ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾ يصدق على كفار الجن والإنس معاً ، وهؤلاء لا يكفرون بالطاغوت مثل المؤمنين ، ومن ثم فهم يؤمنون به ، أى يصدقون به بالغيب من غير أن يروه أو يسمعوه أو يحسونه أو يثبت لهم وجوده على الأرض ولو بأثر تاريخى .

أما الشيطان سواء الجنى أم والإنسى ، فكل منهما ليس موجوداً غيبياً فى عالمه ، ولهذا لم يرد فى الذكر الحكيم عن الذين كفروا ، أنهم يؤمنون بالشيطان ، كما لم يرد عن الذين آمنوا أنهم يكفرون بالشيطان ، كما ورد بالنسبة للطاغوت فى آية سورة البقرة . ولقد أثبتت هذه الآية الكريمة أيضاً أن الكفار يساؤون بين رب العالمين خالقهم سبحانه وبين الطاغوت - ليس فى التصديق بالطاغوت بالغيب فقط - ولكن أيضاً فى اتخاذ الطاغوت ولياً ، كما أن المؤمنين يتخذون الله وحده ولياً لهم فيخرجهم الله من الظلمات إلى النور ، فى حين أن الذين كفروا يخرجونهم أولياؤهم الطاغوت من النور إلى الظلمات ، وهذا الفعل أيضاً لم ينسب إلى الشيطان وإن كانت آيات أخرى نسبت ولاية الشيطان للذين كفروا واستعباد الشيطان لهم . وفى هذا دلالة على أن الطاغوت فوق الشيطان فى مملكة الشر .

الموضع الثانى : فى قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ « النساء / ٦٠ » ونأخذ من هذه الآية الكريمة إثبات المغايرة والتباين بين الطاغوت والشيطان ، إذ أراد بعض المحسوبين من المؤمنين أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، أما الذى يريد أن يضلهم ضلالاً بعيداً فهو الشيطان . وذلك لأن الطاغوت فى هذه الآية ، حسب أقوال المفسرين ، يصدق على الكاهن اليهودى الذى لجأ إليه بعض الذين أسلموا للحكم فى خصومة ، وهو عمل

يتعارض مع مقتضى الإيمان بالله الواحد إذ يلزم أن يبدأ بالكفر بالطاغوت (اخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال : كان أبو يرزة الاسلمى كاهناً يقضى بين اليهود فيما يتنافرون فيه ، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا إلى قوله إحساناً وتوفيقاً ﴾ (اخرج ابن جرير وابن المنذر عن الشعبي قال كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فى لفظ : ورجل ممن زعم أنه مسلم فجعل اليهودى يدعوه إلى النبى ﷺ ، لأنه قد علم أنه لا يأخذ الرشوة فى الحكم وجعل الآخر يدعوه إلى اليهود ، لأنه قد علم أنهم يأخذون الرشوة فى الحكم ثم اتفقا على أن يتحاكما إلى كاهن فى جهينة فنزلت ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا ﴾ الآية إلى قوله ﴿ ويسلموا تسليماً ﴾ (^١) فالتحاكم إلى كاهن تحاكم إلى طاغوت من الطواغيت لأنه لا يعمل بقواه البشرية فقط ، وإنما بالتعاون مع شيطان من الجن ، بيد أن هذا الكاهن إنما يصدر فى حكمه عن تشريع طاغوتى صادر إليه من الطاغوت الرئيسى ، لذا جاء فى الآية ذكر الطاغوت معرفاً بالألف واللام .

لأن الذى وعى وعلم ونشر هذا التعاون الجنى الإنسانى على الإثم والعدوان والدعوة إلى الكفر والضلال بخداع الناس فهو الطاغوت الأول أو الرئيسى المكون من إبليس والدجال والذى تعتبر سائر الطواغيت الصغيرة جنود له تسير على منهاجه .

ومن ثم قال تعالى ﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم .. ﴾ ولم يقل ﴿ ويريد الطاغوت أن يضلهم ﴾ لماذا ؟ لأن المشرع المخطط لإضلال عالمى الجن والانس هو الطاغوت ، أما المنفذ لإرادة الطاغوت فى عالم الجن فهو الشيطان ، وهو اسم كما علمنا يصدق على الشيطان الجنى الأول إبليس وعلى الشيطان الإنسانى الأول قابيل أو الدجال فقوله تعالى : ﴿ يريد الشيطان ﴾ أى بإرادة تنفيذية ، وهو على ما سبق أن ذكرناه وأشرنا إليه ، وهو وحدة الهدف والغاية الإستراتيجية المرسومة من الطاغوت للشيطان الجنى فى عالمه ،

السيوطى / الدر المنثور / ج ٢ / ص ١٩٧

وللشيطان الانسى فى عالمه كل منهما يريد أن يكون إلهاً معبوداً من قِبَلِهِ أو من نوعه ، وهذا ما لا يتم لكل منهما إلا بإضلالهم ضلالاً بعيداً . وهذا يؤكد ما ذكرناه من فرق دقيق بين الشيطان وبين الطاغوت .

وهذه النزعة الطاغوتية فى التأله التى لا تتحقق إلا بالإضلال البعيد هى التى رسم الدجال الشيطان الانسى الأول خطوات تنفيذها لبطانته وملكه فى خطط انكشاف للناس بعضها بما عرف ببروتوكولات حكماء صهيون ، وهم كفرة اليهود من شياطين الانس ، أو بتعبير أدق هذه البروتوكولات هى إرادة من إرادات الشيطان الانسى لخدمة غاية الطاغوت

الموضع الثالث : ورد اسم الطاغوت أيضاً فى قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ « النساء / ٧٦ » ، فورد ذكر الطاغوت والشيطان فى آية واحدة وموضوع واحد يدل على أن كل واحد منهما ليس سوى إسماً لموجود أو لحال أو شئ مبين عن الآخر . فالذين كفروا من الجن يقاتلون الذين آمنوا منهم فى سبيل الطاغوت لأن الاستراتيجيات التى يقاتلون من أجلها هى من وضع القيادة المتوحدة فى الذات الطاغوتية ، وكذلك الذين كفروا من الانس يقاتلون الذين آمنوا منهم فى سبيل نفس الاستراتيجيات الافسادية الاضلالية الطاغوتية ، فقتالهم أيضاً فى سبيل الطاغوت ، أما الذين آمنوا من الجن ومن الانس فيقاتلون - كل نوع فى عالمه - فى سبيل الله أى لنشر هديه ودينه وترسيخ نَجْد الخير وسبيل العدل والسلام ضد جنود الشيطان .

فالطاغوت هو الأهداف أو الغايات أو الاستراتيجيات النابعة من الذات الإبليسية الدجالية المتوحدة أى من الذات الطاغوتية . فمن يقاتل فى سبيل هذه الاستراتيجيات فهو يقاتل فى سبيل الطاغوت . وبعد أن قررت الآية هذه الحقيقة التاريخية الهامة من حقائق الصراع التاريخي بين البشر ، أمر الله عز وجل المؤمنين بقوله ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ « النساء / ٦٧ » ، فما الحكمة من قوله ﴿

أولياء الشيطان « وما الحكمة إذ لم يقل « أولياء الطاغوت » ؟ !

لأن الكفرة من الجن عند قتالهم لمؤمنى الجن والكفرة من الانس عند قتالهم لمؤمنى الإنس ، كل فى عالمه ، يقاتلون جميعاً فى سبيل غاية واحدة مشتركة بين إبليس والدجال وهى تعميم الشرك وعبادة غير الله عز وجل أى الطاغوت الذى تطاول ليكون معبوداً من الإنس والجن من دون الله عز وجل وهو حلم إبليس الجنى وحلم إبليس الإنسى (الدجال) فهما حلمان فى ذات واحدة هى الطاغوت ، وذاتان شيطانيتان يوحدهما غاية قصوى واحدة هى التآله ، أما قوله تعالى « فقاتلوا أولياء الشيطان » لأن الولاية تقتضى الدخول فى طاعة الولي ، والتعامل المباشر معه من خلال الخضوع له والسمع والطاعة ، وتعامل كفرة الانس المباشر مع شيطان الإنس الأول الدجال فهو وليهم المباشر ، وتعامل كفرة الجن المباشر لا يكون إلا مع إبليس الذى هو زعيم شياطين الجن ، ومن ثم تكون الآية موجهة لمؤمنى الجن بقتال أولياء إبليس ولمؤمنى الإنس بقتال جيوش الدجال وأعوانه الذين هم أولياؤه فلما انفصلت الولاية بسبب اختلاف النوع ، وذكر الشيطان ، لكن لما توحد عدد المؤمنين فى القتال هدفاً وتخطيطاً وغاية علياً من القتال ، فليس إلا الطاغوت .

أما قوله تعالى « إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » (النساء / ٧٦) ، فلأن هذا الكيد قائم على الخداع والكذب والتغريب أى الدجل من خلال السيطرة على أكثر أجهزة الإعلام فى كل عصر لهم فيه العلو بالإفساد مثل عصرنا ، فإذا ما تصدى المؤمنون الشيطان ، ولم يقل قاتلوا أولياء الطاغوت ، لأن ولي الكافرين من الجن إبليس الشيطان الجنى وولى الكافرين من الإنس الدجال أى الشيطان الإنسى ولكل منهما أولياء أى قادة وجنود .

الموضع الرابع : وقد جاء فى قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب : هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وإن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير

وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴿ المائدة / ٥٩ - ٦٠ ﴾

والآية تثبت صلة خاصة بين فئة من كفرة بنى إسرائيل وبين الطاغوت وهذه الصلة مذكورة في قوله تعالى : ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾ فما معنى ﴿ عبَدَ الطاغوت ﴾ قال السيوطي (وأخرج ابن جرير عن بريدة أنه كان يقرأها ﴿ وعابد الطاغوت ﴾ وهذه القراءة تفسر لنا معنى ﴿ عبَدَ ﴾ في الآية (وأخرج ابن جرير عن طريق عبد الرحمن بن أبي حماد قال حدثني الأعمش عن يحيى بن وثاب أنه قرأ ﴿ وعبد الطاغوت ﴾ يقول ﴿ خدام ﴾ قال عبد الرحمن وكان حمزة رحمه الله يقرأها كذلك) وهذه القراءة وسابقتها تفسران قوله تعالى ﴿ وعبد الطاغوت ﴾ بمعنى أن من بنى إسرائيل فئة طغت في الكفر حتى صاروا عباداً وخداماً وبطانة للطاغوت وهذا لا يكون إلا بالتلقى عن الطاغوت وطاعته وتنفيذ أوامره لهم ، وليس من معنى للعبادة والخدمة إلا هذا ، أى منهم فئة تؤمن بالطاغوت وتتلقى منه .

ويطرح الذهن هذا السؤال : لماذا خص بعض الكفرة من اليهود وأهل الكتاب بعبادة الطاغوت بقوله ﴿ وجعل منهم ﴾ ؟ أى ليس كل كفرة بنى إسرائيل وإنما فئة منهم صارت خدام الطاغوت ، كما أن فئة منهم صارت قردة وفئة صارت خنازير ؟

لأنه ليس من الواقعي أن يتصل الطاغوت وهو الذات الإبليسية المتلبسة بالذات الدجالية حال تلبسها بجميع كفرة اليهود ، ولا حتى لهذه الفئة ، وإنما الميسور هو إتصاله عن طريق الدجال الإبليسى الإنس بعدد قليل منهم فينتلقون منه الأوامر والتعليمات والبروتوكولات ، فهم البطانة القريبة أو الحلقة الوسيطة بين الطاغوت من خلال الطاغوت وبين القيادات الإفسادية المحلية اليهودية أو الإسرائيلية المنتشرة في الأرض وليس أدل على هذا من قراءة ﴿ خدام ﴾ الطاغوت الواردة عن يحيى بن وثاب وحمزة . وسنعود إلى تفصيل هذا الموضوع في مبحث لاحق بإذن الله تعالى ، وإنما نكتفى هنا بالتنويه إلى ما سبق ذكره بأنه يتم إتصال بين الطاغوت وبين الناس لإضلالهم ، ومن الطبيعي أن يكون هذا الإتصال من خلال فئة هي أشد الناس طغياناً وكفراً في عصرهم .

ولنا أن نسأل أيضاً لماذا كانت العبادة من هذه الفئة للطاغوت ، وليست للشيطان مثل ما ورد في الآيات الأخرى التى تثبت عبادة الوثنيين والمشركين للشيطان ؟ لأن كل الكافرين والوثنيين والمشركين يعبدون الشيطان ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ يس / ٦٠ ، لكن هذه الفئة الخاصة جداً من كفرة بنى إسرائيل هم عباد وخدام الطاغوت ، والخدام هم المتصلون إتصلاً مباشراً بمن يخدمونه ، وعى هذا فهذه الفئة هى القيادة الكفرية الإفسادية التنفيذية التى تتلقى الأوامر الطاغوتية تلقياً مباشراً عن الدجال الذى هو الحلقة الوسطى بينهم وبين الطاغوت .

ونكتفى هنا للإجابة على هذا السؤال بأن ننقل فصلاً صغيراً من كتاب « وليسم كار » بشرح وتعليق خير الله الطلفاح بعنوان « اليهود وراء كل جريمة » والفصل بعنوان : « النورانيون الرؤوس المدبرة اليهودية العالمية » ، وهو ما يلى :

من المعروف أن حاخامى اليهود يزعمون لأنفسهم السلطة المطلقة فى تفسير ما يسمونه بالمعانى الخفية السرية لكتابات الكتب المقدسة ، وذلك بواسطة إلهام الهى خاص ، !! وليس لهذا الإدعاء أهمية تذكر بحد ذاته .. بيد أن الأمر يختلف إذا أنشئت منظمة خاضعة للحاخاميين التى يزعمون أنها وحى إلهى ! وهكذا إثمر عدد من كبار حاخامى الكنيس اليهودى وكبار المرابين ورؤس اليهودية العالمية وقرروا تأسيس مجمع سرى يعمل على تحقيق أغراضهم أسموه « المحفل النورانى » .. وقد أشتقت كلمة النورانى من الميثولوجيا اليهودية وبصوره أدق من كلمة « لوسيفر » وهى إسم الشيطان فى الأناجيل اللاتينية ومعناها الحرفى (حامل النور)

تعنى كلمة النورانى إذن الشخص الملهم الذى يتلقى النور .. أو بتعبير آخر الشخص ذو الإلهام غير العادى .. ومهمة المجمع النورانى كما نرى هى تنفيذ مشيئة كبار أحبار الكنيس اليهودى هذه المشيئة التى يزعمون أنها وحى نورانى ، وقد حدد عدد أعضائه بثلاثة عشر عضواً يعتبرهم الكنيس اليهودى الهيئة التنفيذية للمجلس الأعلى : مجلس الثلاثة والثلاثين أما هذا المجلس الأخير فإن أستاذاً كثيفة من الغموض والصمت تُخيم

عليه .

لم يكن تحديد عدد أعضاء المجمع اليهودى بثلاثة عشر عضواً عبثاً دون طائل ، بل كان أمراً ذا دلالة عميقة .. فلقد أختار المجمع هذا العدد حتى يُذكر أعضاءه دوماً وأبداً أن هدفهم تدمير الديانة المسيحية .. الديانة التى أتى بها السيد المسيح والحواريون الأثنا عشر . وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عن الأول ، وهو أن عدد أسباط بنى إسرائيل ثلاثة عشر .. ربما كان الهدف تمثيل كل الأسباط فى المحفل النوراني .

تبني النورانيون طقوساً خاصة تضمن لهم الحفاظ على سريتهم وتقضى على احتمال أى خيانة من نوع خيانة يهوذا للسيد المسيح وتكفل هذه الطقوس تعهد كل من يضمه النورانيون إلى صفوفهم بالخضوع المطلق لاشمل لرئيس مجلس الثلاثة والثلاثين والاعتراف بمشيئته العليا التى لا تفوقها أى مشيئة أخرى على الأرض كائنة ما كانت أليس صاحب هذه المشيئة هو ربهم الأعلى ، وأليس خضوعهم الشامل المطلق له هى العبودية له . ؟؟

فمن يكون رئيس هذا المجلس صاحب المشيئة العليا سوى الدجال أو الشيطان البشرى الأول ، حلقة الوصل بين هذا المجلس وبين الطاغوت أى بين القيادة الإبلسية الدجالية الموحدة أما الدليل على أن النورانيين الثلاثة والثلاثين يتلقون من الطاغوت أى من خلال الذات الموحدة بين الدجال وإبليس فهو ما جاء فى هذا النص عن (المحفل النوراني) والاسم المشتق من كلمة (لوسيفر) وهى اسم الشيطان فى الأناجيل اللاتينية ومعناها الحرفى (حامل النور) وتعنى هذه العبارة أن الدجال هو الحامل البشرى لما يتلقاه من الطاغوت أى الذات الموحدة منهما وليس كما يفهم البعض ما يتلقاه الدجال من إبليس ، ولعل الترجمة الدقيقة لاسم لوسيفر هى الطاغوت وليس الشيطان « لأنه من المعلوم أن ترجمة لفظ الشيطان هى غير هذا » ، ولما كان العمل الدجالى قائم على الكذب فقد أطلقوا على إنتاج الطاغوت الظلامى نوراً كذباً وبهتاناً ، وإلا فماذا يطلقون على ثمرة هذا التوحد الشيطاني الخبيث ؟

هذا المجلس الذى صار أعضاؤه بطانة من كفرة بنى إسرائيل للطاغوت ، كما أخبرنا بهذا رب العالمين سبحانه ، كان له - أى لهذا المجلس - نظير يقوم بوظيفته فى كل عصر منذ نوح ، إلى عهد الإفساد الأخير فى تاريخ البشرية من كفرة بنى إسرائيل بنص القرآن الكريم فهم الذين علا بهم الطاغوت بالافساد فى الأرض علواً كبيراً ، هذا هو الطاغوت وهؤلاء هم عبدته وخدامه كنيس الشيطان .

وإذا تتبعنا تاريخ البشرية من خلال تاريخ الأنبياء لوجدنا فى عصر كل نبي مجلساً مثل هذا المجلس المعاصر هو بطانة وعباد وخدام الطاغوت أو هو حسب تسمية المسيح بن مريم عليهما السلام له كنيس الشيطان وهذا ما ستقرأ الدليل عليه فى الموضع الخامس الذى ورد فيه ذكر الطاغوت .

الموضع الخامس :

قال تعالى ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ النحل / ٣٦ ، وهذه الآية الكريمة هى الأصل القرآنى لكل الأحاديث التى أخبر فيها النبي ﷺ أنه ما من نبي إلا وقد أُنذر قومه الدجال ، فإذا علمنا أنه ما من نبي إلا وقد حذر قومه أيضاً من الشيطان ، فإن حصيلة هذا التحذير للإثنين يكون تحذيراً من الطاغوت الذى هو الحالة الجامعة بين الدجال وإبليس الجنى ، ومن ثم أخبر تعالى فى هذه الآية أنه ما من أمة إلا قد بعث فيها رسولا يأمرهم أن يعبدوا الله وحده ويجتنبوا عبادة الطاغوت فافترقوا فريقين : الأول وهم الذين آمنوا بالله وكفروا بالطاغوت وهم الذين هداهم الله عز وجل ، والفريق الآخر الذين حقت عليهم الضلالة فكذبوا فكان مصيرهم الدمار والاستئصال ومن ثم أمر رب العالمين فى آخر الآية الناس بالسير فى الأرض لدراسة آثار الغابرين ولتعلموا كيف كانت عاقبتهم بعذاب الاستئصال ، فأتباع الطاغوت وخدامه وسدنته المتعاملون معه مباشرة ، هم والذين يطيعونهم دائماً مصيرهم الاستئصال من الأرض فى الحياة الدنيا والخلود فى جهنم فى الآخرة .

والمستنبط من هذه الآية الكريمة ما يلي : -

١ - ثبت أن كل رسول حذر أمته الطاغوت وهذا .. يتضمن التحذير من الشيطان الجنى والشيطان الإنسى الذى هو الدجال لأن التحذير منهما متحدين يتضمن التحذير من كل واحد منهما على حدة .

٢ - تثبت هذه الآية أيضاً أن الطاغوت معاصرة لكل رسول منذ نوح إلى خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم جميعاً ، ومن ثم يكون هذا دليلاً على أن الدجال معاصر لكل رسول منذ نوح ، ومن ثم تصبح هذه الآية دليلاً جديداً على أن الدجال الذى حذر كل نبي قومه منه هو قابيل .

٣ - تثبت هذه الآية أيضاً أن أثر الطاغوت مستمر عبر العصور الإنسانية كلها منذ البدء إلى آخر الزمان لأن كل رسول قد أمر أمته اجتناب الطاغوت ، وهذا يفيد أثره المستمر خلال عصور الأنبياء جميعاً وهذه العصور ليست سوى عصور التاريخ البشرى كله ، وحيث لا يعقل عاقل أن يأمر الرسل أممهم بإجتناى خطر غير موجود دل هذا على وجود الطاغوت منذ بدء الدنيا إلى نهايتها . وأكد (هذا ما هداانا الله تعالى إليه من تفسير للطاغوت) بالنفس تفسير الطاغوت بالنفس الجنية الإبلسية الممتزجة بالنفس البشرية الدجالية وإثبات هذا الفرق بين دلالة اسم الطاغوت ودلالة اسم الشيطان من حيث أن هذا الأخير يصدق على النفس الخبيثة لكل منهما حالة كونها منفصلة عن الأخرى ، وأن الطاغوت اسم يصدق على حالة امتزاج هاتين الخبيثتين فى ذات واحدة تضاعف فيها وتزواج الشر والخبث والافساد والإجرام فطغى فاستحقت إسم المبالغة الطاغوت .

٤ - يؤكد هذا التفسير للطاغوت أيضاً أمران :

أنها تملأ الدنيا بشروورها فى شكل عقائد الحادية وشركية ووثنية متمثلة فى أصنام وأوثان ومذاهب وفلسفات وأفكار ودعوات حاكمة هدامة لكل ما هو خير وحق وسلام فى

الأرض . و متمثلة أيضاً فى شهوات وأطماع وأهواء مباحة و متمثلة فى كل رذيلة من السلوك وفى جميع أشكال وأنواع وكيفيات الفساد و متمثلة بعد هذا كله فى منظمات سرية وعلنية ومؤسسات علمية ودينية وعسكرية وسياسية وإقتصادية ومالية وإعلامية وإجتماعية وقضائية تنشر الكفر والفساد وترسخه وتحميه بآليات قانونية ترسخه حتى تجعل الظلام نوراً والنور ظلاماً وتجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً والشر خيراً والخير شراً والباطل حقاً والحق باطلاً والفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة والمنكر معروفاً والمعروف منكراً . وهذا هو إخراج الناس من النور إلى الظلمات الذى هو الغاية الاستراتيجية للطاغوت فى كل تاريخ الإنسانية

هذه الأحوال الطاغوتية تشكل منهج حياة بشرية كامل متكامل من الظلام والشر والمنكر فى جميع المناحي المعيشية الجاهلية التى هى من صنع الطاغوت . والمسلم الموحد عليه لكى يتم نوره ويكمل إيمانه أن يجتنب الطاغوت فى كل منحي من مناحي حياته ويتعد عنها فى كل جانب من جوانب المعيشة بتقوى الله تعالى وتوخي ما يرضيه سبحانه بإتباع أوامره وإجتنب نواهيه لأن أوامر الله عز وجل هى بالضبط نواهي الطاغوت ونواهي الطاغوت هى أوامر الله عز وجل ، ومن ثم فإجتنب الطاغوت يعنى إجتنب شريعته ومنهاج حياته ، وإجتنب عبادته يعنى إجتنب طاعته فى معصية الله .

فالقسم الأول الرئيسى من التوحيد القلبي الإعتقادي هو نفى الألوهية عن غير الله عز وجل ، وهو هو الكفر بالطاغوت ، أما القسم الرئيسى الثانى من التوحيد فهو إثبات الألوهية لله تعالى وحده وهو هو الإيمان به رباً وإلهاً واحداً ، وهذا الثانى لا يتم إلا بعد تمام الأول وهو الكفر بالطاغوت لذلك قال ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ... ﴾ ولم يقل « فمن يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت » فلأن هذا فى مجال الاعتقاد القلبي وجب طرد الطاغوت من قلب الموحد وتنظيف وتطهير لبه وفؤاده من آثاره النجسة حتى يتم له الإيمان بالله وحده قلبياً أيضاً .

أما قوله تعالى ﴿ .. أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ فهو يخص الأمر بالتوحيد

العملى السلوكى والقسم الأول منه هو عبادة الله وحده ، أما القسم الثانى منه فهو المتمثل فى إجتناى عبادة الطاغوت ، والأمر باجتناى الطاغوت غير الأمر بالكفر بالطاغوت ، وهو دليل على أنها تقعد للعبد طريق الله المستقيم ، ولا يتم للعبد التوحيد العملى السلوكى إلا باجتناى الطريق الذى تقعد له فيه بالميل عنه إلى الطريق الذى لا وجود لها فيه ، وليس ثمّ طريق ليس للطاغوت وجود فيه إلا الصراط المستقيم ، ومن ثم يلزم لتمام إسلام العبد أن يكفر بها ويؤمن بالله إعتقاداً أولاً ، ثم يعبد الله تعالى وحده ، ولا سبيل إلى هذا إلا بالميل عن طريقها ثانياً . ومن ثم تقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله وحده فى آية البقرة ، وتقدم ذكر عبادة الله تعالى على تجنّب عبادة الطاغوت فى آية النمل وهذا ما كان من سيدنا إبراهيم ﷺ إذ حَنَفَ عنها جميعاً أى مال عن طريقها إلى صراط الله المستقيم بعد أن نظر فى جميع الطرق والأديان والعبادات والعقائد الموجودة فى الأرض فى عصره فوجد الطاغوت تقعد فيها جميعاً حاجبة لصراط الله المستقيم فقال مائلاً عنها ﴿ إني وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ « الأنعام / ٧٩ »

فالحنيفية هى الميل ومعناها فى هذه الآية وغيرها من الآيات التى وردت فيها هو الميل عن الطاغوت وإجتناى طرقها إلى طريق الله المستقيم ولم يكن هذا من سيدنا وأبينا إبراهيم ﷺ فقط ، بل كان هذا منهج كل نبي ورسول بدءاً من نوح إلى خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ ، إذ ما بعث الله من نبي أو رسول إلا وتكون الطاغوت قد عم شرها الأرض حتى يمكن القول أنه لم يُبعث رسول من الرسل فى أى عصر من عصور البشرية إلا وقد أفسدت الطاغوت فى الحياة الإنسانية كل ما يحمل الخير من دين أو ملة أو عقيدة أو خلق أو نظام أو سلوك أو عادة أو عرف ومن ثم يلزم الكفر بهذا كله أولاً لذا قال تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ « محمد / ١٩ » وقال تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ﴾ « البقرة / ٢٥٦ » ، وقال تعالى ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ « الكافرون / ١ ، ٢ » فنفى الألوهية عن كل ما سوى

الله نفى لها عن الطاغوت والكفر بالطاغوت سبق الإيمان بالله تعالى والإعلان عن ترك عبادة ما يعبد الكافرون هو تبرؤ وإعلان عن رفض عبادة الطاغوت فلا يصح توحيد العبد ولا يكمل إسلامه إلا باجتنب الطاغوت لقوله تعالى ﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ... ﴾ الذى يدل على إن كل إنسان لابد أن يتلى بالطاغوت التى تقعد له صراط الله المستقيم كما توعد إبليس الناس فيما قصه الله تعالى عنه فى القرآن بقوله سبحانه تعالى ﴿ قال فيما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال أخرج منها مذبذباً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ الأعراف / ١١ - ١٨ ، والشاهد الذى نريده فى هذا السياق هو قول إبليس لربه عز وجل متوعداً الناس ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ أى سيكون فى طريقهم كلما توجهوا إلى الله بالطاعة ليحرفهم عنها إلى المعصية وهذا هو تفسير الأمر باجتنب الطاغوت التى هى دائماً العقبة أمام العبد فى الطريق إلى الله عز وجل . ومن ثم لا يتحقق التوحيد فى قلب المسلم إلا إذا كفر بالطاغوت إعتقاداً وتجنبها فى طريقه إلى الله عز وجل سلوكاً وفعلاً وهذا هو موضوع الآية السادسة التى ورد فيها ذكر الطاغوت .

الموضع السادس :

قال تعالى ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصاً له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ، ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنبأوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين إتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها

الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴿ الزمر / ١١ - ٢٠ ﴾

فانظر إلى أمر الله عز وجل لرسوله ﷺ ومن ثم لسائر المؤمنين بعبادة الله تعالى مخلصين له الدين ، أى مفردين إياه بالخضوع والطاعة ، وأمره للرسول ﷺ أن يكون أول المسلمين ، فالإسلام لله أفراداً بالخضوع والطاعة ، فإن لم يكن هذا ميسوراً لعامة الناس بالكلية بإعتبار أن كل بنى آدم خطاء ، فإن أقل ما يوجب الإسلام على العبد لكى يكون مسلماً أن يقر بوجوب أفراد الله بالطاعة وبوجوب الكفر بالطاغوت وبوجوب معصيته وتجنب عبادته أى رفض طاعته والإمتناع عن السير فى سبيله الضالة وهو أمر ميسور لكل إنسان ، لأن الاعتقاد بوجوب معصية الطاغوت ووجوب طاعة الله أمر قلبى فى وسع كل نفس ومن ثم أمر الله نبيه أن يخبر الناس جميعاً بأنه يخاف عذاب يوم عظيم أى يخاف عذابه إن هو عصى ربه عز وجل ، ويخبرهم بأنه لم ولن يعبد إلا الله مخلصاً له الخضوع والطاعة فلا يطيع غيره فى معصيته سبحانه وتعالى ، أما أنتم أيها الكافرون : فاعبدوا ما شئتم من دون الله عز وجل لأن الله تعالى قد خيركم فى هذه الحياة الدنيا لإبتلائكم ﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ فما عبد مشرك مع الله عز وجل شريكاً - فى واقع الحال إلا الطاغوت الذى هو نفس خبيثة مزيج من الشيطان الإبليسى ومن الشيطان الدجالى .

أما المعبود المادى أو المعنوى المعلن الظاهرى شمساً كان أم قمرأ ، ونجماً كان أم شجراً ونهراً كان أم صنماً وعجلاً كان أم بقرأ وكاهناً كان أم ساحراً وأميراً كان أم ملكاً وجناً كان أم بشراً فهذا وذاك كله ليس سوى القناع الذى تخفى الطاغوت وجهها خلفه ، وهؤلاء المشركون هم حزب الشيطان وهم الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة لأتباعهم سبل الطاغوت أما حزب الله فهم الذين ﴿ اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله ﴾ فهم الفائزون يوم القيامة بدار النعيم والسلام ، فالصلة بين قوله تعالى ﴿ اعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ وبين قوله تعالى بعد ذلك ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ شرط أول للمؤمنين الفائزين بالجنة ، هذه الصلة واضحة جلية إذ أن كل

ما يعبد المشركون من معبودات زائفة باطلة ما هي إلا أقنعة للطاغوت ، فكأن المعنى :
﴿ اعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ فأى معبود باطل عبدتم هو عبادة للطاغوت الذى آمركم
بالكفر به .

والهاء تعود على الطاغوت إذ الطاغوت فى هذه الآية اسم مؤنث وليس مذكراً وهو ما
يؤكد تفسيري للطاغوت بأنه النفس الجنية الإبلية حالة امتزاجها وتوحيدها وتلبسها
بالنفس البشرية الدجالية ، وكلاهما ذات خبيثة نجسة مستعلية عن عبادة الله عز وجل
مشرأة بعنفها نحو التأله ، وحيث أن النفس أو الذات لفظ مؤنث ، فمن ثم قال تعالى ﴿
أن يعبدوها ﴾ ولم يقل ﴿ أن يعبدوه ﴾ فلو كان الطاغوت هو إبليس الشيطان الجنى وحده
بدلالة المطابقة لقال ﴿ أن يعبدوه ﴾ ولو كان يدل بدلالة المطابقة على الدجال الشيطان
الأنسى وحده لقال أيضاً ﴿ أن يعبدوه ﴾ لأن لفظ الشيطان مذكر ولفظ الدجال مذكر
ومن ثم فذكر الطاغوت بالتأنيث دليل لغوى جديد على أن الطاغوت هو الذات الجامعة
بينهما وهى الآثار الناجمة عن هذه القيادة المتوحدة والتخطيط المشترك للغاية الإفسادية
الواحدة ومن ثم جاء الطاغوت مؤنثاً باعتبار المقدر المحذوف وهو نفس أو ذات الطاغوت .

وهذا لا يتعارض مع ورود لفظ الطاغوت مذكراً فى موضع سابق ، إذ يكون بمعنى
الحكم والنظام والقانون والأمر ، كما فى قوله ﴿ .. يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت
وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ النساء / ٦٠ ، فقال ﴿ أن يكفروا به ﴾ ولم يقل ﴿ أن
يكفروا بها ﴾ .

ومن ثم يكون لفظ الطاغوت قد ورد فى القرآن بصيغة المذكر وبصيغة المؤنث ،
وكذلك ورد بصيغة المفرد فى قوله تعالى ﴿ أن يكفروا به .. ﴾ وورد بصيغة الجمع فى
قوله تعالى ﴿ .. والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات
.. ﴾ البقرة / ٢٥٧ ، فقوله ﴿ يخرجونهم ﴾ يدل على أن الطاغوت جمع ، وليس
لهذا من تفسير إلا أنه يكون مفرداً حالة توحيده ، ويكون جمعاً حالة تفرقه حسب
تفسيري للطاغوت إذ يكونوا ثلاثة هذا التفسير الذى بدونه لا نجد حلاً لهذا اللغز

المطلسم باسم الطاغوت الذى ورد فى الكتاب العزيز والذكر الحكيم للدلالة على مصدر الشر والظلمات فى الأرض ، هذا الذى من خصائصه أنه جمع ومفرد وأنه مذكر ومؤنث ، وليس هذا لكائن إلا للطاغوت .

الفصل الرابع عشر

الجسبت وصلته بالطاغوت

الجبب ثالث الالوآ النجبس :

علمنا أن شيطان الجن الأول إبليس لعنه الله هو الجانب الباطنى الخفى الخبيث للطاغوت فى عالم الإنس ، وأن شيطان الإنس الأول قاييل لعنه الله هو الجانب الظاهر المرئى للطاغوت فى عالم الإنس ، ومن ثم فإن للطاغوت فى كل عصر بطانة هى خلاصة شر البرية ، وأن بطانة الفساد والإفساد هذه إتخذها الطاغوت فى العصور الأخيرة من بنى إسرائيل .

وحيث قد علمنا أن الشر والإفساد متبادل بين شيطان الجن الأول وشيطان الإنس الأول مجتمعين من خلال هذه الذات المستكبرة المتألهة النجسة التى هى ذات الطاغوت ، فإن الشر الوارد من شيطان الإنس إلى عالم الجن عبر الطاغوت ربما يكون أعظم من الشر والإفساد الواردين من شيطان الجن إبليس إلى عالم الإنس عبر الطاغوت .

كيف وإبليس هو أول كافر فى الوجود ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول للتذكرة ما سبق قوله من أن إبليس هو الشيطان الجنى معرفاً بالألف واللام والدجال أو قاييل هو الشيطان الإنسى معرفاً بالألف واللام . وقد وصف الله عز وجل كيد الشيطان بأنه ضعيف بقوله ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ النساء / ٧٦ ، فلم يقل سبحانه إن كيد الطاغوت كان ضعيفاً لأنه إجتماع الشيطانين . أما كيد الشيطان الواحد منهما منفصلاً عن الآخر فهو ضعيف ، وهذا يفسر لنا كيف أن إبليس وحده هو وجميع جنوده من شياطين الجن لا يمكنهم أن يشنوا حرباً بجيش على فئة قليلة من المؤمنين فيقتلون منهم ، وإنما يكون الاستفزاز والجلب على المؤمنين بالجيوش الجرارة مشاة وركباناً من خلال صوت إبليس البشرى فى عالم الانس ألا وهو المسيح الدجال الشيطان الانسى .

كذلك للشيطان الانسى هذا تأثير إفسادى خطير فى عالم الجن من خلال الطاغوت لأنه نبع الإضلال العقدى الفكرى ، وذلك لأن عالم الجن ، كما دلت على هذا

النصوص والآثار يأخذ العقيدة والدين والفكر من عالم الانس وليس العكس ، فكما أن الرسل المبعوثين للجن هم رسل الإنس ، وليس العكس ، فإن فلاسفة الضلالة ومنظري الكفر والشركيات هم أيضاً من عالم الإنس ، فالجن تابع للإنس في الهدى أو الضلال ولذلك أثبت القرآن الكريم على لسان الجن ، أن منهم اليهود الذين يعرفون التوراة وموسى ومنهم الذين أسلموا لما سمعوا القرآن الكريم حسب ما جاء في سورة الجن وكفروا بديانته التثليث النصرانية بقوله تعالى ﴿ قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشـد فأما به ولن نشرك بربنا أحداً وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً ﴾ الجن / ١ - ٥ ، فتدبر قولهم لما سمعوا القرآن الكريم مسلمين بأن الله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، لتعلم أنهم كانوا نصارى أو أن فيهم نصارى ثم تدبر قولهم ﴿ وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً ﴾ الجن / ١ ، بتقديم الإنس على الجن في القول على الله الكذب ليتأكد لنا أن الجن يأخذون عقائدهم من الإنس الذين يضعون هذه العقائد لهم أولاً ، ثم تتبعهم الجن فيما يدينون به من أديان الضلال ، كما أن الهدى يأتي للإنس أولاً عن طريق الرسل فيتبعهم مهتدو الجن أيضاً ، والدليل على أن في الجن يهودا واسلم منهم من أسلم قوله تعالى ﴿ واذ صرفنا إليك نفرأ من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾ الأحقاف / ٢٩ - ٣٠ ، فالإنس هم موردو عقائد الهدى إلى الجن ، وهم أيضاً بالتالى موردو عقائد الضلال ، وهذا من مقتضيات ولوازم تكريم الله تعالى الإنس على الجن بالخلافة ، ولأنه من الثابت تاريخياً أن عقيدة التثليث التى تنسب لله عز وجل صاحبة والولد هى من نتاج التاريخ أو الفكر الإنسانى ، ومن ثم فوجودها فى عالم الجن مصدرها عالم الإنس من خلال الطاغوت .

أما ما يصدره عالم الجن إلى عالم الإنس عبر الطاغوت فهو يدور حول محور إختفاء الجن عن أعين الإنس فيضلونهم بالتأثير على مخيلتهم ، إذ يتمكن الجن من التغفل في الأجهزة السمعية والبصرية والعصبية للإنس في المنام بأضغاث الأحلام وفي اليقظة بالسحر حتى استطاعوا أن يجعلوا آلاف الناس يخيل إليهم من سحرهم أن الحبال والعصى تسعى كأنها حيات وثعابين ، ومن خلال الانتقال السريع للجن بخلاف الإنس قبل صناعة وسائل النقل المعاصرة خدع الطواغيت الإنس بالجن ، بأن أوهموهم بخوارق عادات جعلوها من قبيل معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، فأعمال الكهان والسحرة والمنجمين كلها تتم من خلال الوجه الإنسى للطاغوت الذى عن طريقه تم نشر السحر والكهانة وتعليم الكثير من كفر الإنس وسائل وأساليب وأدوات الاتصال بالجن والشياطين وإستخدامهم والاستعانة بهم والاستفادة بهم ، وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً « الجن / » .

هذا كله هو ما يصدره عالم الجن والشياطين إلى عالم الإنس من خلال الوجه الإنسى للطاغوت ، فماذا يكون اسم هذا الوجه منفرداً ؟ إنه الجبت ، فالجبت هو ثالث الثلاثة الأشرار : الشيطان إذا ما أطلق ينصرف لإبليس الجنى ، ثم الجبت وهو اسم للشيطان الإنسى قايل ولكل ما نشره وعلمه وعممه من وسائل السحر والكهانة والتنجيم الطاغوت فهو الذات الجامعة بين إبليس والجبت .

وهذا الثالث غالباً هو مصدر عقائد التليث فى الأرض متحدثاً عن نفسه بإعتباره إلهاً ذا ثلاثة أحوال الأول : الحال الإبليسية الجنية الخفية ، والثانى : الحال الجبتية البشرية الظاهرة والناج عن تدرع الذات الشيطانية الخفية الباطنية بجسد بشرى ظاهر مرئى جبتى يتولد من إجتماعهما معاً .

الحال الثالث وهو الطاغوت التى هى النبع الأول للإلحاد وهى الطاغوت الأول أو الرئيس لكل الطواغيت والمصدر الأساسى لوجودها فى الأرض بأمر الله وقدره سبحانه وتعالى .

وليس هذا مجرد استنباط شخصي بل تدعمه الآثار الواردة عن المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ النساء/ ٥١ ، ما رواه السيوطي في الدر المنثور (عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : الجبت الساحر والطاغوت الشيطان) قلت : نعم الطاغوت الشيطان الانسى والجنى متحدين ، أما الجبت فهو همزة الوصل بين شياطين الجن وشياطين الإنس وتسخيرهما لبعضهم البعض بالسحر .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (عن ابن عباس قال الجبت : الأصنام والطاغوت الذي يكون بين يدي الأصنام) قلت : لأن لكل صنم شيطان جنى يتعامل بالسحر مع شيطان إنسى هو السادن ، وكلاهما معاً طاغوت وأخرج ابن حميد (عن عكرمة قال : الجبت الشيطان بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن) لأن الكاهن يتعامل مع شيطان جنى يمدّه بالغيبات وأحكام الطاغوت ، فهو وشيطانه طاغوت ، وعمله من الجبت . وأخرج ابن جرير (عن سعيد بن جبير قال : الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن) .

قلت السحر عنصر رئيسي في مفهوم الجبت ، ولكن ثمّ فرق بين السحر والجبت ، إذ كل جبت سحر ، وليس كل سحر جبت ، كما سئرى هذا بعد .

وأخرج (عن قتادة قال كنا نحدث أن الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن) قلت : أن السحر عمل الجن في عالم البشر ، ورأس هذا العمل ومنبعه الشيطان الجنى من خلال الشيطان الانسى وهما جبت من هذا الوجه ، وأخرج عبد الرازق وغيره عن قبيصة بن مخارق أنه سمع النبي ﷺ يقول : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت (أى للجبت أعمال مضلة أخرى في عالم البشر كلها تقوم على محور واحد وهو استخدام الجن بالسحر ووسائل غيبية أخرى للإفساد في حياة الناس ، هذا ما قاله المفسرون عن الجبت والطاغوت مختلفين حولهما في أمور ومتفقين في أمور . لكن إذا علمنا أنه ليس من لفظ قرآني يحل محل الآخر ، فلا بد من أن يكون الجبت غير السحر وغير الكهانة وغير

الطاغوت وغير الشيطان وغير إبليس .

فأما الذين فسروا الجبت بالسحر والكهانة والشيطان فقد قربوا المعنى ولم يحدده التحديد العلمى الدقيق الذى يتضمن بيان الفروق بينه وبين الشيطان من جهة وبين الطاغوت من جهة ثانية وبين الدجال من جهة ثالثة .

يدل على هذا أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت ، وليست كلها أو إحداها الجبت كما يدل على هذا الحديث الشريف ، ومن ثم يصح القول أن للجبت أعمال فى حياة الناس أو مناهج تضليل سلوكية عملية منها هذه الثلاثة وهى من أعمال الكهان وبناء على ما سبق نقول إن أعمال الكهان والسحرة والعرافين والمنجمين والسدنة وكل ما هو طاغوتى من الجبت .. ومن ثم يلزمنا بيان الفرق بين الجبت والطاغوت .

ولبيان هذا الفرق وبناء على ما سبق نقول : إن اسم إبليس يدل على المخلوق الجنى الذى إستحق أول لعنة من الثقلين فى الوجود ، والشيطان هو الاسم الوصفى الذى إستحقه هذا المخلوق ، بعد أن كفر وأصر على الكفر وتحول إلى أول داعى جنى للكفر والضلالة فى عالم الابتلاء ، ومن ثم صار إبليس الجنى حلقة الوصل بين الطاغوت وشياطين الجن .

وقايل هو أول مخلوق آدمى كفر مع الإصرار على الكفر فاستحق اللعنة الأبدية فكان الإبليس الأول فى الوجود البشرى وصار هو الشيطان الانسى وقرينه هو الشيطان الجنى إبليس ، ومن ثم صار قاييل اللعين حلقة الوصل بين الطاغوت وعالم شياطين الانس الذين هم جنوده وأتباعه ، فعلمهم السحر ونشره بينهم إذ ليس السحر إلا استخدام الجن لتحقيق أهداف خبيثة فى عالم الانس ، بناء على تشريعات طاغوتية نافذة فى عالم الأبالسة والشياطين إنساً وجناً .

فقايل اللعين الخاسر هو الشيطان الانسى وهذا هو الاسم الوصفى له أما اسمه العلمى الذى يعرف به بين الناس فهو مختلف من عصر إلى عصر ومن عهد نبى إلى

عهد نبي آخر واسمه الوصفى فى إنجيل سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام المسيح الكاذب وأطلق عليه خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ اسم « المسيح الدجال » لكن اسمه الدائم الذى حمله منذ القدم وأطلقه الله تعالى عليه فى القرآن الكريم هو الجبت .. لكن الجبت ليس علماً عليه فقط ، بل ايضا على أسلوب عمله ومنهج حياته الذى يمزج فيه بين استخدام العلم والسحر وأعمال الطاغوت .

فالجبت اسم للنصف البشرى للطاغوت تميزاً له عن إبليس النصف الجنى منه ، لأن فى هذا الاسم بياناً لأسلوبه ومنهجه فى الاضلال الذى يعتمد على استخدام خوارق السنن الطبيعية والحياتية والانسانية ليناهض بها معجزات الرسل وكرامات الانبياء والأولياء ليلبس الحق بالباطل إضللاً للناس حتى يخرجهم من النور إلى الظلمات مستغلاً فى هذا ميزة الاختفاء عند الجن والظهور فى صور مختلفة عن صورته التى خلقه الله تعالى عليها لاجداث أفعال شبيهة بمعجزات الانبياء فى الظاهر دون الحقيقة ، وهذا هو السحر والكهانة والعيافة والتنجيم والطيرة التى يتلقاها من الطاغوت ويصدرها إلى عالم الانس .

هذا التخطيط الطاغوتى أنتج آلية شيطانية جنية إنسية من تعاون وتآزر صفار الطواغيت للعمل بحسب قوانين وأنظمة وضعها الطاغوت لاضلال البشر من خلال ما يظهره هؤلاء الطواغيت باعتباره معجزات وكرامات يلبسون بها على الناس باعتبارها أحداث وظواهر وآثار ليس لها علل طبيعية أو أسباب ظاهرة . فيزعمون للناس أنهم أنبياء أو أولياء ومبعوثون من عند الله تعالى ويلبسون عليهم دينهم فيضلونهم ويوقعونهم فى الشرك

هذه الأعمال يقوم بتنفيذها هؤلاء الطواغيت الصفار تنفيذ الأمر الطاغوت الرئيسى وبقيادة تنفيذية للشيطان الانسى أى الدجال الذى حين يزاول هذا العمل بالذات وفق أنظمتها الطاغوتية يكون اسمه الجبت ، كما أن هذه الأعمال وما يناظرها هى من الجبت فالجبت ابن الطاغوت ذاتا وأفعالا . لأن الطاغوت هو إبليس والجبت متحدين والثالث النجس هذا مكون من اثنين ، كل واحد منهما منفرداً مستقلاً عن الآخر : إبليس والجبت وثالث الثالث هو الطاغوت المتولد من اتحادهما فى ذات واحدة ، هى أكثر من

كونها مجموع الذاتين الشيطانيتين ، تماماً مثل تفاعل مادة الكلور ومادة الهيدروجين إذ ينتج عنهما مادة حامض الهيدروكلوريك ، وهو شئ جديد تماماً فى خصائصه ومختلف عن مجموع خصائص المادتين وزائد عليهما .

ومن ثم يجوز على سبيل الكناية والتشبيه القول بأن إبليس والجبت يلدا الطاغوت حين يتوحدا ، فهو مولود لهما معا باعتباره ذاتا مختلفة عن ذات كل منهما ، وإلا لما استحق أن يطلق عليه رب العالمين سبحانه اسماً ثالثاً مغايراً لاسم كل منهما ، فإذا ما انتهت حالة التوحد بينهما ، ولدهما الطاغوت مرة أخرى ذاتين مستقلتين بالإنفلاق مختفيا هو من الوجود كما هو حال الخلية الواحدة التى تتوالد بالإنفلاق حين تصير خليتين فتتعدم على أثر هذه الصيرورة الخلية الأصلية وتختفى من الوجود ، وهكذا كرة بعد كرة كلما توحد إبليس والجبت صارا الذات الطاغوتية الكبرى ، ثم بالإنفلاق يتولد منها الإبليسان : الجنى والإنسى أى إبليس والجبت .

ولكن عند تفرقهما يعود كل منهما بما تولد عن توحدهما الطاغوتى بمخططات الشر التى يحملها إبليس إلى بطانته من الجن ، ويحملها الجبت الدجال إلى بطانته من الانس ، ومن ثم يمكن القول تحديداً بأن إبليس هو خليفة الطاغوت فى الجن ورسوله اليهم الجبت هو خليفة الطاغوت فى الانس ورسوله اليهم .

ولذا نقول أن الله تعالى خلق الانسان خليفة فمن آمن بالله وحده وعبدته وحده واجتهد فى طاعته وحده ، وسلم بوجوب إقامة شرعه وحده ، فقد جعل نفسه خليفة لله عز وجل ولا يتحقق له هذا إلا بالكفر بالطاغوت .

أما من كفر بالله وآمن بالطاغوت وأطاعه وأقام مخططاته الافسادية ، وآمن بوجوب إقامتها ، وجاهد فى سبيل إقامتها بهدم دين الله وشرعه ومحاربه فقد جعل نفسه خليفة للجبت الذى هو خليفة للطاغوت ، ومن ثم يكون خليفة للطاغوت عابداً له .

ولما كان عمل الشيطان الانسى أى الدجال تنفيذاً لمخططات الطاغوت قائماً على

التقدم العلمى وعلى استخدام الأمور والأحوال والأسباب الخفية الجنية معا صار اسمه الجبت وصار عمله ومشتقات عمله كلها سحرا وكهانة وغير ذلك من الجبت .

فإبليس يعود بعد انقسام الطاغوت إلى عالمه الجنى بعقائد وأديان وملل وأفكار ومذاهب الشر الطاغوتية ، والجبت يعود إلى عالمه الانسى بمخططات وبرتوكولات وتشريعات وأنظمة وعادات الافساد والشر الطاغوتية ، لأن هذه العقائد والتشريعات الطاغوتية قد تولدت من تفاعل الخبث الإبليسى بالخبث الجبتى . فصار كل شيطان فى ذاته حين عودته إلى عالمه بمخططات شريرة جديدة يواجه بهذا المرحلة الزمنية فى صراعهم ضد حزب الله بعد كل حالة توحيد طاغوتية ، أقول يكون كل شيطان فى ذاته بما يحمله من تعليمات طاغوتية جديدة بمثابة الابن للطاغوت فهو ثالث : أب وابنان وولاده ، انه الثالث النجس . وما فى الكون من ثالث معبود إلا هذا الثالث النجس .

ثم إذا عادا وامتزجا وتوحدا فى ذات شريرة واحدة طاغوتية فى الاستكبار والشر صار الطاغوت مولوداً لهذا التوحيد باعتباره فى هذه الحالة ذاتاً ثالثة متولدة عنهما معا .

فالطاغوت باعتباره ذاتاً طاغية فى الشر متولدة عن توحيد الشيطانين ، والطاغوت باعتباره عقائد وملل وأنظمة شريرة غايتها العليا تعبيد الانس والجن له هو الأب الذى يصدر عنه الذات الابليسية والذات الجنية وكلاهما حامل لهذه العقائد اللاحادية والأنظمة الإفسادية إلى بنى جنسه .

لذلك اختلط الامر عند المفسرين ، ففسروا الجبت بالشيطان ، والشيطان بالجبت والطاغوت بالشيطان ، والشيطان بالطاغوت ، وفسروا السحر بالجبت ، والجبت بالسحر وهكذا غاب عن تفسيرهم بيان الفروق الدقيقة بين هذه الأسماء والفروق بين مدلول كل منهما وما يصدق على كل واحد منها والصلات القائمة بين كل واحد منها وبين الأخريات ، وما هذا الخلط إلا لعدم التمييز بين حالة التوحيد وحالة الانفصام الطاغوتيتين ولعدم التمييز من ناحية أخرى بين الشيطان الجنى إبليس والشيطان الانسى قابيل أو الدجال ولعدم التمييز من ناحية ثالثة بين عمل هذا الأخير من خلال السنن والقوانين

الطبيعية أى العمل بالعلم والتكنولوجيا وبين عمله من خلال قوى الجن الخفية أى العمل بالسحر والكهانة والتنجيم وغير ذلك : لأنه لا يعمل لتحقيق المخططات الطاغوتية الافسادية بالعلم والتقنيات والأسباب الطبيعية والصناعية فقط ، بل يضيف إليها ويخلط معها ويمزج بها العمل بالقوى الجنية الخفية ملبساً هذا بذاك إمعاناً فى إضلال البشر لاجراجهم من النور إلى الظلمات .

هذا الخلط بين العمل بمقتضى العلم والتكنولوجيا والتقدم الصناعى وتسخير قوى الطبيعة بهما مخلوطاً وممزجاً بالعمل بقوى الجن الخفية وبصفة خاصة السحر حتى يصعب على المرء التفريق بينهما هو الذى جاء التعبير عنه - والله تعالى أعلى وأعلم - باسم « الجبت » .

ومن ثم استحق شيطان الانس القائم على المؤسسة الناشرة لهذا الاسلوب الحضارى الخبيث اسم الجبت ، كما إستحققت هذه الصبغة الحضارية التى سادت فى بعض الفترات الفرعونية من تاريخ مصر القديمة أن تسمى أيضاً بالقبط ولعلها الاصل فى اسم مصر فى القديم الذى صار فى اللغة اللاتينية التى هى أصل اللغات الأوربية إيجيبت .

يؤكد هذا ما ثبت عن الفراعنة فى القرآن الكريم وبما اشتهر عن علم الآثار المصرية القديمة أن الحضارة الفرعونية قامت فى كثير من فتراتنا على السحر وقول المفسرين بأن الجبت هو السحر يشير بل يصلح قرينة قوية للقول بأن لفظ القبط أصله لفظ الجبت وأن إيمان بعض بنى إسرائيل بالجبت والطاغوت يفيد تصديقهم بربوبية الطاغوت الذى هو بمثابة الأب وتلقيهم أمره من خلال الجبت الذى هو بمثابة الابن وإيمانهم من ثم بألوهيته التى يعملون على نشرها من خلال الجبت لكى يصبح معبوداً يزعم فى أول خروجه بأنه المسيح بن الإله ثم يزعم أنه الأله وإلهاً بين البشر كما ورد هذا فى الأحاديث الصحيحة عن النبى ﷺ مخبراً به .

يؤكد هذا أن اسم مصر باللاتينية إيجبت يدل على صلة لفظ الجبت بالحضارة الفرعونية القديمة القائمة على السحر الذى كان ولا زال الدجال هو المصدر له من عالم

شياطين الجن إلى عالم الانس بإعتباره الحلقة الوسطى بين الطاغوت وأتباعه من سحرة
الانس .

ومن ثم صار بمقتضى هذه الوظيفة حاملاً لاسم الجبت .

كما جاء فى سياقين من السياقات التى ورد فيها ذكر الجبت والطاغوت إثبات العلاقة
الوثيقة بين فئة من كفرة بنى إسرائيل وبين الجبت والطاغوت .

لقد جاء فى سياقين من السياقات القرآنية التى ورد فيها ذكر الطاغوت وذكر الجبت
والطاغوت إثبات العلاقة الوثيقة بين فئة من كفرة بنى إسرائيل وبينهما وهذا هو الأساس
القرآنى الذى تقوم عليه العلاقة بين المسيح الدجال واليهود بطائفة الذين يعينونه ويطيعون
أمره من خلال فئة هى وبينه وبين بطائفة من بنى إسرائيل خدام وعبد الطاغوت بخاصة .

إن الطاغوت الذى حذر كل رسول أمته أن يعبدوها هو الذى أفسد قوم نوح حتى
استحقوا الاستئصال بالطوفان ، وتلك هى إفسادة الطاغوت الأولى فى تاريخ البشرية فى
أول عهدها وحيث أن للدنيا إنتهاء ، فإن نهاية الطاغوت التى هى آتية لا محالة ستكون
فى يوم الوقت المعلوم بمقتل المسيح الدجال الذى هو الجبت وذلك عندما يتحقق وعيد
الله بإستئصال الإفسادة الأخيرة فى تاريخ البشرية إذ يكون إستئصال إفسادة الآخرة بمقتل
الدجال .

فما هى قصة الإفسادة الأولى التى حققت الجاهلية الاولى فى تاريخ البشرية فى عهد
سيدنا نوح عليه السلام ، وما قصة الإفسادة الأخيرة أى إفسادة الآخرة التى يأتى
ستئصالها على يد جنود محمد ﷺ بقيادة سيدنا عيسى المسيح بن مريم عليهما
السلام ؟

وما هى قصص الإفسادات المتعددة بينهما ؟

ومن الذين يتخذهم الطاغوت فى كل إفسادة بعامة أعواناً وجنداً وبطانة له
لتحقيقها ؟

ومن هم الذين اتخذهم الجيت والطاغوت بطانة للإفساد الأخيرة المعاصرة ؟
وكيف سيتحقق وعد الآخرة هذا بمقتل الدجال أو الجيت وتدمير الطاغوت ؟
الإجابة على كل هذه الأسئلة هي ما سنعلمه خلال الفصول والمباحث التالية بإذن
الله تعالى وعونه وتوفيقه وتسديده .

الفصل الخامس عشر

الجبب ومخارقه بين الصدق والكذب

ما هو الجببت ؟ وما الفرق بينه وبين الطاغوت ؟ وما الصلة بينه وبين الدجال ؟

إذا أردنا أن نستوعب معنى الجببت : المفهوم والمصدق والتفسير الذى يبين الصلة بينه وبين الطاغوت من جهة وبينه وبين الشيطان من جهة أخرى ، ثم بيان الفروق التى بينه وبين كل منهما أيضاً ، فعلىنا أن نبدأ بالتفسير اللغوى .

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (جببت : الجبم والباء والتاء كلمة واحدة . الجببت : الساحر ، ويقال الكاهن) ^(١) وقوله (كلمة واحدة) أى ليس لها أصل فى العربية وإنما هى وافدة ، ومن ثم ليس لها مشتقات أو تصريفات أخرى ، وتفسير الجببت بالساحر أو الكاهن هو من تأويل المفسرين لكلمة الجببت فى القرآن الكريم وليس من قول العرب .

ويؤكد أنها ليست من العربية ما كتبه ابن منظور فى لسان العرب تحت مادة « جببت » قال (الجببت : كل ما عبد من دون الله ، وقيل : ، هى كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ، ونحو ذلك . الشعبى فى قوله تعالى « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » قال : الجببت السحر والطاغوت الشيطان ، وعن ابن عباس : الطاغوت كعب بن الأشرف ، والجببت حى بن أخطب . وفى الحديث (الطيرة والعيافة والطرق من الجببت)

(وفى التهذيب عن ابن الأعرابى : الجببت رئيس اليهود والطاغوت رئيس النصارى) .

(قال الجوهري : وهذا ليس من محض العربية ، لاجتماع الجيم والتاء فى كلمة من غير حرف ذوّلقى) ^(١) أى ليست هذه الكلمة عربية .

(١) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة مجلد ١ / ص ٥٠٠

(٢) ابن منظور / لسان العرب / مجلد ١ ص ٥٣٤

والخلاصة أن لفظ (الجبت ليس عربياً) وأما ما قيل فيه أنه السحر أو الساحر الكاهن أو رئيس اليهود إنما هو إجتهد المجتهدين وهو ما يدور حول دلالة وليس هو دلالة المطابقة ، أى أنها من صفات الجبت وخصائصه ، وليس واحداً منها هو الجبت ، وليس شخصاً بعينه هو الجبت ، وإنما هو مَن يتصفون ببعض صفاته ، أو يقومون ويزاولون بعض أعماله ، كما أن العيافة والطيرة والطرق من أعماله ، وليست هي الجبت كما جاء فى الحديث الشريف .

ويعتبر قول الجوهري بأن لفظ الجبت ليس من العربية دليل على أنه وافد من خارج الجزيرة العربية ، ويؤكد قول القائل بأنه رئيس اليهود إذ يشير إلى أنه وفد إلى الجزيرة مع هجرة اليهود إليها ويثبت هذا برهانان :

الأول : أن الآية الكريمة تثبت إيمان بعض الذين كفروا من بنى إسرائيل بالجبت والطاغوت .

الثانى : تفسير بعض السلف الجبت بأنه حَيَّ بن أخطب أحد زعماء اليهود وأشدهم كفراً وعداء لله ولرسوله ﷺ ، هذا علاوة على من فسروه بأنه رئيس اليهود .

لكن بالاضافة إلى إثبات هذه الصلة بين الجبت وبين كفرة اليهود أو رؤسائهم ، يجب أن نضيف إلى معنى الجبت أقوال بعض السلف بأن الجبت هو السحر وهو الساحر .

ولقد عرف بنو إسرائيل السحر والسحرة منذ كانوا فى مصر الفرعونية ، وشهدوا أحداث منازل كلِّم الله موسى عليه الصلاة والسلام لسحرة مصر آنئذ ، هؤلاء السحرة الذين لم يعرف فى تاريخ الأمم البائدة أو المعاصرة شعباً فشا فيه السحر وكثر فيه السحرة مثل كثرتهم ومثل شيوعه فى حياة هذا الشعب المصرى القديم فى ظل حكم الفراعنة .

لكن المصريين القدماء لم يعتمدوا فى حياتهم على السحر فحسب ، وإلا لما قامت لهم حضارة لا زالت آثارها المعمارية والعلمية والفنية الباقية ، شاهدة على تقدمهم فى

الفلك والمساحة والكيمياء والطب والهندسة وغير ذلك من مظاهر التقدم العلمى والتقنى فى شتى مناحى الحياة .

وشتان بين التقدم المدنى القائم على أسس علمية تقنية صناعية وبين المظاهر الحضارية الخادعة التى تقوم على السحر . فماذا كانت صبغة الحضارة الفرعونية القديمة ، وما هو أساس التقدم المدنى والازدهار العمرانى فيها ؟ العلم أم السحر ؟!

الحقيقة أن حياة العلم وتقدمه وإزدهاره فى أى حضارة تكمن فى نشره وتعميمه وعدم كتمانها . ومن ثم حذر رسول الله ﷺ من كتمان العلم حتى ولو كان من العلوم الكونية التجريبية فتوعد كاتم العلم بلجام من نار يوم القيامة بقوله ﷺ « من سئل علماً يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة »^(١) .

ولما كان العلم فى الحضارة الفرعونية سراً لدى الكهان فى المعابد ، مستأثرين إياه لأنفسهم ولأبنائهم ، إذ جعلوا هذه الوظائف والمناصب حكراً عليهم وعلى ذرياتهم بالوراثة ، فقد تحولت العلوم وتطبيقاتها فى نظر العامة نتيجة لهذا إلى أسرار وألغاز لا يعلمون لها تفسيراً . ومن ثم استخدمها الكهان لتمكين سلطة الفراعنة من ناحية ، ولجمع المغام الدنيوية وأكل أموال الناس بالباطل من ناحية أخرى ، وحيث أن السحر ليس سوى أحداث هى عبارة عن نتائج تقع أمام المشاهد بغير أسبابها الطبيعية ، فإن العلم المكتوم يمكن أن يحدث نفس الأثر ، لأن أبسط الاختراعات العلمية والتطبيقات التقنية الصناعية تصير أمام نظر المشاهد المحجوب عنه هذه القوانين كالسحر سواء بسواء . مثال هذا الذى يستخدم حجراً مغناطيسياً لتحريك بعض قطع الحديد من خلف حاجز يحجبه عن عين المشاهد فيرى قطع الحديد تسير ذهاباً وإياباً بإشارة من يد هذا المخادع عن بعد ، فيظن المشاهدون أنه يملك قوة غيبية يتحكم بها فى هذه المعادن من غير لمسها ، ومن ثم ليس أمام المشاهدين من تفسير لهذه الظاهرة إلا كلمة السحر . وهذا ليس من السحر ، وإنما هو من العلم ، وما صار فى نظرهم من السحر إلا لجهلهم بهذه

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة رَفَقَهُ

الحقيقة العلمية لخصائص المغناطيس ، فإذا كانت الحضارة الفرعونية قد تقدمت في كثير من العلوم ، واكتشفت بعض القوانين الطبيعية والكيمائية والفسولوجية والفلكية والكونية ، ثم رُتبت على هذه الاكتشافات اختراعات وتقنيات صناعية ، وفي نفس الوقت شددوا على سرية هذه العلوم وعملوا بقوة لكي يظل كل هذا محجوباً عن العامة ومكتوماً باعتباره من أسرار المعبد من خلال نظام مغلق على طبقة الكهنة والفراعنة ومُصان بنظام قانوني صارم قاسى . فإن العلم ونتائجه وتقنياته تصير في نظر الناس سحراً . كما أن السحر الحقيقي الذى هو تأثير على مخيلة الناظرين حتى يخيل إليهم أنهم يرون العصي والجمال كأنها حيّات تسمى ، يكون في نظر العامة علماً وتقنية وفناً وبراعة ، لأن الكهنة والحكام لن يعترفوا بأنهم يفعلون ما يفعلون أمام الناس لتصريف شئون حياتهم وعلاجهم وغير ذلك من قبيل السحر ، بل سيزعمون أنهم علماء ، وأن السحر علم ليس فيه خداع أو تضليل أو تخيل .

ومن ثم يمكن القول أن مزاولة السحر اختلطت بتطبيقات العلم ، كما أن تقنيات العلم وتطبيقاته اختلطت بأعمال السحر ، كما تلبس السحر بالعلم ، حتى صار من الصعب ، بل ربما من المستحيل ، التمييز بينهما ، كما أن الساحر صار عندهم هو العالم والعالم هو الساحر .

ولا شك أن أعمال الكهنة وما يقدمونه للناس من أمور نافعة أو خادعة في العلاج أو خلافه كانت مزيجاً من هذا وذاك ، لأن كل ما يراه الناس منهم هو نتائج تظهر بدون أسبابها الطبيعية ، وهذا ما كان يحدثونه بالسحر وبالعلم على حد سواء ، والكهنة يطلقون عليه العلم ، وأعداؤهم يطلقون عليه السحر ، وهو مزيج منهما معاً .

ودليل على ما أقول عن خلط السحر بالعلم هو قول المصريين ، حكماً ومحكومين ، لموسى عليه الصلاة والسلام متضرعين على أن يرفع الرجس عنهم ، بعد أنزل عليهم الآيات التسع ، وكلها معجزات نبوية شريفة ، لا تتم إلا على يد رسول من عند الله عز وجل ، ولكن حيث أن المعجزات هي أيضاً نتائج تحدث في عالم البشر الحسى بدون

أسبابها الطبيعية ، ومن ثم فهي من هذا الوجه تبدو أمام الناس كالسحر كما أن السحرة يزاولون هذه الأمور أمام الناس زاعمين أنها معجزات أنبياء أو كرامات أولياء ، لذا فإن المصريين لما خاطبوا موسى عليه الصلاة والسلام لرفع الرجز عنهم خاطبوه بالساحر وليس النبي أو العالم ، وهذا ما أنبأنا الله عز وجل به بقوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون ما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴾ الزخرف / ٤٦ - ٥٠ ، فانظر إلى قولهم لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون ﴾ أى ادع لنا ربك أن يرفع عنا العذاب وما قصدوا بطبيعة الحال وهم يرجونه أن يسيثوا إليه بقولهم له ﴿ يا أيه الساحر ﴾ بل أرادوا نداءه ودعوته بما هو فى إعتقادهم ثناء عليه ومدح له ، لأن الساحر كانت تعنى العليم ، يؤكد هذا قول أعوان فرعون عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ؟ قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ الاعراف / ١٠٩ - ١١٢ ، وهكذا وصفوا موسى عليه الصلاة والسلام بأنه ساحر وعليم معاً ، ومن ثم طلبوا أن يجمعوا له من مدن مصر من يجمع بين السحر والعلم أيضاً ، وهذا دليل آخر يدل على أن السحر والعلم كانا ممتزجين فى هذه الحضارة .

وليس هذا إستنباطاً من الآية وإنما هو فهم السلف إذا فسروا قوله تعالى ﴿ وقالوا يا أيه الساحر .. ﴾ بمعنى يا أيها العالم .

إن إمتزاج العلم بالسحر قد بدأ مع بدء الكينونة الطاغوتية التى هى مزج وتفاعل خبيث بين علم الاسماء الانسانى الذى ورثه قابيل اللعين الإبلis الإنسى من أبيه آدم عليه الصلاة والسلام ، وبين أساليب الجن الخفية التى مصدرها الإبلis الجنى ، فهما

معاً : السحر والعلم ممتزجان ، وهذا هو الجبت متمثلاً في أعمال الدجال الامتزاجية العلمية والسحرية الخبيثة فأكثر ما يكون الجبت تمثلاً وظهوراً في الأسلوب الحضارى والمنحى الحياتى والصبغة الثقافية ، وأهم ما يميز هذا كله اضفاء الشرعية على السحر ، وإعلاء قدره نتيجة مزجه وتلبسه بالعلم بالخلط بينهما ، حتى يصعب أو يستحيل التمييز بينهما ، وهذا كله ما تميزت به بعض عصور الحضارة الفرعونية القديمة وإصطبغت بها ثقافتهم ولتذكر أن التقنيات العلمية الصناعية فى نظر الجاهلين بها ليست سوى سحراً ، وأن السحر فى نظر الجاهلين بأسراره قد يعتبره البعض فى عصر مثل عصرنا تطبيقات علمية تقنية متقدمة ، وما ذلك إلا لاشتراك المخترعات العلمية التقنية مع الأعمال السحرية فى أن كل منهما يقدم نتائج مجهولة الأسباب للمشاهدين الذين يجهلون أسرار العلم من ناحية وأسرار السحر من ناحية أخرى .

ومن ثم يمكن القول أن الفرق بين الطاغوت والجبت هو أن الطاغوت هو مصدر الجبت ونبعه ، لأن العقل البشرى الدجالى حالة توحيده بالعقل الإبليسى الجنى يكون جبتيّاً ، إذ تمتزج وتتفاعل القوتان العقليتان العلمية والسحرية ، فحالة التوحد حالة طاغوتية ، فإذا ما حدث الانغلاق ، وعاد كل واحد من الشيطانين إلى عالمه لم يرجع إليه بقوته الذاتية فحسب ، بل بقوته وبقوة ما إمتزج معها من قوة الشيطان الآخر ، والمخططات تعتمد على القوتين معاً ، قوة الجن الخفية وقوة علم الأسماء الذى هو أساس العلوم الكونية والتجريبية والطبيعية والتقنية ، فيكون الإبلis الجنى جبتيّاً فى عالمه مرسلّاً من قبل الطاغوت منفذاً لمخططاته وأوامره ، ويكون الإبلis البشرى الدجال جبتيّاً فى عالمه الانسى مرسلّاً أيضاً من قبل الطاغوت .

ذلك أن هذا الأخير يحمل ما يعود به إلى بطائنه من الانس الذين علمنا أنهم مجلس مكون من ثلاثة عشر عضواً من كفرة بنى إسرائيل الذين يطلقون على أنفسهم «النوارائيين» ويسمونه «لوسيفر» بمعنى «حامل النور» حسب زعمهم ، وهو فى الحقيقة حامل الظلمات ، حسب أسلوبهم فى تسمية المسميات بنقائض أسمائها ، فهى

المخططات والبروتوكولات والتشريعات والمشاريع المقررة عن الحالة الطاغوتية التي تهدف إلى إخراج الناس من النور إلى الظلمات مثل « بروتوكولات صهيون » ، وعلى هذا فهم عندما يجتمعون به ليتلقوا منه الأوامر يكونوا مؤمنين به أولاً باعتبار أنه هو الذى يتلقون منه ، ومن ثم جاءت الآية (يؤمنون بالجبت) أى قبل الطاغوت ، ثم هم يطيعونه ولا يعصونه ويعتقدون أن طاعته واجبة ولازمة ، فهم عبدته وخدامه ، وحيث أنهم يصدقون بأنه حامل لما يأتى به من مصدر أعلى منه ، فهم إذن يؤمنون به ، وبما هو أعلى منه أى الطاغوت ، فهما إثنان إذاً الجبت والطاغوت معاً ، فالذى يجتمعون به ويتلقون منه هو الجبت لأنه يأتى لهم بمخططات وتعليمات الطاغوت ، التي تقوم وتتأسس على كل الأساليب الممكنة التي يهدفون بها لتحقيق علوهم فى الأرض بالإفساد .

وعماد هذه الأساليب والوسائل العلم والسحر معاً ، فالجبت إذاً رسول الطاغوت إليهم ، الحامل للظلمات إليهم من قبله بقصد تعميمها فى الأرض ، وكذا الحال بالنسبة لإبليس الجنى ، عندما يرجع إلى مجلسه الجنى فى عالمه فإنه يكون جبتيّاً لأنه يكون بمثابة رسول الطاغوت وخليفته فيهم وهو يعمل بهم على تنفيذ مخططات الطاغوت العلمية السحرية فى عالم الجن ، ومن ثم فهو جبتي أيضاً من هذا الوجه .

لكن ما ورد فى القرآن الكريم عن الجبت والطاغوت ورد مقروناً بذكر بطانته من كفرة بنى إسرائيل الذين يعبدونهما ، والذين يؤمنون بهما ، ويخدمون مخططاتهما للعلو فى الأرض بالافساد بكل الوسائل والأساليب والكيفيات السحرية والعلمية التقنية ، وهذا هو ما نشاهده اليوم إذ عم الفساد الأرض وعلا اليهود وساعدتهم على هذا التقنيات العلمية المدنية والعسكرية وكذلك أساليبهم الطاغوتية الخفية .

وكل ما وصل اليهود إليه من علو بالافساد إنما هو خطوات فى طريق تنصيب الدجال إبليس الانسى ربا على عالم الانس بمفهوم الرب الابن المسيح وباسمه أيضاً وتنصيب إبليس الجنى ربا على عالم الجن بمفهوم الرب الابن الروح القدس توطئة لتنصيب الطاغوت إلهاً للجنة والناس بمفهوم وبمثابة الآب الإله وهذا هو الذى يمكن

أن تتلمسه من النصوص المخبرة عن أعمال المسيح الدجال قبل خروجه العلنى وأثناء خروجه وما يصاحب هذا الخروج من خوارق للسنن الطبيعية ، إذ منجد أن بعضها علمى تقنى صناعى ، وبعضها الآخر جنى سحرى خفى ، وحيث سيكون لديه بعض التقنيات الخفية التى لم تصل إليها البشرية بعد ، ربما لأن عنده من التقدم العلمى والتقنى والصناعى السرى ما سبق به ما هو معلوم ومنشور على الناس من تقنيات علمية صناعية فى شتى مناحى الحياة ، فإن هذه وتلك ربما تبدو للناس على أنها خوارق حقيقية ، وسيقدمها هو للعامة ليدلل بها على دعواه بأنه رب الناس .

لقد حيرت هذه الأحاديث الصحيحة الواردة عن الدجال كثيراً من العلماء إذ قالوا : كيف يؤيد الله تعالى الدجال بهذه الخوارق التى هى من قبيل معجزات الأنبياء وهو أشد أعدائهم على الإطلاق ؟

فقال بعضهم : أرادها الله تعالى وينفذها له تحقيقاً للإبتلاء وقال البعض الآخر : لا ليست هذه معجزات حقيقية لأن الله تعالى لا يؤيد أشد أعدائه بما آيد به أنبياءه ورسله المقربين .

لكننا ونحن فى عصر العلم والتقدم التقنى المذهل نذكر الآن أنها ليست معجزات سماوية وإنما هى أعمال جبّية إختلط فيها العلم بالسحر كما سئرى بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه وتسديده للحق والصواب .

- جبّيات الدجال الإضلالية :

الطاغوت الذى هو إبليس فى حالة الجمع هو الذى يتناول ليكون معبوداً مؤلهاً من الثقلين : الجن والانس ، ومن ثم دعى الله تعالى فى كتابه إلى الكفر بالطاغوت قبل الإيمان به سبحانه وتعالى ، لأن الإيمان بالله تعالى لا يصح إلا إذا كان إيماناً به وحده لا شريك له سبحانه ، ومن ثم وجب الكفر بربوبية وألوهية كل ما سواه سبحانه ، وحيث إستلزم الإيمان بالله تعالى وحده الكفر بالطاغوت ودعت الرسل جميعاً إلى الكفر

به أيضاً وأمرُوا بترك وإجتنب عبادته ، ولم ترد هذه الدعوة بالكفر لغير الطاغوت مما هو معبود بالباطل فى الأرض ، فلم ترد فى القرآن الكريم الدعوة إلى الكفر بالشيطان ولا بالشمس أو بالقمر أو بالكوكب أو بالصنم أو بالعجل وهكذا ، وإن كانت الدعوة قد وردت بالنهى عن عبادة الشيطان وغيره بمعنى ترك طاعته ، والتحذير من السير على نهجه فالعبادة تتمثل فى طاعة المعبود أو على الأقل التسليم بوجوب طاعته ، أما الإيمان فهو التصديق بالغيب بالمعبود غير المشاهد ، وحيث أن الطاغوت الذى هو إبليس فى حالة الجمع كائن غيبى عن الجن لأنه ليس جنأ خالصاً وغيبى عن الانس أيضاً ، لأنه ليس إنساً خالصاً ، فإن التصديق بوجوده وبوجوب طاعة أمره وشرعته ومنهاجه إنما هو تأليه له ، أى أن من يصدق به بالغيب ، فقد اتخذهُ إلهاً من دون الله تعالى .

وحيث أن الطاغوت جاء بصيغة المفرد المؤنث تعبيراً عن هذه الذات المتألّهة ، كما جاء بصيغة المفرد المذكر تعبيراً عن الأمر والحكم والشرع الصادر عنه ، وجاء بصيغة الجمع تعبيراً عن المؤسسات والمنظمات السرية والعلنية والآليات والجيوش المجيشة من الأبالسة والشياطين المكونين لملكه ، ثم الجيوش العسكرية التى يجلبها على المؤمنين بخيله ورجله والقرارات السياسية والإقتصادية التى يشارك الناس بها فى أولادهم وأموالهم ، وكل هذا ينفذ فى عالم الانس بالجبت الانسى ، وفى عالم الجن بالجبت الجنى ، فليس الجبت إلا بمثابة الوالى أو الوكيل أو السلطة التنفيذية للطاغوت الذى هو السلطة التشريعية . وحيث أن التشريع لا يكون إلا للرب الإله ، فإن الطاغوت يكون فى مملكة الشر بمثابة الرب الإله عندهم ، وهو حسب تفرده بالأمر له حق التصريف والتصرف فيكون هو الملك أيضاً ، وليس المسيح الدجال أو الجبت الانسى إلا المنفذ لأمر الطاغوت ، وهو الذى يتخذ فى كل عصر بطانة من شر البرية يجتمع بهم حاملاً لهم شرعة ومنهاج ومخططات وأوامر الطاغوت .،

أما الشرعة والمنهاج فهى شبه ثابتة على مدار التاريخ البشرى لأنها ليست إلا الضد والنفى لما ينزل على نبي العصر ورسول الزمان من شرعة الله ومنهاجه ، وأما المخططات

والأوامر أو ما أطلقوا عليه البروتوكولات فهي المراحل والخطوات التنفيذية التكتيكية لنشر الباطل وترسيخ الضلال الطاغوتي ، ومن ثم يكون إجتماع إبليس الانسى الدجالى ببطانته السوداء الشريرة من أجل وضع هذه البروتوكولات موضع التنفيذ لتوزيع المهام والواجبات فى كل مرحلة من المراحل التى ترمى جميعاً إلى إعلان الطاغوت ربا وملكاً وإلهاً واحداً للجنة والناس .

والسؤال الآن : كيف ينقل الطاغوت الناس من إيمانهم الفطرى بالله تعالى وحده هذا الذى جلبهم الله عز وجل عليه وغرسه فيهم فى عالم الذر حين أشهدهم بأنه سبحانه ربهم الواحد فشهدوا .

أقول : كيف ينقلهم إلى ظلمات الشرك والكفر وكهوف الجاهليات فإذا هم يؤمنون بالطاغوت ويسيروا فى ركابه وينفذون شرعه ومنهاجه ويعيشون بأساليب العيش الظالمة الشريرة النجسة تلك التى علمنا أن الطاغوت رسموها لهم وشرعوها ؟ ، بصيغة الجمع ، ولا أقول : رسمها وشرعها لهم الطاغوت بصيغة المفرد) ؟ الإجابة : هى أنه تمكن من ذلك بوصفه الطاغوت الجمع وليس الطاغوت المفرد والطاغوت الجمع هم الذين يخرجون الناس من النور الفطرى إلى الظلمات ، فهم أولياء الناس » والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون « البقرة / ٢٥٨ ، فالطاغوت الذين هم أولياء الذين كفروا هم الأنظمة الحاكمة الخاضعة له وهم المنظمات والمؤسسات العالمية السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والتربوية والتنظيمات السرية والقوى والأحلاف العسكرية التى علت فى الأرض بالإفساد فى جميع مجالات الحياة الخلقية والإقتصادية والسياسية والثقافية وهذه كلها الطاغوت - متمثلة وظاهرة فيما أطلقوا عليه الشرعية الدولية التى إذا ما تفحصنا قراراتها وأهدافها وأعمالها لوجدناها على طرف نقيض مع شرع الله عز وجل ومنهاجه المنزل بوحيه الأخير على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وعليهم وسلم . فمن آمن بالشرعية الدولية ورحب بها وأحبها ودافع عنها وسار فى ركابها وتمنى دوامها فقد آمن بالطاغوت

وكفر بالله عز وجل وبكلمة واحدة وقع فى فتنة الدجال السابقة على خروجه العلنى مباشرة ، ومن كرهها ورفضها وكفر بها وتمنى زوالها إيثاراً لشرع الله كفر بالطاغوت وآمن بالله ونجا من فتنة الدجال السابقة مباشرة على فتنة خروجه العلنى .

وأيهما يا ترى أشد فى الخطر ، فتنة الدجال السابقة على خروجه العلنى أم فتنة المصاحبة لخروجه العلنى زاعماً أنه رب الناس ملك الناس إله الناس ؟

الحقيقة أن فتنته السابقة على خروجه العلنى المتمثلة فى علوه بالإفساد اليهودى من خلال المنظمات والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاحلاف العسكرية أى ما أطلقوا عليه النظام الدولى الجديد والشرعية الدولية تلك التى هى الموقدة فى الحقيقة سرّاً للحروب ضد كل من يخالفها والتى تزعم أنها تسعى لأطفائها علناً بعد أن تحقق الأهداف التى أوقدوها من أجلها ، هذه الفتنة التى تعاصرها البشرية اليوم أشد خطراً من فتنته المصاحبة لخروجه ، وذلك لأن ما يطلقون عليه إعلامياً اليوم الشرعية الدولية ما هو إلا أمر الطاغوت وشرعه وصناعته ، ومن ثم فالإيمان بها ليس سوى اعتقاداً وتسليماً من كل من يؤمن بها بأن الطاغوت رب الناس ملك الناس إله الناس ، فهو إذن الإيمان بالطاغوت والكفر بالله العزيز الحكيم من غير أن يكون ثمّ تصريح بهذا .

أما خروج الدجال الطاغوتى العلنى فسيكون مع إعلانه أنه رب الناس ملك الناس إله الناس إذ سيزعم أنه الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً كما ورد فى الحديث الصحيح ، ومن ثم تكون حالة خروج الطاغوت أو خروج نائبه الدجال الأول أى المعاصر نفاقاً ، وحالة خروجه الأخير العلنية كفرّاً ، وفتنة المؤمنين بالنفاق والمنافقين أشد من فتنتهم بالكفر والكافرين لأن المنافقين يلبسون ويموهون ويخدعون ويخفون حقيقتهم الطاغوتية فى حين أن الكفار يعلنونها . فالدجال حالة خروجه نفاقاً ، وهى الحالة التى تعاصرها البشرية اليوم أشد خطراً منه حالة خروجه كفرّاً ، وهى التى سيصير إليها بخروجه العلنى .

ولا يقولن أحد أن هذا إستنباط من عندى قابل للصواب أو الخطأ ، إذ ليس هو

إستنباطاً فحسب لأنه وإن كان إستنباطاً صحيحاً فيما أرى ، إلا أن له أيضاً مصدره فى الوحي الذى لا يأتى إلا بالحق الخالص .

أما عن زعمه حين يعلن عن نفسه النبوة ثم الربوبية فيدل عليه ما رواه الطبرانى والحاكم وعبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب السنة بسنده (عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فكان أكثر خطبته ما يحذرنا الدجال ، قال : « إنه يبدأ فيقول : أنا نبي ، ثم يثنى فيقول : أنا ربكم ، ولن تروا ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، من لقيه فليتفل فى وجهه) قال الحاكم « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه .

أما الدليل من الوحي على أن فتنة الدجال التى تسبق خروجه العلنى أشد خطراً على المسلمين من فتنته المصاحبة لخروجه العلنى التى يزعم فيها أولاً أنه نبي ثم يزعم أنه رب الناس ، فهو ما رواه الإمام أحمد والبخاري بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : ذكر الدجال عند رسول الله ﷺ فقال : لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ، ولن ينجو أحد مما قبلها ، إلا نجا منها ، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال)

فقوله ﷺ (ولن ينجوا أحد مما قبلها إلا نجا منها) دليل على أن ما قبلها أى ما قبل خروجه العلنى أشد خطراً من فتنة خروجه العلنى ، لأن من ينجو من الأخطر يسهل عليه أن ينجو من الخطير وهذا يثبت ما قرره ، كذلك يدل قوله ﷺ (وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال) أى ليس كل ما صنعه الأبالسة والشياطين من فتن فى الأرض منذ عهد البشرية الأول إلا إعداداً لفتنة الدجال العلنية التى لن تمكث فى الأرض سوى أربعين ليلة .

وهذا معناه أن الدجال منذ عهد نوح وهو يصنع الفتن كما علمنا من قبل ، ومن ثم حذر منه نوح قومه ، وحذر كل رسول أمته من عبادة الطاغوت حتى نوح وكل هذه الحقائق الثابتة بالكتاب والسنة تدل على أن ما وصل إليه الأبالسة والشياطين بقيادة

الطاغوت والجبت ما هو إلا إعدادٌ لفتنة الدجال التي سيعلم فيها عن نفسه للناس أنه نبي
أى المسيح ، ثم مستخدماً الأساليب والوسائل والأحداث والأعمال الجبّية لاثبات ربوبيته
الباطلة لهم بما يتضمنه الجبت من التلبيس والخداع . فهو يستخدم كل وسائل
الاضلال الخفية السحرية فى محاربة منه لاضلال الناس بما هو من جنس المعجزات
لعلمه أن مثل هذه الأعمال أقصر الطرق إلى إيمان الناس بصحة دعوى من تجرى على
يديه .

وحيث أن جنوده من الأبالسة والشياطين لا يملكون ولا يستطيعون أن يأتوا بمعجزات
حقيقية ولا حتى خوارق من قبيل كرامات الأولياء ، وإنما يملكون أن يحدثوا أعمالاً
وأفعالاً وأحداثاً تبدو للناس أنها من جنس المعجزات بعضها من قبيل السحر ، وبعضها
تقنى صناعى ، وكثير منها يجمع بين الصبغتين ، ومن ثم فهو بكلمة واحدة جبّتى ،
وهذا هو ما تدل عليه النصوص الحديثية الصحيحة التى تحمل أخباراً عن أعمال وأحداث
وأشياء يملكها الدجال عند خروجه السافر هذه الاعمال يختلط فيها السحر بالتقنيات
الصناعية العلمية أى نفس صبغة الحضارة القبطية (الجبّية القديمة التى تلبس فيها
السحر بالعلم ، واختلط فيها العلم بالسحر) .

ومن ثم يدل وصف الدجال بالجبّية وإيمان بطائفة من بنى إسرائيل بالجبت
والطاغوت ، يدل هذا وذاك على أن خروجه السافر سيكون بعد حدوث التقدم العلمى
التقنى وظهور المخترعات والمعدات العظيمة التى تغير أسلوب الحياة ، أى أن هذا التقدم
العلمى الصناعى التقنى ، لابد أن يسبق ظهوره الأخير ، ومن ثم فقد قرب وقت هذا
الخروج .

يدل على هذا من السنة ما رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو بكر الأجرى فى كتاب
الشريعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والله لينزلن ابن مريم
حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا
يسعى عليها ولتذهبن الشحنة والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال ، فلا يقبله أحد »

فقله ﷺ (ولتركن القلاص فلا يسعى عليها) أى لتركن الأبل فلا يسافر عليها أحد وستتوقف قوافل السفر على الأبل عبر الصحراء والبلاد . وما هذا - كما شرحنا هذا من قبل فى الجزء الثالث - إلا لتوصل الإنسان إلى وسائل نقل أسرع وأكثر راحة ومتعة من الإبل . وقد حدث هذا ومن ثم قرب نزول المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام الذى لن يكون إلا بعد خروج الدجال السافر .

فوسائل النقل الحديثة أو المعاصرة هى بعض الأمور العظام التى تسبق خروج الدجال ، وتسبق بالتالى هلاكه وجنوده بعد نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، هذه الأمور التى يتفاقم شأنها فى أنفس الناس كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته بعد صلاة الكسوف « وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال .. » (فذكر الحديث فى شأن الدجال ونزول عيسى وإهلاك الدجال وجنوده ثم قال :) ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أموراً عظيماً يتفاقم شأنها فى أنفسكم وتساءلون بينكم : هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً ؟ حتى تزول جبال عن مراتبها) وزوال الجبال عن قواعدها هو قائم بمعدات الهدم والبناء والنقل الحديثة والمعاصرة .

وروى الطبرانى والبخارى عن سمرة رضى الله عنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء تستنكرونها عظيماً ، تقولون : هل كنا حدثنا بهذا ؟ فإذا رأيتم ذلك ، فاذكروا الله تعالى ، واعلموا أنها أوائل الساعة) .

قال الشيخ عبد العزيز التويجى رحمه الله تعليقاً على هذه الأحاديث (وفى هذه الأحاديث إشارة إلى ما حدث فى هذه الأزمان من المراكب الجوية والبرية والبحرية ، والآلات الكهربائية التى تنقل الأصوات .. وغير ذلك من المخترعات العجيبة التى لم تكن

تخطر ببال أحد فيما مضى ، وقد تفاقم شأن هذه المخترعات حيث رأوها وكثر تساؤلهم : هل كان النبي ﷺ ذكرها أو أشار إليها (١٩) ؟^(١) .

وهذا من قبيل التقدم العلمى التقنى الصناعى الذى يسبق عصر الدجال ونزول المسيح عليه السلام . هذه المخترعات التى أثبتت الأحاديث ملكية الدجال لها ، ففهمها أسلافنا رحمهم الله بأنها من خوارق السنن الدجالية التى خص الله بها الدجال وحده لفتنة الناس ، بينما هى من نتائج العلم والتقدم التقنى ، ويكون القول دقيقاً صحيحاً إذا قلنا أنها تخص عصر الآيات والسنين التى تسبق الآيات أى ما أطلقنا عليه من مصطلحات هذا العلم : أمارات الساعة ، لكن علماءنا السابقين رحمهم الله ظنوا أنها خوارق تجرى على يديه هو بعينه ، إذ هى بالنسبة لهم مجهولة التعليل وهو ظن غير صحيح ، كما نعلم نحن أهل هذا العصر .

ومن هذه النصوص التى تنسب بعض هذه المخترعات العلمية إلى الدجال ففهم العلماء منها أنها خوارق تخصه دون غيره ما رواه فى المستدرک وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى فى تعقبه للحاكم بأنه صحيح على شرط مسلم ، وكذلك رواه الإمام أحمد عن جابر عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم ، وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض اليوم كالسنة واليوم كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً) فماذا يكون حمار الدجال الذى بين أذنيه أربعون ذراعاً سوى مركبة من المركبات الحديثة أو المعاصرة أو مركبة ستصنع له سواء أكانت برية أو جوية أو غير ذلك ، هذا بالرغم من أنه ليس بمستبعد أن يكون حماراً حياً حقيقياً بهذه الضخامة ويركب الدجال على ظهره بالرغم من أنه قد ثبت أنه حين يخرج مُسَفَرًا يكون بحجم البشر المعاصرين ويميل إلى القصر نسبياً ؟! أما قوله ﷺ أنه يخرج (فى خفقة من الدين وإدبار من العلم) أى العلم الدينى الشرعى وليس العلم التجريبي

(١) إتحاف الجماعة للشيخ التويجى / المجلد الثانى / ص ٢٠٠

التقنى .

وكما يحق لنا أن نتصور أن هذا الحمار وسيلة نقل برية بحرية جوية أى حوامة وهذه الوسيلة سبق صناعتها لكنها لم تُعمم ربما لقلة الجدوى الاقتصادية من تعميمها لكن هذا لا يمنع أن تصنع لمن يسعى أن يمتلك الدنيا خصيصاً .. فإذا وصلت هذه الوسيلة إلى جزيرة العرب أى بلاد وموطن الصحابة الذين خاطبهم النبى ﷺ بهذه الأحاديث ، فإن هذه الحوامة ستسير به ببطء نسبي فتكون دابة بطيئة على الأرض عرض ما بين جانبيها أربعون ذراعاً ، أو ما بين طرفين لها يخرجان من الجنبين طويلين مثل أذن الحمار وربما تكون مهمتها إلتقاط الأصوات التى حولها كالأذنين . والذى يدل عليه اسم (حمار الدجال) أى دابة الدجال التى يركبها ويتنقل بها برا على الأرض ، وليس بالضرورة حماراً من لحم وعظام ، وإلا فما هو الاسم الذى كان من الممكن أن يخبر به رسول الله ﷺ الصحابة عن وسيلة الانتقال التى سيطوف الدجال بها الأرض خلال أربعين ليلة ؟ هل يقول لهم طائرة الدجال ، أم يقول لهم صاروخ الدجال أم حوامة الدجال أم حافلة الدجال أم عوامة الدجال أم عبارة الدجال أم قطار الدجال ؟ أليست كل هذه الأسماء غير مفهومة للصحابة ولا تحمل لهم أى دلالة واضحة ؟ ومن ثم لن يترتب على ذكر هذه الأسماء لهم سوى أنها ستفتن أهل عصرهم وتبلبل نفوسهم وتخير عقولهم ؟!

وهل جاء النبى ﷺ هادياً ومعلماً أم جاء محيراً ومشككاً ؟ حاشا لله تعالى ولرسوله ﷺ ، فمن الحكمة أن يخاطبهم بالأسماء التى يتعاملون بها ويفهمونها ، فإذا كان فى معرض وسيلة الانتقال ذكر لهم وسائلهم فى الانتقال وأضفى بعض وصف وسيلة إنتقال عصر الدجال فيفهمها أهل هذا العصر ، يدل على ما أقول ما رواه الحاكم فى المستدرک ، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى على شرط البخارى ومسلم ، (عن أبى الطفيل رضى الله عنه عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال الدجال يخرج فى بغض من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين فيرد كل منهل ، فتطوى له

الأرض طى فروة الكبش (

الأرض هنا فى هذا النص الشريف هى ما يقع عليه عين الراكب فى وسيلة انتقال سريعة جداً أو عاصفة ، إذ لا يلبث أن تقع عين الراكب للقطار أو الاتوبيس على موضع من الأرض ، مهما اتسعت مساحته ، إلا وصار خلفه ، بعد أن كان يراه أمامه تماماً فى زمن طى فروة الكبش ، أى ثانية واحدة أو أقل ، فإذا كانت سرعة السيارة أو القطار مائة وعشرين كيلو متراً فى الساعة - وهذه سرعة متوسطة أو عادية - فإن هذا المركوب يقطع ٣٣ متراً فى الثانية الواحدة ، وهذا معناه أن الناظر إلى الأرض من هذا المركوب إذا امتد بصره هذه المسافة لا يلبث قبل أن يرتد طرفه إليه أن تطوى تحته ، هذا هو معنى طى الأرض ، أى ما يرى منها للراكب مطوياً طى فروة الكبش ، أى فى زمن طى فروة الكبش باليد ، هذا بالنسبة للسرعة العادية فما بالناس بالسرعات التى وصلت إلى أكثر من خمسمائة كيلو متر للقطار اليابانى الذى يطلقون عليه « الرصاصة » وما بالك بسرعة الطائرة والصاروخ والقمر الصناعى الذى يدور دورة كاملة حول الكرة الأرضية فى ساعتين بل وأقل من ذلك ، ألا يدل هذا على أن حمار الدجال هو وسيلة إنتقال ذات تقنيات متقدمة ١٩ بلى وهذا التصوير النبوى للسرعات المتباينة لوسائل الركوب الحديثة فى أعلى درجات البلاغة وقمة البيان ، لأن الراكب لأى وسيلة يرى الأرض تحته تطوى طى فروة الكبش فى جزء من الثانية سواء كانت الوسيلة قطاراً أم طائرة والفارق ليس فى الزمن وإنما فى مساحة الأرض المريئة ، لأن راكب الطائرة يرى المطوى من الأرض مئات الأمتار وراكب القمر الصناعى يراه مئات الأميال فى الثانية تطوى كطى فروة الكبش فما يصدق على لفظ الأرض فى الحديث هو البقعة الممتدة أمام نظر المسافر الذى يطل من نافذة الوسيلة أيا كانت إذ لا تلبث فى أقل من ثانية أن تصبح خلفه كما تصبح فروة الكبش خلف طاويها بيده .

لكن ثم يوجد اليوم الذين يصرون على المدلول اللغوى الحرفى للآية أو لفظ الحديث فيقولون : إذا كان الحديث قد ذكر حماراً عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً فيجب أن

نثبته ولا نؤوله بمدلول مخالف ، لأن الحمار فى اللغة هو هذا الكائن الحى ذو الأذنين الطويلتين المستخدم فى الركوب ، ومن ثم لا مناص أن نثبت للدجال حماراً حقيقياً من لحم وعظم ولكن بهذا الحجم الكبير .

أقول لأصحاب هذا الفهم : ليس ما يمنع أن يكون فهمكم صحيحاً كما أنه ليس ما يمنع أن يكون الفهم السابق عرضه عن حمار الدجال بمركبة انتقال تقنية صناعية صحيحاً أيضاً .

كيف إذا يكون كل منهما صحيحاً رغم الاختلاف الواضح بينهما ؟ يكمن التوفيق بين المدلولين فى فهم حقيقة الجبت التى هى علم وسحر ممتزجان .

فما الذى يمنع أن يكون لدى الدجال من أساليب العمل الجبتي ما يجعله يظهر أمام الناس راكباً حماراً عظيماً بهذا الحجم . وإذا علمنا - كما سنثبت هذا بعد - أنه السامرى الذى ألقى فأخرج عجلاً جسداً حياً له خوار ، بما التقطه من أثر جبريل عليه السلام ، فما الذى يمنع أن يخرج على الناس بهذا الحمار الكبير الحجم إذ يزعم لهم أنه المسيح الذى كان على الأرض منذ أكثر من ألفى عام راكباً حماراً مدعياً أنه ابن الإله خداعاً لمن يؤمنون بهذه العقيدة من الصليبيين ، ثم يثنى بعد هذا بأنه الإله حين يخرج متوحداً مع إبليس الجنى أى فى الحالة الطاغوتية ١٩ ليس ما يمنع من تصور حدوث هذا منه بالقوى الجبتيّة التى يخفيها ، والتى هى مزيج من السحر والتقنية ، وعلى هذا فالاحتمالان قائمان وقابلان للحدوث ، ولن يصير احتمال أن يكون حمار الدجال مركوباً تقنياً صناعياً متقدماً أرجح من احتمال كونه حماراً ضخماً ، والعكس صحيح ، فليس لزاعم أن يزعم صحة أحدهما وبطلان الآخر ، إلا بعد أن يخرج الدجال ويراه راكباً هذا الحمار أو ذاك المركوب . ومن ثم يكون الخوض فى هذه المسألة لترجيح أحد الاحتمالين على الآخر مضيعة للوقت ، ولا تستحق المداد الذى يكتب به ، وإنما يكون من الخطأ رفض أحد الاحتمالين أو تسفيه أحد القولين ، وسواء كان هذا أو ذاك فهو من جبتيّات الدجال .

- قتل الرجل وإحياءه أخطر جبتيات الدجال :

فالذى تصل أفعاله الطاغوتية إلى الحد الذى يقتل فيه رجلاً أمام الأعين ثم يحييه هو على ما دون هذا الفعل أقدر ، فمن جبتياته لعنه الله ما رواه الشيخان وعبد الرزاق فى مصنفه والامام أحمد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال ، فكان فيما حدثنا ، قال « يأتى الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب ^(١) المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس (أو من خير الناس) فيقول له : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله حديثه ، فيقول الدجال : رأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته ، أتشكّون فى الأمر ؟ فيقولون لا . قال فيقتله ثم يحييه ، فيقول حين يحييه : والله ، ما كنت فىك قط أشد بصيرة منى الآن . قال : فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه . »

هذا عمل جبتي وليس سحراً فقط وليس تكنولوجيا فقط ، والدليل على هذا أن قتل الرجل تم ولم يتم . كيف ذاك ؟

الدليل على أنه لم يرد قتله حقيقة فى الأولى أنه لم يستطيع قتله فى الثانية بدليل قوله ﷺ فى نهاية هذه الرواية (فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه) إذاً هو لم يرد قتله حقيقة فيما رآه الناس من قبل ، وإنما الذى حدث أنه فعل هذا أمام الناس من حوله ، لما فاجأه هذا الرجل المؤمن بفضح سره أمامهم ، بإخبارهم بأنه الدجال ، لما قالها له فى وجهه ، فلم يكن أمام الدجال لنفى هذا الوصف عن نفسه إنقاذاً لملكه ، ومحافظة على أتباعه إلا أن يلقى بأقوى ما عنده من الجبتيات وهو القتل ثم الإحياء ،

(١) نقاب : جمع نقب وهو النفق أو الطريق المفتوح بالتقنيات الحديثة بين جبلين وورود أخبار أنفاق مكة والمدينة فى الأحاديث عن الدجال إعجاز نبوى من ناحية ودليل على قرب خروج الدجال الأخير من ناحية أخرى ، لأن هذه الأنقاب (الانفاق) لم تشق فيهما إلا خلال العشرين عام الأخيرة من القرن العشرين الميلادى .

وحيث أن الأحياء لا يقدر عليه إلا الله عز وجل بأدلة النقل والعقل والعلم ، وحيث يزعم الدجال أنه المسيح ، ثم يزعم أنه الله حسب عقيدة النصارى القائلة أن الابن والأب والروح القدس كائن واحد ، وحيث من الثابت عند النصارى أن المسيح عليه السلام قد أحيا الموتى بإذن الله تعالى ومن ثم لم يكن مناص أمام الدجال نفياً لوصمة الدجل والدجالية عن نفسه إلا أن يميت ويحيى ، كما حدث هذا من المسيح بن مريم عليهما السلام ، لكى يثبت صحة زعمه بأنه هو المسيح .

فهل هذا الذى سيحدثه بمؤمن المدينة قتلاً حقيقياً ثم إحياءاً حقيقياً ؟ لا والله الذى لا إله إلا هو ، الذى لا يحيى ولا يميت ولا يحيى ولا يحيى حقيقة إلا هو ، وما أحيا المسيح الموتى بحوله وقوته ، وإنما الذى أحيا هو الله تعالى ، فهو الذى جعل هذا الإحياء آية تجرى على يده لاثبات صدق نبوته ، فعلق سبحانه عودة حياة الميت فى قبره على نداء المسيح عليه الصلاة والسلام له ، ولكن ما أعاد المسيح الحياة إلى الميت بحوله وقوته وإنما عادت له الحياة بحول الله وقوته ملبية أمر الله لها ، إذ أمرها أن تعود إليه حين ينادى المسيح عليه من خارج قبره .

فهل يجوز الاعتقاد بأن الله تعالى سيفعل مع الدجال مثل ما فعل سبحانه مع المسيح عليه الصلاة والسلام ؟ الإجابة : لا يجوز أن يعتقد المسلم هذا ، لأنه لو كانت الإجابة بالإيجاب لما صدق وصفُ الدَّجَلِ على هذا الابليس الجبتي ، لأن كونه دجالاً يثبت كونه كذاباً غشاشاً مخادعاً مخائلاً مراوغاً محتالاً أفاقاً ، فهل مَنْ كانت هذه صفاته وَمَنْ أطلق عليه الصادق المصدوق سيدنا محمد ﷺ اسم الدجال يكون صادقاً فيما يزعم ؟!

حاشا وكلا ، إن الدجال لم يرد فى الأولى قتل مؤمن المدينة ، وإنما أراد أن يرى أتباعه قتله وإحياءه ، وليس من اللازم لمن كان جبتيّاً متسلحاً بالوسائل العلمية التقنية الممتزجة بالأساليب السحرية الخفية ، لكى يرى أتباعه قتل رجل وإحياءه ، أن يكون

القتل حقيقياً ، وبالتالي ليس من اللازم أن يكون الإحياء حقيقياً ، إذ ما عنده من الجبت يُمكنه من أن يريهم قتله ثم إحياءه دون قتل حقيقى وإحياء حقيقى ، فإذا ما رأى الاتباع هذا مخدوعين بهذا الدجل الجبتي إستمر إيمانهم بأن الدجال هو ربهم ، ولكن لماذا سيقوم الرجل ويقول ما يبعث على الشك فى ربوبيته ثانية ، وهو قوله (والله ما كنتُ فيك قط أشد بصيرة منى الآن) الإجابة : لأنه صار على يقين أكثر بدجله ، إذ علم أنه لم يقتله حقيقة ، ولم يحييه حقيقة ، وإن كان أتباعه قد رأوا قتله وإحياءه وليس من المستبعد أنه هو أيضاً رأى منظر قتله وإحيائه الذى رآه الناس فعلم يقيناً أنه الدجال .

ومن ثم لما أراد الدجال بعد ذلك أن يقتله حقيقة محافظة على سره الذى أدركه هذا الرجل المؤمن لن يسلطه الله عليه وسيعجز عن قتله ، وهذا دليل على أنه لم يقتله فى الأولى وبالتالي لم يُحيه

ويوضح لنا هذا ويؤكدده رواية مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالحي ، مسالحي الدجال ، فيقولون له : أين تعمد ؟ أعمد إلى الذى خرج قال : فيقولون له : أو ما تؤمن برنا ؟ فيقول : ما برنا خفاء فيقولون : إقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ؟ » قال : فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ قال فيأمر الدجال به ، فيشج فيقول : خذوه وشجوه . فيوسع ظهره وبطنه ضرباً قال : فيقول : أو ما تؤمن بى ؟ قال : فيقول أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجله . قال : ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول له : قم فيستوى قائماً قال : ثم يقول له أتؤمن بى ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ، قال : ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس . قال : فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجعل ما بين رقبته

إلى تُرقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً ، قال : فيؤخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما ألقى في الجنة . فقال رسول الله ﷺ هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين) والتفصيل الزائد في هذه الرواية عن السابقة يتمثل في التالي :

١ - ذكر مسالح الدجال أى نقاط أو مراكز الحراسة المسلحة فى حرسه الخاص أو جنوده حول المدينة .

٢ - إذا رأى المؤمن الدجال نادى فى الناس : يا أيها الناس (هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ من غير أن يقول له أو يسمع منه ، أى أنه بمجرد أن يراه يعرفه ، بناء على وصفه الوارد إلينا فى السنة الصحيحة ، وهو وصف دقيق للدجال من أول شعر رأسه إلى قدميه ، يدل على هذا قول المؤمن (هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ) أى ذكره لنا وصفاً دقيقاً طابق ما عليه هذا الذى يزعم أنه رب الناس .

٣ - لا يأمر الدجال بقتله على الفور وإنما يأمر بضربه لعله يؤمن به فيرفض المؤمن طلبه قائلاً له (أنت المسيح الكذاب) ولوصفه بالكذب هنا مغزى ، وإن كان الكذب والدجل صنوين متلازمين ، أما المغزى لأن الزمان سيكون زمان إنتظار النصارى لنزول المسيح عليه السلام من السماء ، ومن ثم يستغل الدجال هذا الاعتقاد ويزعم أول خروجه أنه المسيح النازل من السماء فيكون الرد عليه أنه المسيح الكاذب ، أى الذى يزعم كذباً أنه المسيح بن مريم ، وهذا يدل على صحة ما انتهى إليه المحققون من أهل العلم بأن اسمه المسيح الدجال وليس المسيح الدجال (بالمعجمة) كما رجح البعض خطأ ، لأن العبرة فى الاسماء ليست بمطابقة الاسم على حقيقة المسمى ، وإنما العبرة فى الأسماء بدلالاتها الاسمية العلميّة على المسمى ، لأن اسم الشئ علم عليه حتى لو خالف معنى الاسم ما عليه المسمى ، فكم من ضعيف أو جبان اسمه أسد ، فالاسم

الذى سيطلقه الاعلام زمن خروج الدجال للدلالة عليه هو المسيح فقط ، وهذا بديهي نتيجة سيطرته على هذه الأجهزة فى أكثر الأرض ، ومن ثم سماه رسول الله ﷺ بالاسم الذى سيعلن هو به عن نفسه ، زاعماً أنه المسيح ، سواء قصد من هذا الزعم أنه المسيح بن مريم ، حتى يضمن عبادة النصارى له ، إذا هم صدقوا أنه كما يزعم ، أو قصد أنه المسيح بمعنى المخلص للناس من حروبهم وتطاحنهم ونزاعاتهم وذنوبهم ، وأيا كان مقصده ، فهو سيُعرف باسم المسيح ، لذا تحدث عنه النبى ﷺ بنفس الاسم العلمى عليه فى زمانه ، مع إضافة صفة الدجل إليه للفصل والتمييز بينه وبين المسيح عيسى بن مريم الذى هو مسيح الهدى والحق ، ومن ثم لزم أن ننبه إلى أن اسمه « المسيح » وليس « المسيح » بالمعجمة لأن هذا هو ما سيطلق عليه إعلامياً عند ظهوره ، ويبقى بعد هذا وصفه الدقيق الوارد إلينا فى السنة الذى نميز به بين المسيحين المرتقب ظهورهما فى العقود القريبة التالية : المسيح الصادق الحق مسيح الهدى ، والمسيح الكاذب الدجال مسيح الضلالة ، وأهم صفات الكاذب أنه أعور يسير فى الأرض . أما مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام فسينزل من السماء ويراه الناس بين مهرودتين واضعاً يديه على جناحي ملكين ، وليس هذا للدجال بأى سبيل لا تقنى ولا سحرى .

٤ - الجديد أيضاً فى هذه الرواية شق الرجل نصفين وسير الدجال بينهما ثم ضم الشقين ودعوته فيقوم حياً وهى طريقة للقتل مقصود منها منع أى ذرة شك فى حدوث الموت وإنهاء حياته ، فهى أسلوب قتل إستعراضى ، وهذا هو الذى يؤكد أنه قتلٌ جبتى : سحر مع تقنيات متقدمة ، أو العكس .

والدليل على هذا الساحر الأمريكى الشهير « دافيد كوبرفيلد » ، وقد عرضت له قنوات التليفزيون العالمية والعربية بعض أفلام مسجلة له على المسرح أمام الجمهور ، وحيث أن آلات التصوير الاليكترونية (الكاميرات) بأنواعها تستقبل من الأشياء والأحداث المصورة الموجات الصادرة منها تماماً كما تستقبل العين البشرية هذه الموجات

، فإن ما يراه الجمهور فى المسرح تسجله الكاميرات الالكترونية ، والذي يهمنى من كل جبتيات دافيد كوبرفيلد هو تمرير منشار كهربائى على جسده عند منطقة الوسط بينما هو مكبل إلى الكرسي بالحبال فلما إلتقى المنشار بجسده تفجر الدم ، الأمر الذى جعل الحاضرين فى قاعة المسرح يصرخون موقنين بشطر الرجل المقيد نصفين ، ولكن ما هى إلا لحظات فيعود المنشار بعيداً عنه ويقف المقسوم من وسطه معافاً سليماً لا نشر ولا دماء.

ما هذا ؟ هل هو سحر أم هل هو تقنيات صناعية متقدمة ؟ أيا كان هذا أو ذاك فهو جيت . أحدهما أو كلاهما معا . لكن كونه من الجبتيات يعنى أمراً واحداً مؤكداً هو أن الرجل لم يشق نصفين - أقصد دافيد كوبرفيلد - وإن كان الذى رآه الناس وسجلته الكاميرا هو شقه من منتصف جسده عند الخصر بالمنشار الكهربائى الدوار شديد السرعة . وكذلك ما فعله من إخفاء تمثال الحرية وكذلك إخفاء المكوك الفضائى من أمام أعين الناس كان شيئاً ضخماً هائلاً موجوداً وفى لحظات لم يعد موجوداً ، وبعدها بدقائق صار كما كان فى مكانه ، وهذا وذاك ليس سوى أجهزة بصرية متقدمة جداً يمكن لمالكها أن يسلطها على أى شىء فتمنع هذه الأجهزة الموجات الضوئية الصادرة من الشىء إلى الأعين أو إلى عدسات التصوير التى لا تصور ولا تسجل أى صورة إلا بتلقى الموجات الضوئية من الشىء المراد تصويره فتبديد هذه الموجات يمنع رؤية الشىء ، فإذا علمنا أن السحر لعب يلعبه السحرة بمخيلة المسحورين ، حتى ولو كانوا آلافاً مؤلفة من المصريين المحشورين يوم الزينة ضحى فى منشأة كاستاد كرة القدم مثلاً ، لقد حدث الفعل الجبتي الذى أوجس فى نفسه خيفة موسى عليه الصلاة والسلام منه ، أفلا يلعب الدجال بمخيلة الناس بما أوتى من تآزر وتعاون بين أعمال الشياطين والأبالسة الخفية من جانب وبين علماء من البشر وتقنيين وفنيين ومخترعين فى عصر الالكترونيات والفضاء والكمبيوتر من جانب آخر ؟

جنة الدجال وناره من إنتاجه الجبتي أيضاً :

فما قصة جنة الدجال وناره . هل هما جنة حقيقية ونار حقيقية ؟ الحق أنهما جبتيان والدليل على هذا قوله ﷺ (فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما أُلقي إلى الجنة) لأن ناره جنة ولكن الناس يرونها ناراً وجنته نار ، ولكن الناس يرونها جنة ، لذا قال المصطفى الصادق المصدوق ﷺ (فيحسب الناس أنما قذفه في النار) فهم يحسبون بخلاف الحقيقة ، وتلك هي الصبغة الجبتي التي يرى من خلالها الناس شيئاً والحقيقة أو الواقع شيء آخر . وهذا ما يطابق الدجل مبنى ومعنى ، مفهوماً وما صدق ويطابق هذا ما رواه مسلم وابن ماجه والإمام أحمد من حديث حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (الدجال أعور العين اليسرى ، جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار) وروى البزار والطبراني بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (ما من نبي إلا وقد حذر أمته الدجال وأنا أحذركم الدجال : إنه أعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه الكاتب وغير الكاتب ، معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار) .

فما تكون الجنة الدجالية التي هي نار والنار الدجالية التي هي جنة ؟ إن ما يعرضه للناس إذن عكس حقيقته تماماً ، هل المقصود بهذا التعبير النبوى أنه يصاحبه في عصره تقدم في البناء والعمران والحدائق والديكور والتحكم في درجات حرارة جو الأبنية بالتكييف والتدفئة وحسن الأثاث وجمال المنظر والوسائل التقنية في الإمتاع الحسى بالفنون والشهوات بما يعرف الآن بالقرى السياحية وتقنيات السياحة الإنتقالية والمبيتية بأنظمة الفنادق ذات المستويات النجومية المتعددة ، حتى صار الذى يعيش في هذه الأجواء ، التى هي من حصيلة العلوم والتقنيات المعاصرة ، والتى هيأتها هذه الحضارة الجبتيية لأصحاب الثروات فانغمسوا فى المتاع الذى يشبه السحر الأمر الذى أغرقهم فى الشهوات

(١) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة مجلد ١ / ص ٥٠٠

(٢) ابن منظور / لسان العرب / مجلد ١ ص ٥٣٤

والمحرمات المؤدية إلى النار ، فتكون هذه الجبتيات التي معه ناراً بمعنى التي هي مصاحبة لعصره من نتائج توجيهاته الطاغوتية وهي في حقيقتها نار في الآخرة أى مؤدية إليها .

وفي نفس الوقت يصاحب الدجال وبفعله ويتخطيطه مؤامرات المذابح للشعوب الإسلامية والافقار إلى حد التجويع ، ووصم المجاهدين بالارهاب الذي ينتهى بهم إلى السجون تحت أدوات وأجهزة التعذيب الشيطانية ، فتكون هذه نار الدجال التي تنتهى بالمبتلى بها الصابر عليها إلى الجنة ١٢

يدعم عندى هذا القول من غير أن يرجحه قوله ﷺ (معه جنة ونار) أى مع الدجال وهذا يشير سؤالاً : كيف تكون الجنة معه والنار معه ١٢ ، هل هما معه أثناء سيره في الأرض خلال الأربعين ليلة فقط ، إن المعية في النص هنا تفيد المصاحبة الزمنية ١٢

على كل حال أقول : إن مصطلح الجبتيية الذي لا يمنع هذا الاحتمال الأول باعتبار أن أنظمة السياحة والفندقة المتقدمة ونعيمها الحسى المعاصر هو من نتاج التقدم العلمى التقنى الفنى وهما من عناصر الجبت الرئيسية يدل على هذا أن السياحة الناجحة تقوم على مخالفة شرع الله بإباحة المحرمات جميعاً .

أما الإحتمال الثانى وهو القائل بأنه عند خروجه السافر وسط أتباعه من اليهود والنساء وأبناء الزنى سيكون معه بالضرورة الذى مع كل حاكم مستبد وطاغية مثاله مستكبر فى كل زمان ومكان ، وأعنى بهذا ما يطلقون عليه إعلامياً العصا والجزرة ، أى التهيب والترغيب ، وحيث أنه سيزعم أنه رب الناس ملك الناس إله الناس ، ومعلوم فى كل الكتب السماوية أن الله عز وجل سبحانه يثيب على الاحسان بالجنة ، ويجازى على الكفر والإساءة بالنار ، فليس ما يمنع أن يتخذ الطاغوت المتأله وخليفته فى الإنس الدجال جنة وناراً يثيب ويعاقب بهما إمعاناً فى الزعم بالربوبية .

ومن ثم يحتمل أيضاً أن تكون جنة الدجال وناره من الأعمال الجبتيية التى سيحدثها ، فيعرضها على الناس بوسائل سحرية تقنية صناعية فى آن واحد ، أى جبتيية ، وما أكثر

اللعب الحضارية بصرية كانت أم سمعية أم حركية أم إنشائية أم صناعية أم زراعية أم فنية أم رياضية ، وكل هذا يستمتع به ويستفيد به الذين يملكون ، والذين يملكون هم المستكبرون المتسلطون ، فهم يعيشون فى جنة الدجال الجبئية ، أما المستضعفون فى الأرض فهم شعوب المجاعات والحروب والمذابح والتخلف ساكنو الأكواخ والمقابر أهل لا إله إلا الله ، فليس لهم من الجبت والطاغوت بمقتضى بروتوكولات الإفساد الصهيونية إلا نار الدجال الجبئية الدنيوية .

أليست الحياة فى الأرض اليوم جنة لطبقة من البشر ولبعض الشعوب ، وهى فى نفس الوقت نار للطبقات المستضعفة ، ولأغلبية الشعوب الفقيرة النامية ؟ بلى ، ويدل على هذا ما رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم والذهبي عن سبيع بن خالد عن حذيفة رضى الله عنه قال (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر) وذكر الحديث إلى أن قال رسول الله ﷺ : (ثم يخرج الدجال قال : قلت فبم يجرى به معه ؟ قال : 'نهر ، أو قال : ماء ونار ، فمن دخل نهره حط أجره ووجب وزره ، ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره) وهذا التعبير يوحى بأن النهر الذى سيدخله المفتونون بالدجال ليس نهر ماء ، وإنما هو نهر حياة ، أى وسائل الحياة الدجالية الجبئية الاقتصادية والسياسية والتربوية والعلمية الأكاديمية راضياً بها مدافعاً عنها بالرغم من مخالفتها جميعاً لشرع الله عز وجل ومحاربتها لدينه .

أما الذى يجاهد نهج الدجال الحياتى فى جميع مناحيه ويحاول إقامة شرع الله عز وجل بالسبل المشروعة ، فليس أمامه إلا الفتنة فىكون قابضاً على الجمر لتمسكه بدينه ، وحيث يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر فإن هذا يكون فى عصر الخروج الأول للدجال ، فيصيبه من أذى الطغاة ما يصيبه وتلك هى نار الدجال ، التى هى فى صدر المؤمن جنة من السكينة والطمأنينة ، وهى فى النهاية نجاة من العذاب والشقاء النفسى ، الذى يعانى منه أهل الحضارة الدجالية المادية المعاصرة .

إن دخول النهر يعنى اجتياز ممر أسباب الحياة الجاهلية الدجالية المتعددة . ورفض

دخوله والتعرض لناره هو عين الكفر بالطاغوت والإيمان بالله عز وجل ، ومن ثم يكون المؤمن فى جنة حقيقية من السكينة والطمأنينة والرضا .

ومع هذا لا يمنع هذا الفهم العام لجنة الدجال وناره أن يكون معه عند خروجه السافر جنة ونار جبتيان .

فيا أيها المؤمنون بالله تعالى واحداً لا شريك له أحدا لا تد ولا كفؤ له ، الكافرون بالجبوت والدجال والطاغوت لا تخشوا اللقاء فى ناره ، اتفلوا فى وجهه فإن القاكم فى ناره فستجدونها جنة ، واحذروا طاعته ، فإن جنته نار وتؤدى إلى الخلود فى النار معه والعياذ بالله تعالى .

والذى أراه - والله تعالى أعلم بهمراده ومراد رسوله ﷺ - هو تطابق الداليتين على نصوص الجنة والنار الدجاليتين ، أى جنة الترف الذى أتاحته الحضارة الغربية المادية التقنية المعاصرة وبخاصة الترف المطغى الذى مصدره المال الحرام وينفقه أصحابه فى الحرام ، ودلالة أحداث المجاعات والتخلف والحروب والمذابح والأمراض وفساد البيئة على ناره .

ثم مطابقة الدلالة الجبوتية التقنية الصناعية السحرية على النصوص الخبيرة عن جنته وناره أيضاً ، فتكون الدلالة الأولى معه فى خروجه وسيطرته وحكمه للأرض من خلف ستار باسم الشرعية الدولية والنظام العالمى الجديد وهذا هو الذى نعاصره اليوم ، فشعوب بنى الأصفر أمريكا وأوروبا يعيشون فى جنته والشعوب الإسلامية فى أفريقيا وآسيا وحتى فى أوروبا يعيشون ناره المتمثلة فى المجاعات والأمراض والحروب حتى حروب الإبادة والاستئصال فى البوسنة والهرسك وكوسوفا والجزائر وكشمير والهند وأفغانستان وقبل هذا كله فى فلسطين .

ألم يكن قاييل وضئيلاً أبيض أصفر الشعر أو أحمره هو وأخته لأنهما من حمل الجنة ، والدجال عند خروجه السافر سيراه الناس هجاناً أى أبيضاً مشرباً بالحمرة أحمر الشعر،

بينما كان هايل وأخته - كما ورد في كتب التفسير - أسمرين ؟ وقد علل قايل هذا الاختلاف بينه وبين أخيه بأنه أى هايل من حمل الأرض ، فى حين أنه أى قايل وأخته من حمل السماء ، فاستعلى بهذا الاختلاف فى الأصل على أخيه ، كما استعلى إبليس على آدم بأصله النارى ؟

فلماذا فى أكثر مراحل التاريخ البشرى كان الاستعلاء للأبيض والاستعباد والاستغلال للأسود ، ولا يستثنى من تاريخ البشرية كله إلا فترات ظهور الاسلام وغلبة المؤمنين على الأرض التى صار الأسود كالأبيض لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى ؟! لقد أصبح هذا معلوماً من خلال حقائق الجبت والطاغوت والدجال الرهيبة .

لقد كتب أرسطو اليونانى عن شعوب أفريقيا بأنهم درجة أو حلقة وسطى بين الحيوان والانسان الذى هو الجنس الأوروبى الأبيض هذا هو الفكر الطاغوتى الدجالى يسوقه على أقلام الفلاسفة وألسنتهم يناوئ به عقيدة التوحيد الخالصة .

فالجبت - كما قلنا - علم وسحر - يربط بينهما ما يطلقون عليه الفن ، وبخاصة ما ينحتونه من تماثيل وما يصورونه من وجوه وأجسام حية يتبارى هؤلاء المصورون من خلالها فى الإبداع ، والله تعالى وحده هو بديع السماوات والأرض ، وهؤلاء يضاهئون فعل الله تعالى ويتطاولون - إستكباراً وتألها ليكونوا مبدعين خالقين - وحاشا لله الذى لا خالق ولا مبدع الا هو - ومن ثم سيكونون أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، بمقتضى نيتهم فيما يصورون وينحتون ، وبمقتضى خدمتهم لأهداف الدجال ، حيث لا يتم جفته إلا بكثرة التماثيل وشيوع التصوير وإمتلاء الأرض بهذه المنتجات الخبيثة ، لأنها جميعاً هى مسكن شياطين الجن ، وبالتالى هى التى تسمح لهم بالتغلغل فى حياة الانس : مناماً ويقظة ومأكلاً ومشرباً وملبساً وكذلك معاشرة بين الأزواج ، حتى شاركوا الناس فى الأموال والأولاد ووعدوهم بأنواع من المتاع الحسى الزائل الذى يشقى ولا يسعد ، سواء فى الدنيا أم الآخرة .

فجبتيات الدجال لا تتم إلا بالشياطين لأن كونها سحراً ممتزجاً بمصنوعات تقنية

يستلزم دوراً للشياطين الذين هم مصدر الجانب السحري من هذه الجبتيات ، وهذا يقتضى تغلغل الشياطين فى حياة الناس ، ومن ثم استلزم هذا الاكثار من التماثيل فى الميادين ومن الصور فى البيوت والمحلات والفنادق وفى كل مكان ، وهذا هو الذى يدل عليه الحديث الذى رواه الطبرانى عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : أقبلت مع رسول الله ﷺ من العقيق ، حتى إذا كنا على الثنية التى يقال لها ثنية الحوض التى بالعقيق أوماً بيده قبل المشرق فقال : إني لأنظر إلى مواقع عدو الله المسيح ، إنه يقبل حتى ينزل من كذا ، حتى يخرج إليه غوغاء الناس ، ما من نقب من أنقاب المدينة إلا عليه ملك أو ملكان يحرسانه ، معه صورتان صورة الجنة وصورة النار ، معه شياطين يُشبهون بالأموات يقولون للحى : تعرفنى ؟ أنا أخوك أو أبوك أو ذو قرابة منه ، أَلَسْتُ قَدْ مِتُّ ؟ هذا ربنا فاتبعه ، فيقضى الله ما يشاء منه .

وبيعث الله رجلاً من المسلمين ، فيُسكته ويُسكته ويقول : يا أيها الناس لا يغرنكم فإنه كذاب ، ويقول باطلاً ، وليس ربكم بأعور فيقول : هل أنت متبعى ؟ فيأبى ، فيشقه شقين ويعطى ذلك ، ويقول : أعيده لكم ، فيبعثه الله عز وجل أشد ما كان له تكديماً وأشد له شتماً فيقول : أيها الناس إن ما رأيتم بلاء ابتليتم به وفتنة افتتنتم بها ، إن كان صادقاً فليعدنى مرة أخرى ، وإلا ، فهو كذاب ، فيأمر به إلى هذه النار ، وهى صورة الجنة ، فيخرج قبل الشام) . وفى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ألا أحدثكم عن الدجال ما حدث به نبي قومه إنه أعور وإنه يجئ معه بمثال الجنة والنار ، فالتى يقول إنها الجنة هى النار وإنى أنذركم به كما أنذر به نوح قومه) .

والشاهد الذى نريده فى هذه الرواية (معه صورتان صورة الجنة وصورة النار) فهما إذاً مجرد صورتين إذاً ليستا إلا ما يجعل الناظر يرى أحدهما جنة والأخرى ناراً فى حين أن ما ترى جنة هى نار وما ترى نار هى جنة ، وليس هذا إلا بالجبث بحسب التفسير السابق له ، يؤكد هذا ما رواه الشيخان والإمام أحمد عن حذيفة رضى الله عنه عن

النبي ﷺ أنه قال في الدجال (إن معه ماء وناراً فتاره ماء بارد وماؤه نار ، فلا تهلكوا)
ومن جبتياته أيضاً إمطار المطر ومعلوم أنه لا ينزل الغيث إلا الله عز وجل ولكن هذا
مطر والمطر غير الغيث الذى هو المطر الغزير الذى يغيث به الله البلاد والعباد وينبت به
الكأ ومن ثم يمكن تفسير إمطار الدجال المطر بما حدث على أيدي المجربين من
العلماء من إنزال قطرات من الماء عن طريق الصعود بالطائرة ونفث عناصر خاصة فى
صور غازية فى السحب البيضاء غير المطرة فتطر قطرات لا تسقى الحرث ولا تنبت
العشب ، ودليل هذا ما رواه الإمام أحمد بأسانيد صحيحة على شرط الشيخين من
حديث جنادة بن أبى أمية قال : أتيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقلت له حدثني
حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فى الدجال ولا تحدثني عن غيرك . وإن كان عندك
صادقاً ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنذركم فتنة الدجال فليس من نبي إلا
أنذره قومه أو أمته ، وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى ، وإنه يمطر المطر ، ولا ينبت الشجر
، وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ، ولا يسلط على غيرها ، وإنه معه جنة ونار ،
ونهر ماء وجبل خبز ، وإن جنته نار وناره جنة ، وإنه يلبث فيكم أربعين صباحاً يرد فيها
كل منهل إلا أربع مساجد : مسجد الحرام ومسجد المدينة والطور ومسجد الأقصى ، وإن
شكّل عليكم أو شبه ، فإن الله عز وجل ليس بأعور)

فقوله (يمطر المطر ولا ينبت الشجر)^(١) دليل على أنه المطر الصناعى التقنى الذى
لا ينبت شجراً لقلته ولعدم تكراره لأنهم ما أنزلوه إلا على سبيل التجربة .

أما قوله (معه نهر ماء وجبل خبز) ، فهو يحتمل التفسيرين الأول : فى خروجه
المعاصر حيث يسعى الدجال وبطائنه اليهودية التى علت فى الأرض بالإفساد ويسعون
اليوم لترسيخ هذا العلو بالسيطرة على مقدرات ومقومات حياة الشعوب وهى الأنهار
بالسيطرة على منابعها بإقامة السدود والخزانات خلفها للتحكم فى دول المجرى ودول

(١) وسبلى حديث أو رواية أخرى تثبت إنبات العشب بمطره وليس الشجر .

المصب ، ويعمل على إشاعة المجاعات وانصراف الأنظمة الحاكمة عن زراعة القمح ، بينما يزرعه في دولته أمريكا بوسائل تقنية حديثة على مساحات شاسعة بما يعرف بالرى المحورى ثم يصدر هذا القمح للمجتمعات الجائعة في سفن الشحن العظيمة التى هى جوارى فى البحر كالأعلام - أى كالجبال لأن العلم فى اللغة هو الجبل - فتنزل عبواته « بالأوناش » على الموانى وترص فتصير كالجبال ، وحتى مياه الشرب صارت تعباً فى زجاجات وعبوات أكبر وتصب من زجاجاتها إلى أفواه الناس كالأنهار ، وذلك بعد أن لوثت حضارته الصناعية الجبئية الأنهار فلم تعد صالحة للشرب .

هذا هو التفسير التقنى الصناعى لجبل الخبز ونهر الماء المصاحب لخروج الدجال غير السافر أى خروجه الأول المعاصر ، ولا يمنع أن يصحب معه فى سيره فى الأرض جبل خبز يوزع منه على من يؤمن به ، بعد أن يشيع المجاعة فى الأرض ، ونهر ماء يسقى فيه المؤمنين به الكافرين بالله تعالى بعد أن يعم الأرض العطش نتيجة لمخططاته الإفسادية ، ومن ثم يظهر لنا جلياً أن كل ما يقدمه الدجال للناس من جبتياته الخبيثة ، إنما يقدمه لكى يشبت أنه يميت ويحيى ، وأنه يمنع ويعطى ، وأنه الذى يرزق الناس بالطعام والشراب لكى يقنعهم بأنه رب الناس . ومن ثم سيتبعه ويعبده كل صاحب عقيدة فاسدة فى الربوبية والألوهية ممن يجيزون على الله تعالى الحلول فى جسد آدمى ، وكذلك يتبعه هؤلاء الذين لا هم لهم من هذه الحياة الدنيا إلا الطعام والشراب ، ويتبعه العامة الغافلون الذين تخدعهم أعماله التقنية السحرية أى جبتياته الطاغوتية .

وذلك أن للدجال خروجين - كما وضّحناهما فى الجزء الأول من هذه الموسوعة - الخروج الأول : هو الذى لا يكون فيه سافراً ولا معلناً عن نفسه ، وإنما هو يتمثل فى سيطرته على الأرض وعلوه فيها من خلال السيطرة على القوى الكبرى الاقتصادية والعسكرية والسياسية والإعلامية .

والثانى : هو الذى مدته أربعون ليلة ويكون فيها ظاهراً مسفراً عن نفسه ، ومن إعجاز البيان النبوى أن الإخبار عن كل أعماله الجبئية بالنصوص الحديثية له تفسير مقبول

موافق للنص ومطابق له على خروجه الأول ، وله أيضاً تفسيره لنفس النص الموافق لخروجه الأخير السافر ، ولذا فلا يجوز أن نرفض أحدهما ونرجح الآخر ، ما دام الجمع بينهما جائزاً .

وهذا هو الذى أراه والله تعالى أعلم .

- خروج جيوش شياطين الجن مشاهدين لإضلال الناس من الأعمال الجبئية :

ومن جبئيات الدجال التى لا تكون إلا منه من خلال أساليبه الطاغوتية ما جاء فى حديث سلمة بن الأكوع الأسبق فى الذكر الذى جاء فيه (... معه شياطين يشبهون بالأموات ، يقولون للحى : تعرفنى ؟ أنا أخوك أو أبوك أو ذو قرابة منه ، ألسنت قد مُت ؟ هذا ربنا فاتبعه ، فيقضى الله ما يشاء ..) أى من الفتنة لهذا والنجاة لذلك .

وهكذا يحى الدجال الموتى الأقرباء لقربهم بهذا الأسلوب الشيطانى عن طريق القرين الذى يتمثل ، حسب أوامر الطاغوت ، للناس فى صورة قريبهم المتوفى من قبل زاعمين أن هذا الأعور هو ربهم ، وهو الذى أحياهم ، فإذا رأى الرجل قريبه أمامه حياً يرزق بعد موته بزمان ، وسمع نفس صوته وأخبره ببعض ما كان سراً بينهما تلبس عليه الأمر وصدق ووقع فى الفتنة المهلكة ، فتنة الدجال المخلدة فى النار والعياذ بالله

ومقدمة هذه الجبئية تحدث الآن فيما يعرف عند الناس بتحضير الأرواح عن طريق السلة أو أى طريق آخر وسؤال هذا الكائن الغيبى الذى يحضر عن أسرار بين المتوفى وبين قريبه ، فتأتى الإجابة صحيحة فيعتقد القريب أن هذا الكائن الغيبى الذى يخبر عن أسرار بين المتوفى وبين قريبه أن هذا الكائن الغيبى روح قريبه ، وهو قرينه الجنى الذى كان ملازماً له ويعلم عنه كل تفاصيل حياته .

ولقد روج بعض أعوان الدجال من شياطين الانس عن طريق الاعلام المقروء طريقه تحضير الجن القرين بالسلة باسم تحضير الروح ، افساداً لعقيدة المسلمين وتحضيراً لمرحلة

خروج الدجال الأخيرة حتى يصدقوا أن هؤلاء الذين يشبهون أقرباءهم الموتى هم أقرباؤهم قد أحياءهم لهم ربهم الدجال.

ففتنة الدجال أو خروجه غير العلنى الجبى المعاصر ما هو إلا تمهيد وإعداد لخروجه العلنى الطاغوتى الأخير ، كما أخبر بهذا الحديث الذى سبق ذكره .

ولقد قرب الحافظ ابن حجر من هذه الحقيقة الجبى فذكر عناصرها الشيطانية الخفية وبطبيعة الحال لم يتصور العنصر التكنى الصناعى ، فلم يذكره لكنه مع هذا وضع الاحتمالين المذكورين آنفاً فقال رحمه الله فى كتابه فتح البارى شرحاً لقوله ﷺ (فإما أن ماء بارد وماؤه نار) : هذا كله يرجع إلى اختلاف المرئى بالنسبة إلى الرأى ، فإما أن يكون الدجال ساحراً ، فيُخيل الشئ بصورة عكسه ، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التى يسخرها الدجال ناراً وباطن النار جنة ، وهذا الراجح ، وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة وعن المحنة والنقمة بالنار ، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته ، يؤول أمره إلى دخول الآخرة ، وبالعكس ، ويحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة ، فيرى الناظر إلى ذلك من هشته النار فيظنها جنة وبالعكس) حقاً لقد تحير العلماء فى العصور الإسلامية السالفة فى أمر الدجال ، لكن بعد أن علمنا أن الجبى مزيج من السحر والتقنيات المتقدمة التى ليس لها نظير عند سائر البشر ، وضح لنا الأمر وزالت الدهشة وبطل التعجب وانكشف سره وإفتضح أمره

الكشف عن حقيقة الجبىات الدجالية :

فما مع الدجال من خوارق خروجه الأول قبل الإسفار عن شخصه والثانى المصاحب للإسفار عن شخصه إما أن يكون مخترعات ومصنوعات تقنية متقدمة يخفى على الناس أسرارها ، وإما أن يكون من قبيل السحر ومآزرة الشياطين له ، وإما أن يكون العمل الواحد منه أو معه أكثر تعقيداً وغرابة ، لأنه يكون مزيجاً من الإثنين معاً .

روى الإمام أحمد وابن خزيمة فى كتاب التوحيد والحاكم فى المستدرک مختصراً

وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال على شرط مسلم (عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم ، وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض ، اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً ، فيقول للناس : أنا ربكم ، وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كفر ك ف ر مهجأة يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، يرد كل ماء منهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه وقامت الملائكة بأبوابهما .

ومعه جبال من خبز والناس في جهد إلا من تبعه ، ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه نهر يقول : الجنة ، ونهر يقول النار ، فمن أدخل الذي يسميه النار فهو في الجنة .

وبيعث الله معه شياطين تكلم الناس ، ومعه فتنة عظيمة ، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفساً فيحييها فيما يرى الناس ، لا يسلط على غيرها من الناس ، ويقول يا أيها الناس ، هل يفعل مثل هذا إلا الرب عز وجل ؟

فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام ، فيأتيهم فيحاصروهم فيشتد حصارهم ، ويجهدهم جهداً شديداً .

ثم ينزل عيسى بن مريم فينادي من السحر فيقول : يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ؟ فيقولون هذا رجل جنى ، فينطلقون ، فإذا هم بعيسى بن مريم ﷺ فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم يا روح الله ، فيقول : ليتقدم أمامكم فيصل بكم ، فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه ، قال : فحين يراه الكذاب ينمات كما ينمات الملح في الماء ، فيمشي إليه ، فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله)

فانظر إلى هذه الرواية لقوله ﷺ (ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه) وقوله (وبعث الله معه شياطين تكلم الناس) أى مواجهة ومشافهة ، وقوله أيضاً (يأمر السماء تمطر

فيما يرى الناس) وقوله ﷺ (ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس) أليس في هذا التعبير دلالة صريحة أنه يُحدث هذا كله فيما يرى الناس أى أمام أعينهم فحسب ، ومن ثم فهو لا يحدث حقيقة وواقعاً ، تماماً كما أخفى دافيد كوبر فيلد تمثال الحرية أو المكوك الفضائي فيما يرى الناس ، ثم إذا به واقف فى مكانه كما كان لم ينتقل من مكانه مطلقاً وإنما كان الاختفاء فيما يرى الناس ، وكذلك شق المنشار الكهربائي لخصره كان فيما يرى الناس ، وفيما تلتقط « الكاميرا » وتسجل أشرطة الفيديو وليس حقيقة وواقعاً . وكذلك ليس أسهل بعد ذلك أن تمطر السماء فيما يرى الناس أيضاً .

تلك جميعاً من جبتيات الدجال .

إذاً فقتل الرجل وإحياءه والجنة والنار وإنزال المطر ، وظهور الموتى لأقاربهم يزعمون أن الدجال ربهم وأنه أحياهم وجبل الخبز الذى يتحكم فيه ويصاحبه ونهر الماء الذى يمتلكه كل هذا ليس واقعاً وليس حقيقة وإنما هو من الجبت الذى إما أن يكون من عمل الشياطين : سحراً وكهانة وغيرهما ، وإما تقنيات متقدمة لم يسمع عنها الناس من قبل وإما مزيج من الإثنين معاً ، ومن ثم فإن من يسمع عن هذه الأعمال التى تجرى على يديه لأول وهلة ويظن أنها حقيقة يهولن شأن الدجال ويرتفع شخصه فى نفسه ، فما بالك بالنسبة لمن يراها ١٩

فإذا علم أنه يستخدم ذلك كله ليعبده الناس من دون الله لعنه المسلم واحتقره وخفض شأنه ، وهذا ما يدل عليه الحديث الطويل الذى تضمن أكثر جبتيات الدجال وهو حديث صحيح رواه مسلم وأبو داود مختصراً وابن ماجه والترمذى وقال عنه : هذا حديث غريب حسن صحيح ، وكذلك رواه الإمام أحمد عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ، ذات غداة ، فخفض فيه ورقع ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا . فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورقعت ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال غير الدجال أخوفنى عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج

ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب قطط ، عينه طافئة ، كأنني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواخ سورة الكهف ، إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فعات يمينا وعات شمالا : يا عباد الله فابتنوا قلنا يا رسول الله : وما لبثه في الأرض ؟ قال : أربعون يوماً : يوم كسنة ويوم كشهر ، ويوم كجمعه ، وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفيها فيه صلاة يوم ؟ قال : أقدروا له قدره . قلنا يا رسول الله ، وما أسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبث ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروراً وأمدّه خواصر ، ثم يأتي القوم ، فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصيحون بمحلين ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتي رمية الغرض ، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فيينما هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجرد ريع نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد ، فيقتله ، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فيينما هو كذلك ، إذ أوحى الله إلى عيسى : أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتلاهم فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النّفث في رقابهم ، فيصبحون فرثى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه

إلى الأرض ، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم وتنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت ، فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيفسل الأرض حتى يدركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض : انبتى ثمرتك وردى بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويبارك فى الرسل ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس ، واللقحة من البقر تكفى القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلمة ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة)

وما يهمنا الآن فى هذا الحديث ، الذى سنعود إليه مراراً عند الكلام عن الخروج الأخير العلنى للدجال ، هو قوله ﷺ عن سرعة الدجال (كالغيث استدبرته الريح) أى أنه كالعاصفة المحملة بالسحب الركامية التى تسوقها الريح السريعة أمامها ، وهذه سرعة الطائرات وبخاصة النفاثة ، لأن النفاثات تندفع برد فعل النيران المنبعثة من خلفها فتسبق الريح وتجعلها خلفها ، وهذا من الإعجاز النبوى الدال على صدق النبوة . وهذه من الجبتيات العلمية التقنية ، وهى جبتيه بالنسبة للسابقين على عصر الطيران والصواريخ والفضاء الذين كانوا يظنون أنها من خوارق الدجال ، ولكنها لم تصبح جبتيه لأهل هذا العصر الذين يعلمون أنها صناعة تطبيقية لعلوم فيزيائية ، فهى ليست من الخوارق .

أما قوله ﷺ (فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت) ^(١) فكما قلنا من قبل ، إما أن يكون هذا المطر الصناعى فى خروجه الأول الحالى ، وإما أن يكون هذا من جبتياته المصاحبة لخروجه العلنى ، لكن الملاحظ أن الحديث السابق أثبت أن مطر الدجال لا ينبت الشجر ، وإنما ينبت العشب والقمح والشعير والذرة من النباتات العشبية وقد زرعوا

(١) النبات ليس شجراً ، إنما هو عشب أو قمح أو شعير أو أى نباتات عشبية أخرى ، وكلها تروى بالرى المحورى بخلاف الشجر .

منها فى العالم المتحضر وفى أمريكا بصفة خاصة ملايين الأفدنة بالرى المحورى الذى يتم به إسقاط المياه على الأرض المزروعة من أعلى بما يشبه المطر ، ومن ثم يمكن تفسير هذا النص بوسائل الرى بالرش بعامة والمحورى بخاصة ، ثم لما استغلوا هذه المحاصيل للإنتاج الحيوانى بتقنيات متقدمة ، توصلوا إلى أحجام فى التسمين ، لم تعرفها البشرية من قبل وإلى كميات فى إنتاج الألبان بلغت إلى أكثر من خمسين كيلو جرام فى المتوسط من اللبن تدرها ضروع البقرة الواحدة فى اليوم وهذا هو معنى قوله ﷺ عقب إخباره عن أمر الدجال بانبات الأرض (فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً) كناية عن زيادة حجمها وتوالدها (وأسبغه ضروعاً) أى لم تعرف البشرية ضروعاً أكثر منها حلياً .

أليس هذا هو ما حدث من النمو والتقدم فى العالم الغربى فى مجال الانتاج الغذائى النباتى والحيوانى ومنتجات الألبان ؟! حتى كانت ولا زالت عند السوق الأوربية المشتركة التى تغطى الثلوج أكثر بلادها شتاء ، مشكلة أطلقوا عليها جبل الزبدة ، لأن كميات الزبدة المتراكمة فى ثلاجات أوروبا لو وضعت بعضها فوق بعض لصارت فى إرتفاع جبل الهملايا أعلى قمة جبلية على الأرض .

لكن مَنْ هم الذين ينعمون بهذه الوفرة الغذائية ؟ يقول الرسول ﷺ رداً على هذا السؤال (فيأتى القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبيون له ، فيأمر السماء ، فتمطر ، والأرض فتنبث) .. الخ الحديث ، وَمَنْ مِنَ الناس على وجه الأرض أعظم إستجابة للدجال وخضوعاً له ولبطانته الصهيونية أكثر من أمريكا وأوروبا ؟! وَمَنْ مِنَ الناس أكثرهم وفرة فى المنتجات النباتية والحيوانية غير بنى الأصفر فى أمريكا وكندا وأوروبا ونيوزلندا وإستراليا ، على قدر إستجابتهم له يكون النمو الاقتصادى .

وهذا يستتبع سؤالاً آخر وهو : فما بال الشعوب التى لا تستجيب له ؟ يجيب رسول الله ﷺ بقوله (ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصيحون مُمَحِّلِينَ ، ليس بأيديهم شئ من أموالهم) أليس هذا هو حال الشعوب الإسلامية مع

اختلاف قومياتهم ١٩ إذ من المعلوم أن أشد الناس عداوة له هم المسلمون ، أنظمتهم تمنيتهم بالخطط الخمسية والرخاء ولكن ، هيهات هيهات ، إلا أن يكفروا بالله تعالى ويؤمنوا بالطاغوت ، ويبيحوا الفاحشة على قارة الطريق ، ويتدرجوا فى أنواعها وأشكالها حتى زنى المحارم ، كما هو حادث الآن فى أمريكا وأوروبا ويخضعوا حكومات وشعوباً وجيوشاً وجامعات وثقافة وإعلاماً أى قلباً وقالباً لليهود ، يعلنوا العلمانية والإلحاد والتطاول على ذات الخالق سبحانه وعلى أنبيائه ﷺ جميعاً ، يكتب منشورة ومحروسة بقوة الدول باسم حرية الفكر والنشر (المجرم سلمان رشدى) فإذا ما كتب أحد المفكرين ما يكذب زعماً كاذباً تاريخياً لليهود عن عدد قتلى اليهود فى عهد هتلر (المفكر رجاء جارودى) حاكموه واضعين قيمة حرية الفكر والنشر تحت الأقدام ، صدقت يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، ما نطقت عن الهوى ، لقد إستجاب بنو الأصفر للدجال فكرا وعقيدة وثقافة وأخلاقاً فعاشوا فى وفرة الطعام والشراب .

أما المسلمون الذى رفضوا النهج الطاغوتى الدجالى للحياة النجسة فقد صار محكوما عليهم أن يعيشوا محلين ، أى تحت خط الفقر .

ولكن أليس الله عز وجل قد منّ على أهل الجزيرة والخليج بالبتترول ، فصاروا أغنياء ؟ بلى والله ، ولكن الشعوب تقاوم علمانية الدجال والحاده ومخططات التطبيع مع إسرائيل ، ومن ثم وضع الخطط التى تسلب منهم أموالهم ، وهذا هو ما حدث خلال العقد الأخير من القرن العشرين حتى صارت دول البترول الغنية تقترض .

أين أموالهم التى كانت كالجبال ؟ يجيب رسول الله ﷺ (فيصبحون محلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم) أى حتى ما كان فى أيديهم من مال سحّب منهم .

وما الذى يمنع المسلمين أن ينهضوا بالزراعة والصناعة والتجارة بخطط مدروسة فيصيروا أغنياء مثل أهل أوروبا وأمريكا واليابان وغيرهم ؟ مقاله خبيثة يرددها الغافلون أنصاف المتعلمين المسيطرون على الإعلام والفكر والثقافة فى بلاد الاسلام ، وهى أن العيب فىنا وليس فى اليهود أو أمريكا أو أوروبا ، لو أردنا أن ننهض إقتصادياً لنهضنا

ولصرنا مثل اليابان ، فلا نلوموا غيركم ، ولوموا أنفسكم ، لكن حديث رسول الله ﷺ الصحيح يكشف العلة عن فقر الفقراء في الأرض وعن علة غنى الأغنياء ، وهي أن الأغنياء عبدوا الدجال من دون الله والفقراء رفضوا عبادته ، فأصبحوا محلين نتيجة المخططات الدجالية العاملة على إحباط مخططات التنمية عندهم من ناحية ، ولسلب أموالهم التي مصدرها الثروات الطبيعية كالبترول من ناحية أخرى .

لقد نهضت بعض الشعوب الإسلامية بخطط تنموية صناعية ناجحة ، وبدأوا يشقون الطريق نحو الرخاء مثل ماليزيا وأندونيسيا فجاءتهم الضربة القاصمة التي سحبت منهم ثمرة عشرين عاماً من التنمية والجهد والكفاح فعادوا كما كانوا .

إن أمثال هؤلاء تناسوا أن الاقتصاد المحلي لأي دولة صار مرتبطاً - بفعل الدجال ومخططات خبثاء صهيون - بعجلة الاقتصاد العالمي التي يملك مفاتيح تشغيلها اليهود بقيادة الدجال ، ومن ثم يوزعون الرخاء على الشعوب بمقتضى طاعة هذه الشعوب واستجابتها لمخططاته وأوامره ، كما أخبرنا رسول الله ﷺ ، بل يصل أمر تحكمهم لدرجة سحب ثروات الشعوب منها من خلال أنظمة العملات الورقية والبورصات العالمية والمحلية والربا وغير ذلك من وسائل أكل أموال الناس بالباطل .

أفلا يحق لنا بعد هذا أن نقول أن هذا الجزء من الحديث قد تحقق وتعيشه البشرية اليوم ؟ وأن هذا يدل على ما سبق أن قرناه من أن الدجال قد خرج الآن خروجه الأول غير السافر بالسيطرة على مقدرات الأرض من خلال علو إقتصادى سياسى عسكرى إعلامى ثقافى خلقى ؟ بلى ، وليس أدل على هذا من فقر المسلمين وضعفهم والمذابح الجارية عليهم ، والمجاعات المسلطة عليهم ، وعقوبات العراق التي ليس لها مثيل في التاريخ شاهد على ذلك ، ولن يشفع عند أمريكا التي هي ذراع الدجال القوية موت مليون طفل عراقى بسبب الحصار ، ولا بد من إسقاط النظام الذى تحدها وقال : لا سأحتفظ بجيش قوى أدافع به عن نفسى ضد جيش إسرائيل العدو . ولا بد أن تُشن على العراق قريباً معركة يخرج فيها الدجال بالجيوش الأمريكية البريطانية التركية من خلة

بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالاً ليقضى الله أمراً كان مفعولاً^(١) ، كل هذا لأن العراق قال : لا لن ألقى سلاحى فأين حقوق الانسان وحق تقرير المصير ومبادئ الأمم المتحدة ١٩ لتذهب إلى الجحيم .

الذهب رأس جبتيات الدجال :

قوله ﷺ (ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك ، فتتبعه كنوزها كييعاسيب النحل) وهذا النص يمكن فهمه من خلال تفسير تقنى معاصر ، ويمكن فهمه من خلال تفسير جبتي يصاحبه فى خروجه المعلن السافر . ، وليس ما يمنع أن ينطبق النص على الإثنين .

أما بالنسبة للتفسير التقنى الصناعى المعاصر فهو ينطبق على آبار البترول ، التى هى كنوز من الذهب الأسود لم تعرف البشرية فى تاريخها كنوزاً أئمن منها ، وقد ثبت أن أكثر آبار البترول تستخرج من القفار ، فهى أراضى خربة يمر أهل الحضارة الغربية الذين جاء وصفهم فى الأحاديث بأنهم شرار الخلق وينقبون بوسائلهم التقنية البترولية فتخرج وتسيل أنهاراً فى الأنابيب وتنقل إلى بلادهم ، والتشبيه بيعاسيب النحل يفيد ذهاب هذه الكنوز خلف الدجال ، أى خلف البلاد التى يسيطر بها على الأرض ، وهى أمريكا وأوروبا وملحقاتها ، وهذا هو الحادث الآن لأن أكثر البلاد إستهلاكاً للبترول هم بنو الأصفر هؤلاء الذين هم أكثر إستجابة وإيماناً وتنفيذاً لخططاته وسواء أكان المقصود بالكنوز المواد البترولية أم أموال البترول فكلها تتبعه ، ألم تكن فوائض هذه الأموال فى بنوكه الأمريكية ثم استولى عليها ثمناً لإستيلاء قواته على بلاد المسلمين وبخاصة السعودية والكويت ١٩ .

أما المعنى الجبتي فهو المعنى النصى الذى يكون من شأنه أن الدجال يمر خلال الأربعين يوماً على الخربة أى المكان غير العامر ، الذى سبق وأن كان عامراً ثم أصابه

(١) سبق شرح هذا الحديث بكتاب النبى للمؤلف

الخراب ولم يعد عامراً . ، وهذا يفيد أنه مكان أثرى ، ومن ثم فالمقصود أنه سيمر على أماكن أثرية بعينها ، يعلم هو - بمقتضى ما عنده من أسرار خلال مراحل حياته الممتدة عبر القرون - أن بهذه الخربة كنوزاً مدفونة ، ربما من آلاف ومئات السنين وبأسلوب جبتي شيطاني يدعو هذه الكنوز إلى الخروج من مخبئها فتخرج تتبعه طائفة كيغاسب النحل .

وأغلب الظن أن هذه الخرابات المليئة بالكنوز هي الأماكن الأثرية في أكثر بلاد العالم بعامة وفي مصر بخاصة ، إذ هي التي تحتوى أرضها على ربع آثار البشرية .

لقد عبد الفراعنة الذهب وطفئت المادية عندهم على كل شيء ، حتى صار المال الذهبي صاحب القيمة الأعلى في حياة المصري ، ومن ثم حاول الفراعنة والمصريون القدماء التقليل من شأن موسى وهارون ، لأنهما لم يكونا يمتلكان ذهباً ، قال تعالى ﴿ ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلو لا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين فلما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ « الزخرف / ٥١ / ٥٦ » وهكذا طلب فرعون من موسى لكى يؤمن به : إما أن تُلْقَى عليه من السماء أسورة من ذهب أو يأتى بالملائكة ، وهذا يدل على أن إيمانهم بالذهب كان فى مستوى الإيمان بالغيب حتى أنه خيّر - كشرط للإيمان به - أن يأتى بأحدهما .

وبنو إسرائيل ، الذين خرجوا من مصر ، وقد تأثر كثير منهم بالثقافة الفرعونية وبالقيم الفرعونية المادية الطاغية على غيرها من القيم الخلقية والروحية والمعنوية ، استطاع الدجال الذى عاش بينهم ، وصنع لهم العجل من الذهب الذى أخذوه من المصريين ليلة خروجهم ، وفتن كثيراً منهم بالعجل ، فعبدوه فى غياب موسى عليه الصلاة والسلام ، أقول : استطاع أن يجند منهم بطانة جبتيّة يؤمنون بالذهب إلهاً ورباً ومعبوداً

يسعون ، من خلال إكتنازه بالفساد ، إلى العلو في الأرض ، ومن ثم نسب الله تعالى إلى الذين كفروا من بنى إسرائيل الإيمان بالجبت والطاغوت .

ولما كان رأس الجبت هو الإعلاء من كل ما هو مادي على أى قيمة معنوية أو روحية بل إنكار هذه الأخيرة ، لذا فإن الذهب الذى كان العملة المالية المصرية المتداولة فى مصر وما حولها حينئذ هو مطلب كل يهودى منخرط فى الوسائل والأعمال والمخططات الجبئية الهادفة إلى علو بنى إسرائيل فى الأرض كلها ، من خلال الافساد لجميع أوجه ونشاطات الحياة الإنسانية ، وأولها الافساد الاقتصادى ، إذ بدأوا منذ هذا الزمن المبكر التخطيط لجمع أموال البشر جميعاً تحت أيديهم ، هؤلاء اليهود هم بطانة الدجال التى تعلمت منه الوسائل والأساليب والمناهج والأعمال الجبئية المفسدة فى الأرض تلك التى تصب جميعاً فى جمع الذهب والاستيلاء على أموال البشر بشتى أساليب أكل أموال الناس بالباطل .

لقد كان كفرة اليهود فى المدينة فى العهد النبوى على وعى بهذه الحقيقة الجبئية حتى أنهم كانوا يعيشونها ويزاولونها إيماناً منهم بأن امتلاك الذهب سيكون القوة الرئيسية والعامل الرئيسى لعودتهم لبيت المقدس ، وإقامة دولة إسرائيل ، بعد أن يسيطروا على أقوى دول العالم ، ويصير لهم العلو فى الأرض ، كما نصت على هذا آيات سورة الإسراء فيهود المدينة الذين رفضوا الإيمان بما أنزل على خاتم الرسل والنبیین سيدنا وسيد الخلق محمد ﷺ وحاربوه وحاولوا أن يغدروا به ويقتلوه فى خيبر ، فنصر الله تعالى رسوله ﷺ وجاء فيهم حكم الله بالخروج من ديارهم وحشرهم إلى الشام إشتراطاً أخذ أموالهم وسمح لهم رسول الله ﷺ ، فخرجوا من ديارهم جبناءً أذلاء ، لكنهم كانوا يتطاولون برقابهم مستكبرين ، مظهرين شعورهم بالرضى والفرح لا لشيء - رغم أنهم كانوا فى أشد حالات الذلة والهوان - إلا لأنهم حملوا معهم ذهبهم وأموالهم ، وما هذا إلا لأن إله المشرك ومعبوده هو أعز ما لديه ، فإذا لم يفقده ، فكأنه لم يصب بأمر ذا بال حتى ولو كان الإجلاء عن موطنه وأرضه وبيته ، وهذا هو الذى جعلهم يخرجون

متظاهرين بالنصر ، لأنهم كانوا قد انخرطوا في مخطط الدجال الجبتي الذي رأسه امتلاك مال البشرية بالإفساد ثم العلو من خلال هذا المال بامتلاك القوة العسكرية والسياسية والإعلامية ، فكانوا في هذه المرحلة مؤمنين بالمال والذهب إلهاً وقيادة الدجال الجبتي رباً يحققون به العلو الافرادي ، ويحقق هو بهم ربوبيته في الأرض . ومن ثم أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ ألم تر إلى الذين كفروا من أهل الكتاب يؤمنون بأجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ .

إن قصة امتلاك الشاب من بنى إسرائيل المال والدنيا ، ثم موته قبل أن يهنأ بما امتلك وجمع على مدى السنين ، تلك التي أوردناها بالجزء الرابع في الأمارات الاقتصادية هي قصة الدجال الذي هو إله يهود ، وملك يهود هو الجبت الذي يؤمن به اليهود ، ويجتمع مجلسهم الأعلى المكون من ثلاثة عشر عضواً ليتلقوا ما يأتيهم من تعاليم وبرتوكولات الطاغوت ، أى أنه هو الحلقة الوسطى بينهم وبين الطاغوت ، هذا المجلس هو بطانة الدجال أو المجلس التنفيذي للأعمال والأهداف الجبتي التي على رأسها جمع ذهب البشرية بالإفساد ، وجعله تحت أيديهم باعتباره الدعامة الأولى للعلو في الأرض .

لذا نقول إن مرور الدجال على الخبرة ، فينادى على كنوزها فتتبعه ، يمكن أن يفسر بخطط التنمية للبلاد التي توافق الصهيونية الحاكمة للأرض على تنميتها فيتحول الخراب والقفار إلى مصانع ومزارع وآبار بترول وتعدين ، ومن ثم يستخرج أهلها كنوزها فإذا ما صار عندهم فائض الانتاج في صورة عملات ورقية مرتبطة بالدولار ، عملة الدجال واليهود الرئيسية ، أو في صورة أسهم الشركات في البورصة ، أو في صورة سندات أو في صورة أرصدة في البنوك اليهودية أو غير ذلك من الصور المالية الجبتي المستحدثة ، فإن هذه الكنوز التي خرجت تكون بهذا قد ذهبت إلى الدجال بطريقة آلية كما يذهب اليعسوب خلف النحلة ، أليست أرصدة الدول وأموالها الاحتياطية في بنوك أمريكا ؟ وهي بالعملة الأمريكية التي يتحكم فيها اليهود بقيادة الدجال ؟ وهذه الأرصدة ليست إلا فوائض جهد الشعوب ؟ : بلى

إذا فمن يزعم بعد ذلك أن كنوز الأرض الخارجة بالزراعة الحديثة والصناعة والتعدين والتجارة لم تذهب إلى مركز الدجال الاقتصادي فهو مخطئ .

ومن ثم يكون قوله ﷺ عن الدجال (ويمر بالخربة ، فيقول لها : أخرجي كنوزك فتبعه كنوزها كيغاسيب النحل) قد تحقق وحدث .

ولنتساءل أين ذهبت فوائض أموال أندونيسيا وماليزيا وكوريا وغيرها من البلاد التي انهارت عملتها فضاع في لحظة واحدة عرق شعوبها خلال أكثر من عشرين عاماً ؟

هذا التأويل لهذا النص النبوي الكريم واقع اليوم في خروج الدجال المعاصر متمثلاً بوضوح في الانظمة الاقتصادية والمالية الدجالية التي عمت البشرية والتي تتيح بسهولة ويسر إستيلاء الدجال واليهود على فوائض جهد الشعوب ومدخراتهم بسهولة ويسر مثل تتبع اليغاسيب للنحل ، فاليعاسيب في هذا التشبيه هم الدجال وبطانته اليهودية والنحل يقابل عرق الشعوب وفوائض جهودهم ومدخراتهم حين تحول إلى بنوك اليهود .

ومع هذا فلا يمنع أن يحدث هذا مطابقاً مطابقة حرفية للصورة التي حملها النص فيمّر الدجال في خروجه الأخير العلني على الخربة ، أي الموضع الأثري ، الذي يعلم بأسلوبه الجبتي ، الذي يتعامل من خلاله هو وأتباعه مع الشياطين ، بأن في الخربة كنز فرعوني مدفون وعليه حراسة من الشياطين مرصودين له بأساليب سحرية فرعونية قديمة ، تمنع من يقترب من الكنز ، مما عرفت آثاره بما أطلقوا عليه لعنة الفراعنة ، تلك التي راح ضحيتها كثير ممن تعبوا بحثاً عن الآثار أو الكنوز ، لكن الدجال بما لديه من جبتيات يمكنه أن يفك طلاسّم هذه الحراسات الجنية بمقتضى التعاون الذي بين مملكته الشيطانية الإنسية ومملكة الشياطين الجنية ، ومن ثم تُخرج له الشياطين الجنية المرصودة على هذه الكنوز فتحملها وتسير خلفه ، فلا يرى الناس سوى كنوزاً تطير خلقه كما تطير اليغاسيب خلف النحلة ، وليس لهذه الظاهرة عندما تحدث إلا النهج الجبتي الذي هو سحر أو علم متقدم أو هما معاً .

أرأيت كيف أن النص النبوي الكريم ببيانه المعجز ، يصدق على حال الخروج المعاصر للدجال ، وعلى حال الخروج الأخير المبسر فيه عن شخصه معاً ١٩

تلك الجبتيات الدجالية التي سيعمم أعمالها للناس إيهاماً لهم بأنه رب الناس الذي ينزل المطر وينبت الكلاً ويبارك الماشية ويبسط الرزق لمن يطيعوه ويضيق الرزق على الذين يعصوه ، ويسبق الريح ويحي الموتى يحدثون أرحامهم ، بل أنه يميت الرجل ويشقه نصفين ثم يحييه ، وكل هذه الجبتيات ليثبت أنه رب الناس ملك الناس إله الناس ، مع أن هذه الأعمال كلها ليست حقيقية ، وإن ظن الناس عند عرضها عليهم أنها حقيقية ، وبمقتضى هذا الظن قال النواس راوى الحديث (فخفض فيه ورفع) أى أن رسول الله ﷺ خفض من شأن الدجال لما ذكره (دجالاً كذاباً أفاقاً) ورفع من شأنه لما ذكر أنه يفعل كذا وكذا من هذه الجبتيات ، فهال أمره بعض الصحابة وأصابهم الخوف منه حتى ظهر هذا على وجوههم ، إذ توقعوا أن عنده من القوى ما يمكن أن يخرج عليهم فى التواللحة من خلف النخل الذى يجلسون تحته ، فلما راحوا إلى النبى ﷺ عرف هذا الخوف فى وجوههم (فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال : غير الدجال أخوفنى عليكم ، إن يخرج وأنا فىكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فىكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم) وهكذا هوّن رسول الله ﷺ من شأنه ، وفى هذا إشارة إلى أن ما سمعتموه عن القتل والإحياء والأمطار والانبات كلها أمور جبتيّة أى علمية أو سحرية أو هما معاً أى أن فى الأمر دجل ، ومن ثم فهو لهذا ولغيره ، يسمى الدجال .

يؤكد أن ما يفعله ليس بحقائق ولا واقع صحيح ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم فى المستدرک (عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : من سمع بالدجال فليأمنه فوالله إن الرجل ليأمنه وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات) فهى إذاً شبهات وليست حقائق . ولكنها تبدو كأنها حقائق بالأساليب والوسائل الجبتيّة ، وحيث قد كان المسيح عيسى بن مريم ﷺ يرى الأكمه

والأبرص فى عصره الذى لم يكن الاطباء يعرفون لهذين الداءين علاجاً ، وحيث سيزعم الدجال عند خروجه العلنى الأخير أولاً أنه المسيح ثم يزعم أنه الله ، فإنه سيبرئ أيضاً الأكمه والأبرص ، ليدلل على أنه المسيح الذى ينتظره الكتاييون جميعاً إمعاناً فى التضليل والخداع ، وهذا ما جاء فى حديث الطبرانى فى الكبير والأوسط برجال ثقات عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال ، وقد قلت فيه قولاً لم يقله أحد قبلى : آدم جعدٌ ممسوح عين اليسار ، على عينه ظفرة غليظة ، وإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويقول : أنا ربكم ، فمن قال ربى الله فلا فتنة عليه ، ومن قال : أنت ربى فقد أفتتن ، يلبث فيكم ما شاء الله ، ثم ينزل عيسى بن مريم مصداقاً بمحمد ﷺ على ملته إماماً مهدياً وحكماً عدلاً فيقتل الدجال (فكان الحسن يقول : ونرى أن ذلك عند الساعة .

فإبراء الأكمه والأبرص سيكون بعلاج علمى يحتفظ هو بسرّه ، ليبدو أمام الناس إعجازاً فهو إذاً من أعمال الجبت ما دام سر هذا الكشف العلمى مجهولاً ، لأنه يصبح بجهل الناس بسرّه شأنه شأن السحر وأعمال الشياطين الذين سيصيرون جنوداً للدجال عند خروجه العلنى لفتنة الناس بهذه الجبتيات التى يشاهد الناس نتائجها ، ولا يشاهدون أسبابها فيعتبرونها خوارق ومعجزات وآيات تدل على صدق دعوة الدجال بالنبوة أولاً ، ثم بالربوبية بعد ذلك .

يدل على هذا الحديث الذى رواه نعيم بن حماد فى الفتن وأورده صاحب كنز العمال كما أورده فى التويرى فى « إتحاف الجماعة » وقوى ضعفه ، عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود ، وأصناف الناس ، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ويحييهم معه جبل من ثريد ونهر من ماء ، وإنى أنعت لكم نعتة : إنه يخرج ممسوح العين ، فى جبهته مكتوب كافر ، يقرؤه كل من كان يحسن الكتاب ومن لا يحسن فجنّته نار ، وناره جنة ، وهو المسيح

الكذاب ، ويتبعه من نساء اليهود ثلاثة عشر ألف امرأة ، فرحم الله رجلاً منع سفيهه أن يتبعه ، والقوة عليه يومئذ بالقرآن ، فإن شأنه بلاء شديد ، يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها ، فيقولون له : إستمع بنا على ما شئت فيقول : نعم : انطلقوا فاخبروا الناس أنى ربهم ، وأنى قد جنتهم بجنتى ونارى ، فينطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان ، فيتمثلون له بصورة والده وولده وإخوته ومواليه ورفيقه ، فيقولون : يا فلان أتعرفنا ؟ فيقول لهم الرجل : نعم ، هذا أبى ، وهذه أُمى ، وهذه أختى ، وهذا أخى ، فيقول الرجل : ما نبؤكم ؟ فيقولون : بل أنت فأخبرنا ما نبؤك ؟ فيقول الرجل : إنا قد أخبرنا أن عدو الله الدجال قد خرج فتقول له الشياطين : مهلا لا تقل هذا ، فإنه ربكم يريد القضاء فيكم ، هذه جنة قد جاء بها نار ، ومعه الانهار والطعام ، فلا طعام إلا ما كان قبله إلا ما شاء الله ، فيقول الرجل : كذبتُم ما أنتم إلا شياطين ، وهو الكذاب ، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قد حدث حيثكم ، وحذرناه وأبناءنا به ، فلا مرحباً بكم ، أنتم الشياطين ، وهو عدو الله ، وليسوقن عيسى بن مريم حتى يقتله فيخسؤوا فينقلبوا خاسئين ثم قال رسول الله ﷺ : إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتعوه ، فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم ، وليحدث الآخر الآخر ، فإن فتنه أشد الفتن (١)

فالشياطين المصاحبة للدجال بأعداد كالجيوش فى كل بلد عندما يتمثلون للناس فى صور أرحامهم الموتى يكون هذا من أخطر أعمال الدجال الجبئية التى ستتم بلا شك بتنسيق بين قسمى مملكة الشر الطاغوتية : قسم أبالسة وشياطين الجن ، وقسم أبالسة وشياطين الانس ، ومن ثم فهى فتنة شديدة مهلكة لمن لا يعرف أسرارها الخبيثة ، وهى فتنة ضعيفة هينة لمن يعرف هذه الأسرار ، من أجل ذلك شدد رسول الله ﷺ على ضرورة تبليغها وفهمها وتعقلها ووعيتها بقوله ﷺ (إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتفهموه وتعوه ، فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم وليحدث الآخر الآخر ، فإن فتنه أشد الفتن) أى على من لا يعرف جبئيات الدجال المتضمنة لأساليبه الخداعية الدجالية

ولم اقرأ من حديث رسول الله ﷺ توصية بالتعقل والتفقه وبالفهم وبالوعى ، ولم اقرأ أمراً منه بالبلاغ للغير جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرناً ، مثلما وصى وأمر حيال ما أخبرنا عن الدجال بعامة ، ثم عن حقيقة جيوش الشياطين الخارجة معه فى ظهوره العلنى الأخير بخاصة .

اللهم فاشهد أنى قد حدثت جيلى ، وبلغت ما علمتنى سبحانه وعلمنى رسولك ﷺ عن الدجال ، وأخبرت ما أعتقد صحته ٢٨٩ وهو خروجه المعاصر غير المعلن ، المهين لخروجه النهائى المرتقب ، الذى سيظهر نفسه للناس ربا ، وملكاً لأكثر شعوب الأرض ، توطئة لظهور الطاغوت الذى سيزعم أنه إله الناس .

اللهم هذا نداء وعليك سبحانه البلاغ لأكثر أبناء الأمة الإسلامية فهذا البلاغ لا حول لى به ولا قوة ، وتقبل منى جهدى الضئيل الضعيف طاعة لرسولك الكريم الحبيب المصطفى ﷺ ، وتنفيذاً لوصيته ، وبياناً لنصيحته ، وأجعله فى رضاك ، ونجنا وأهلنا وأخواننا وأصدقائنا ، وسائر أمة رسولك ﷺ أجمعين من فتنة الطاغوت والجبت والدجال أجمعين .

أيها المسلمون لقد أظلمكم زمان ظهور الدجال فاحذروا أن تتخدعوا بجبتياته التى رأسها عبادة الذهب والدولار وذراعاها تطبيقات العلم الصناعية التقنية والسحر ، وكل أعمال شياطين الانس والجن التى استراتيجيتها أن يصير المسيح الدجال أى الجبت رب الناس وملك الناس والطاغوت إله الناس .

وهذا ما سيأتى بيانه عند تفصيل ظهوره العلنى الأخير بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه .

(١) عن إتحاف الجماعة للتوزيع مجلد ٣ / ص ٦٧ .

الفهرس

| | |
|----|---|
| ٥ | • مقدمة |
| | • الفصل الأول من ذا الذي يتناول من العبيد ويزعم أنه إله |
| ٩ | مع رب العالمين . ١٩ |
| ١١ | * سبحان الخالق العظيم وتعالى عما يشركون |
| | • الفصل الثاني : الحكمة من خلق الإنسان في الحياة |
| ١١ | الدنيا |
| ١٧ | * الحكمة الإلهية من خلق السماوات والأرض والإنسان في الحياة الدنيا . |
| ١٩ | * الاضداد والنقائص في الحياة الدنيا مختلطة لتحقيق الإبتلاء : |
| ٢١ | * الاختيار البشري الصحيح أهم مقومات الإبتلاء . |
| | * تمكين الله عز وجل العبد المبتلى من الفعل الذي يختاره وتيسيره له تحقيقاً |
| ٢٣ | للإبتلاء . |
| ٢٥ | * النتيجة الحتمية للاختلاف والافتراق هي الصراع بين الطيب والغيث . |
| | • الفصل الثالث : الصراع بين الخير والشر هو المحور الذي |
| ٣١ | يدور حوله التاريخ البشري |
| | * الصراع بين حزب الله عز وجل أهل الخير وحزب الشيطان أهل الشر هو |
| ٣٣ | المحرك الرئيسى لأحداث التاريخ البشري |
| | * السنن الإلهية الحاكمة للصراع بين حزب الله تعالى وحزب الشيطان التي |
| ٣٥ | يسير بحسبها التاريخ البشري . |

• الفصل الرابع : بدء العداء التاريخي وتكوّن هريقي

- الصراع ٤٩
- * تكون حزب الشيطان بمجرد فسوق إبليس عن أمر ربه ٥١
 - * إبليس أول الكافرين مؤسس حزب الشيطان ٥٢
 - * الله عز وجل يتولى قيادة حزبه فى الصراع بنفسه ٥٨
 - * الطاغوت هو القائد الأعلى لحزب الشيطان فى الصراع ٦٠
 - * ليس وحده إبليس الجنى هو الذى أضل أهل الجحيم ، بل معه قرين إنسى ٦٣

• الفصل الخامس : إستكبار ابن حمل الجنة واستشهاد ابن

- حمل الأرض ٦٥
- * آدم وزوجه فى الجنة وعدوهما إبليس ٦٧
 - * الرد على الحجة الأولى : موقعة آدم لحواء عليهما السلام ليست زنا ٧٢
 - * الرد على الحجة الثانية : عفة الأسلوب القرآنى فى التعبير عن المعاشرة الزوجية ٧٧

• الفصل السادس : القيادة المنظرة المستمرة لحزب الشيطان ٨٩

- * التفسير الاعتقادى لوجود قيادة الشر المستمرة مدى الحياة الدنيا ٩١
- * الكفر الباطنى الخفى الذى كان عليه إبليس قبل المعصية ٩٤
- * الإستكبار عن عبادة الله تعالى وعبادة الأنا هو أصل الشر فى الكون ٩٨

• الفصل السابع : صوت إبليس المستفز للمؤمنين الجالب

- عليهم بخياله ورجله ١٠١
- * قيادة إبليس لحزب الشيطان من خلال صوت آدمى له فى الإنس ١٠٣
 - * بدء الصراع بين الخبيث والطيب فى الكون ١٠٤
 - * المسيح الدجال هو صوت إبليس البشرى المستفز للناس ومثله فيهم ١٠٩
 - * مصطلح الاستفزاز فى القرآن الكريم ١١٠

- الفصل الثامن : قابيل هو صوت إبليس ١١٥
- * الأدلة على أن صوته هو أول من استحوذ عليه من الإنس ١١٧
- * الأدلة على أن قابيل قتل وزنى مقابل النظرة والإمهال ١٢٨
- الفصل التاسع : الدجال من المنظرين مثل إبليس الجتي ١٣٧
- * حياة الدجال وموته مخالفان لسن الحياة والموت ١٣٩
- الفصل العاشر : قابيل هو المسيح الدجال ١٣٥
- * الأدلة على أن المسيح الدجال هو قابيل ١٥٧
- الفصل الحادي عشر : الشيطان رأس لعالم شياطين
والطاغوت رأس لعالم طواغيت ١٦٣
- * تمهيد ١٦٥
- * دلالة لفظ « الشيطان » وما يصدق عليه في القرآن الكريم ١٦٥
- * مفهوم الطاغوت وما يصدق عليه في القرآن الكريم ١٦٧
- * الطاغوت ليس هو الشيطان وحده ١٦٧
- * أقوال المفسرين فيمن أو فيما يصدق عليه اسم الطاغوت ١٧١
- * ما الذي يحكم الآخر ؟ ومن الذي يخضع الآخر لحكمه ١؟ ١٧٤
- * عالم من الطواغيت متميز عن عالم الشياطين جنأ وإنساً ١٨٤
- الفصل الثاني عشر : الطاغوت هو الذي يلد ويولد وهو
أصل عقائد الحلول والتثليث ووحدة الوجود ١٨٩
- * حقيقة الطاغوت وصلته بالشيطان ١٩١
- الفصل الثالث عشر : مواضع ذكر الطاغوت في القرآن
الكريم ٢٠٥
- * تدبر آيات الوارد فيها ذكر الطاغوت ٢٠٧

- الفصل الرابع عشر: العجبت وصلته بالطاغوت ٢٢٥
- * العجت ثالث الثالث النجس ٢٢٧
- الفصل الخامس عشر: العجت ومخاريقه بين الصدق والكذب ٢٣٩
- * ما هو العجت ؟ وما الفرق بينه وبين الطاغوت ؟ وما الصلة بينه وبين الدجال ؟ ٢٤١
- * عجبت الدجال الإضالية ٢٤٨
- * قتل الرجل وأحياه أخطر عجبت الدجال ٢٥٩
- * جنة الدجال وناره من إنتاجه العجت أيضاً ٢٦٥
- * خروج جيوش شياطين الجن مشاهدين لإضلال الناس من الأعمال العجتية ٢٧٣
- * الكشف عن حقيقة العجتية الدجالية ٢٧٤
- * الذهب رأس عجبت الدجال ٢٨٢
- الفصل هـ - ٢٩١

• كتب للمؤلف •

- ١ - القضاء والقدر فى الإسلام الجزء الأول - فى الكتاب والسنة ثلاث طبعات
- ٢ - القضاء والقدر فى الإسلام « الجزء الثانى » : عند السلف والمتكلمين . ثلاث طبعات
- ٣ - القضاء والقدر فى الإسلام « الجزء الثالث » : - عند الفلاسفة . ثلاث طبعات
- ٤ - القضاء والقدر فى الإسلام « الجزء الرابع » : - عند الصوفية . تحت الطبع
* وهو الكتاب الذى حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٥ - الأصول الاعتقادية للمعرفة فى الإسلام . طبعة واحدة
- ٦ - الإسلام والعلم التجريبي . طبعة واحدة
- ٧ - إستخلاف الإنسان فى الأرض . ثلاث طبعات
- ٨ - قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة . طبعتان
- ٩ - الإنسان والشیطان . ثلاث طبعات
- ١٠ - مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان . ثلاث طبعات
- ١١ - محاضرات فى العقيدة الإسلامية . ثلاث طبعات
- ١٢ - توفيق الحكيم لمن أستمع وإلى من تحدث . طبعة واحدة
- ١٣ - مقومات المجتمع المسلم . ثلاث طبعات
- ١٤ - البيان النبوى بدمار إسرائيل الشيك وتحرير الأقصى . طبعتان
- ١٥ - الخلافة الإسلامية : - حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحتمية عودتها . طبعة واحدة
- ١٦ - التوحيد : الجزء الأول (معرفة الله عز وجل) طبعة واحدة
- ١٧ - التوحيد : الجزء الثانى (العلم به عز وجل) تحت الطبع

- ١٨ - المدخل إلى العقيدة الإسلامية .
تحت الطبع
- ١٩ - حكم الإسلام في استخدام العنف في الدعوة والإصلاح .
طبعة واحدة
- موسوعة أشراط الساعة •
- ٢٠ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الأول : - وهو الإصدار
الثنائي لكتاب زلزال الأرض العظيم .
طبعتان
- ٢١ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثاني : « المدخل إلى
علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة » .
طبعة واحدة
- ٢٢ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثالث : « الأمارات
العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة »
طبعة واحدة
- ٢٣ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع : « الأمارات
الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية » .
طبعة واحدة
- ٢٤ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس : « المسيح
الدجال بين الجبت والطاغوت »
طبعة واحدة
- ٢٥ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس « أحداث ما قبل المهدي »
تحت الطبع
- ٢٦ - القيامة الصغرى الجزء السابع : « المهدي عليه السلام »
تحت الطبع
- ٢٧ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن : « الملحمة
العظمى وفتح أوروبا » .
تحت الطبع
- ٢٨ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع : « نزول المسيح
عليه السلام »
تحت الطبع
- ٢٩ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر : « يأجوج
ومأجوج »
تحت الطبع
- ٣٠ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادي عشر « ما بعد
المسيح عليه السلام إلى قيام الساعة »
تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

باسم عد الرحمن فاروق الدسوقي

ت / ٥٥٧٢٦٦٠ / ٠٣ - ١٤١٨٧٨٣ / ١٠ الاسكندرية

تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية :

- ١ - مكتبة مدبولي - ٦ ميدان طلعت حرب / ت : ٥٧٥٦٤٢١
- طريق النصر - مدينة نصر / ت : ٤٠١٥٦٠٢ القاهرة
- ٢ - مكتبة حميدو - ٢٦ ش النبي دانيال / ت : ٤٩٠١٤٩٤ - ٤٩٣٣٨٧٤ الإسكندرية
- ٣ - مكتبة دار العقيدة للتراث : ١٠١ شارع الفتح باكوس أمام محطة الترام ت : ٥٧٠٧٣٢١ الإسكندرية
- ٤ - دار الدعوة للنشر والتوزيع ١ ش منشا - محرم بك ت : ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ الاسكندرية
- ٥ - لدى مكتبات ومعارض وكالة الأهرام للنشر والتوزيع .
- ٦ - لدى مكتبات ومعارض وكالة الأخبار للنشر والتوزيع .
- ٧ - لدى باعة الجرائد في جميع المحافظات توزيع الأهرام والأخبار .
- إنتظرونا في الجناح الخاص بكتب الأستاذ الدكتور / فاروق الدسوقي بمعرض القاهرة الدولي للكتاب من كل عام .

هذا الكتاب

أحرثوا القرآن لتكتشفوا فيه المسيح الدجال
تضمنت كتب السنة الشريفة كتباً وأبواباً عن المسيح الدجال ، لكن
بعض أصحاب القلوب الزائغة شككوا في وجوده محتجين بعدم ذكره في
القرآن الكريم ، وما سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه و
(أحرثوا القرآن) أي فتشوا فيه . وذلك لأن الحقائق التي
قد تُستخرج من بين كلماته أو من بين آياته ، أو من بين سور
ولو علموا ما تضمنته نصوصه عن مملكة الشر وثالوثها الخبيث :
إبليس ، الجبت ، الطاغوت ، لأيقنوا أن المسيح الدجال مذكور في
أكثر السياقات القرآنية التي تتحدث عن الشر ومصادره والضلال وعلمه
والطغيان ومنابعه في عالم الثقلين الابلثي .
وهذا ما ستعلمه بأدلة أخى القارئ في ثنايا هذا الجزء من الموسوعة .
أحمد الله العلى القدير أن وفقنى إلى حراثة كتابه كما أرشد رسوله صلى
الله عليه وسلم ، وأسجد له شاكراً أن رزقنى إستنباط سر هذا الثالوث
النجس والكشف عن شخصية المسيح الدجال بين الجبت والطاغوت . أسأل
الله عز وجل أن يجعل هذا الجهد الضعيف القليل خالصاً لوجهه الكريم ،
وأن يقبلى به أمة المصطفى الخاتم صلى الله عليه وسلم أعظم الفتن في تاريخ
البشرية على الإطلاق . والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .